التحفة الحطيبيّة

شرح العَقِيدَةِ الطَحَاوِيَة

للإمام أبي جعفر الأزدي

المعروف بـ : الطحاوي

تأليف الشيخ الفاضل:

أبي معاذ حسين بن محمود العمراني الحطيبي اليافعي
حفظه الله تعالى

المقدمة

بِسْمِ الله الرحمن الرحيم

إِن الْحَمد لله نحمده ونستعينه وَنَسْتَغْفِرهُ، ونعوذ بِاللهَّ من شرور أَنْفُسنَا وسيئات أَعمالنَا، من يهده الله فَلَا مضل لَهُ، وَمن يضلل فَلَا هادي لَهُ، وَأشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، وَأشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله.

﴿يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا اتَّقوا الله حق تُقَاته، وَلَا تموتن إِلَّا وَأَنْتُم مُسلمُونَ﴾ [آل عمرَان: ١٠٢].

﴿يَا أَيهَا النَّاس اتَّقوا ربكُم الَّذِي خَلقكُم من نفس وَاحِدَة، وَخلق مِنْهَا زَوجهَا، وَبث مِنْهُمَا رجَالًا كثيرا وَنسَاء، وَاتَّقوا الله الَّذِي تساءلون بِهِ والأرحام، إِن الله كَانَ عَلَيْكُم رقيبا﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا اتَّقوا الله وَقُولُوا قولا سديدا، يصلح لكم أَعمالكُم وَيغْفر لكم ذنوبكم، وَمن يطع الله وَرَسُوله فقد فَازَ فوزا عَظِيما﴾ [الْأَحْزَاب: ٧٠ – ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهَ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ على آلِهِ وَ صَحبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكل ضلالَة في النار.

إنّ من أجل النعم وأعظمها أنّ يوفق الله العبد للاستمرار في طلب العلم، ومدارسته مع أهل العلم وطلبته من أهل السنة والآثر.

وكان مما يسره ما أخذناه في دار الحديث بدماج على يدي شيخنا المجدد مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى، ثمّ على يد خليفته العلامة يحيى بن علي الحجوري من العلوم النافعة،

والدروس الماتعة، وهكذا استفدنا على يدي مشايخ كثر في تلك الدار، ومن ذلك في علم العقيدة والتوحيد.

ولما أنّ يسر الله لنا فتح دار الحديث بصلاح الدين في عام (١٤٣٤هـ)، بدأنا بتدريس من ورد علينا من طلاب العلم بما يسره الله سبحانه وتعالى، وكان من ذلك دورس في العقيدة، وكانت سلسلة من الدروس العامة التي سجلت أولها: (لامية شيخ الإسلام)، ثمّ (حائية ابن أبي داود)، ثمّ (لمعة الاعتقاد)، ثمّ (شرح الواسطية لمحمد خليل الهراس)، ثمّ (تقريب التدمرية للعلامة العثيمين)، ثمّ (الفتوى الحموية لشيخ الإسلام)، ثمّ (العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي)، وهذه الدروس سجلت بعد صلاة الظهر كما تسجل غيرها من الدورس.

فرغب إلي الأخ صهيب الجزائري أنّ يفرغ التسجيل لينشر، فوافقته، ففرغه ثمّ رتب، وأصلحنا فيه بعض الأشياء، وعدلنا فيه بعض الكلمات وزدنا إليه بعض الحواشي، ثمّ عزمت على طبعه، بعنوان: (**التحفة الحطيبية شرح العقيدة الطحاوية**).

وهذا كما ترى شرح مرتجل يعروه الخلل، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، ومن وجد خلال فليبادر بالنصح والتوجيه، وجزى الله كل من أعان الخير، أو ساهم فيه.

وهذه مساهمة، وإلا فقد كتب في شرح الطحاوية علماء كثيرون، ونسأل الله السداد والتوفيق، والإخلاص.

كتب في أصيل يوم الأحد: ٢٨ / جمادي الأولى/ ١٤٤٠ هـ، والموافق: ٠٣/ ٠٢/ ٢٠١٩ م. في مكتبتي بدار الحديث بصلاح الدين من مدينة عدن المحروسة.

كتبه: أبو معاذ حسين بن محمود اليافعي الحطيبي.

نبذة عن المؤلف

بِسْمِ الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم

أما بعد ، إن شاء الله من هذا اليوم نبدأ في كتاب العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي ، ونقرأ ما كتبه المحقق هنا من ترجمة له مختصرة جدا .

يقول الحلبي هنا في مقدمته: **هو الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد سلامة الطحاوي الأزدي ، إمام جليل القدر** ، مشهور في الآفاق وذكره مملوء في بطون الأوراق، ولد سنة ٢٢٩هجري وقيل ٢٣٠ هجري وقيل ٢٣٩ هجري أي مختلف في سنة ولادته ، المهم أنه بعد ٢٠٠ هجري ومعنى ذلك أن الطحاوي متقدم ولهذا يقول بعض أهل العلم أول من سمى العقيدة هو الطحاوي وكذلك الصابوني وهو بعده وبعضهم يقول الغزالي وهذا ليس بصحيح ،لأنه متأخر فالطحاوي هو من أول من سمى العقيدة ، وبعضهم يسمي هذا العلم بالسنة.

قال: تفقه أولا على خاله المزني صاحب الشافعي على مذهب الشافعي ثم تحول حنفي فتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وهو كسائر الأئمة الكبار الذين لم يسلكوا مسلك المقلدين، الذين لا بصيرة لهم في مدارك الأحكام ولكن الأصول الشرعية التي مشى عليها وافقت أصول الإمام أبي حنيفة التي بنى عليها مذهبه ولهذا انتقد على الطحاوي في بعض الفقرات ، وهي قليلة جدا ، مشى فيها على طريقة أبي حنيفة، وكما هو معلوم أن أبا حنيفة وقعت له بعض الزلقات في باب الإيمان وغيره .

قال: ولهذا لما ذكر الإمام ابن القيم جماعة من أهل العلم في نونيته:

مَا فِي الَّذين حكيت عَنْهُم آنِفا .... من حنبلي وَاحِد بِضَمَان
بل كلهم وَالله شيعَة أَحْمد .... فأصوله وأصولهم سيان

وذكر منهم الطحاوي ، قال: ألف مؤلفات كثيرة شهيرة كمعاني الآثار ، ومشكل الآثار وغير ذلك ، وتوفي سنة(٣٢١هجري)، يعني عمر نحو (٩٠) سنة أو فوق التسعين وهو منسوب إلى قرية طحى بأسفل أرض مصر، و هذا الكتاب قد شرح شروحا كثيرة ، ومن أوسعها وأحسنها وأشهرها شرح ابن أبي العز الحنفي الذي أخذ أكثره من كتب شيخ الإسلام و ابن القيم ، ولكنه شرح موسع، وممن شرح هذا الشيخ أحمد شاكر و الشيخ عبد العزيز بن مانع ،و الشيخ عبد الله بن حميد ،و الشيخ عبد العزيز بن باز، وتعليقات الامام الألباني على شرح ابن أبي العز ، وهناك شرح مطبوع للشيخ صالح الفوزان ،وشرح لبعض المتقدمين وهو **"البابرتي"** وهو شرح طيب، إلا أنه حنفي يعني يتابع المؤلف في بعض المسائل ، وإلا شرحه مختصر مفيد . ثم اتضح لي بعد القراءة فيه أن عنده مخالفات، وخصوصا في تأويل الصفات.

بسم الله الرَّحْمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله رب العالمين

قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي بمصر :

هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة

الشرح

قال: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين": والبدء بالبسملة ، والحمد له هذه طريقة المؤلفين، اقتداءً برسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال: **"العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي بمصر"**: ومعنى حجة الإسلام أي حجة في الإسلام، بمعنى أنه من علماء الإسلام، الذين يحملون الحجة ، لا أن الإسلام يحتاج إلى حجة، وهذا هو حجة الإسلام.

مع أن هذه الألقاب كان كثير من أهل العلم يكرهونها، ويحذرون منها، كما جاء ذلك عن شيخ الإسلام بن تيمية والنووي بل يقول شيخ الإسلام أنّ هذه الألقاب حجة الإسلام، ومجد الدين وتقي الدين إنما حصلت في القرن الرابع هجري، ولم تكن موجودة في القرون المفضلة وأول من لقب بمثل هذه الألقاب، بهاء الدولة بن بويه لقب ببهاء الدين وهو في القرن الرابع الهجري.

قال : "هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة" والإشارة في قوله (هذا) إما أن يكون قد كتب المقدمة قبل أن يكتب الكتاب، فهو يشير إلى شيء موجود محسوس ،وإما أن يكون بدأ بالكتاب ،أو بدأ بالمقدمة قبل الكتاب، فهو يشير إلى ما في ذهنه و ما سيكتبه[(١)] .

---

(١) شرح البابرتي (١٥)، ط: مؤسسة الكتب الثقافية.

قال: "ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة" وسمي علم أصول الدين بالعقيدة، قالوا: لأنه يتعلق بعقد القلب، دون العمل، بخلاف ما يسمى بالفروع فإنه يتعلق بالجوارح كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك، فلهذا يسمى هذا الباب العقيدة.

مع أن تقسيم الدين إلى أصول وفروع هو من التقسيمات المبتدعة، التي جاءت من المعتزلة، وقد أنكرها شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم[١].

(١) انظر شرح البابرتي (١٥)، ومجموع الفتاى (١٩/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩).

قال الطحاوي رحمه الله:

على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العالمين

الشرح

قال: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء وأضاف أبا حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني" أضافهم إلى الملة، بأنهم فقهاء الملة لأنهم كما هو معلوم، أن الطحاوي حنفي، فهو يعظمهم ويبجلهم فيجعلهم في هذه المرتبة، ولهذا يقول **البابرتي**: **"سمى أبا حنيفة وصاحبيه فقهاء الملة، وهي الدين الحنيف الذي بعث النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأنهم أرفع العلماء شأنا، وأقواهم حجه وبرهانا، والسابقون في تمهيد الأصول والفروع، والجامعون بين الرأي الصحيح و المروي المسموع، باعتبار أن الفقيه والعالم بأحكام الشرع بدلائلها والعامل بها وهم جمعوا بينهما "**وهذا فيه نظر، فلم يبلغ أبو حنيفة وصاحباه هذه المرتبة، بل قد عاب عليه أهل العلم اتخاذ الرأي، والبعد عن علم الحديث بخلاف غيره من أئمة الحديث، في زمنه فإنهم عكفوا على حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما أبو حنيفة فإنه كان يميل إلى الرأي، ولهذا انتقدوه جدا في باب الرأي، وأنه ربما يخطأ في مسائل يخالف فيها الأحاديث الصحيحة الصريحة،

وقد ذكر شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ[(١)]: ثمانين مسألة يخالف فيها أبو حنيفة الحديث الصحيح بعضها أو أكثرها في الصحيحين.

(١) في كتابه "نشر الصحيفة".

وهذا بسبب الإقبال على الرأي، ولكن كما سمعت أن المؤلف حنفي فيعظمهم، مع أنه ما كان مقلدا وإنما في بعض المسائل يميل إلى رأيهم، لكن غير أبي حنيفة من هو أعلم وأجل وأرفع منه.

قال: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي" وهذا فيه رد كما قال الشيخ الفوزان [١]:على من ينتسبون إلى أبي حنيفة في العصر الحاضر، ثم يأخذون بعقيدة الجهمية أو المعتزلة، فيقال لهم هذا الطحاوي حنفي، وينقل أن هذه العقيدة هي عقيدة أبي حنيفة، أي العقيدة السلفية فلو كنتم كما تقولون من أتباع أبي حنيفة، لماذا تخالفون مذهبه في الاعتقاد، وهم إن أخذوا بأقواله إنما يأخذون بها في باب الفقه أما الاعتقاد فالحنفية في العصر الحاضر جهمية ومعتزلة، وعندهم آراء فاسدة.

ثم أيضا ذكر الطحاوي هنا بأن ما في هذا الكتاب هو ما عليه مذهب أبي حنيفة وصاحباه، هذا فيه قصور، فإن ما ذكر في كتابه من معتقد هو معتقد السلف، وإن كان في بعض المسائل القليلة التي ستمر بنا انتقد فيها فليس هذا خاص بأبي حنيفة ولا بمحمد بن الحسن الشيباني ولا بأبي يوسف وإنما هذا معتقد السلف، وقد تقبل أهل العلم العقيدة الطحاوية وأثنوا عليها وشرحوها ودرسوها وصارت من العقائد المعتمدة عند أهل السنة قديما وحديثا[٢].

(قال: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي) وهم يثنون عليه كثيرا لأنه أرفع الأربعة أصحاب المذاهب طبقة، فهو في عصر التابعين بل إنه أدرك بعض الصحابة فهو من القرون المفضلة، ولكن كان عنده ضعف في الحديث، ولهذا إذا نظرت في تقريب التهذيب للحافظ بن حجر لما وصل إلى أبي حنيفة ما ذكر عنده شيء قال: فقيه مشهور، ما قال ثقة ولا صدوق ولا ضعيف، وإلا هو عند أئمة التحقيق ضعيف في الحديث.

---

(١) في شرحه (٢٦)، من "التعليقات السلفية على العقيدة الطحاوية".

(٢) انظر شرح محمد بن عبد العزيز بن مانع (١٥)، ضمن الرياض الندية للحلبي.

(قال: وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري) وهو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري البجلي وأخذ العلم عن أبي حنيفة: وكان واليا للقضاء في زمن هارون الرشيد، ولما مات ولى الرشيد ولده على القضاء الذي هو يوسف.

(قال: وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني) وأيضا هو تولى القضاء في زمن الرشيد وكلاهما أخذ العلم عن أبي حنيفة، وبعضهم أخذ عن مالك، وهم على طريقة أبي حنيفة، ولهذا ذكرهم في هذا الموضع، وهم أشهر من يذكر في المذهب الحنفي.

(قال: رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدونه من أصول الدين): وكما تقدم أن تقسيم الدين إلى أصول وفروع هذا تقسيم محدث، ولكن يقولون في تعريف علم أصول الدين كما ذكر هذا البابرتي: قال: "هو علم يبحث فيه عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وأحوال المخلوقين من الملائكة والأنبياء والأولياء والأئمة والمبدأ والمعاد وقانون الإسلام لا على أصول الحكمة تحصيلا لليقين في العقد الإيماني ورفع الشبهات"(١).

إذا ذكروا أصول الدين فإن المراد به التوحيد الذي هو الربوبية والألوهية والصفات، ويضاف إليه المسائل الأخرى التي تذكر في كتب العقائد، والتي لم تكن من التوحيد مثل الكلام على الملائكة والأنبياء والصحابة وغير ذلك من المسائل التي لم تذكر في التوحيد مثل البعث والمبدأ والمعاد.

(قال: من أصول الدين ويدينون به رب العالمين) وقد نبه بعضهم أن يدينون بفتح الياء ويخطأ بعضهم خطأ فاحش فيقولون ويُدينون ـ بضم الياء ـ فيدين من الديانة ويُدين من الإدانة فقولك: يدينون به رب العالمين بمعنى أنه يتهمون به رب العالمين وهذا خطأ

---

(١) شرح البابرتي (١٧).

والصواب بالفتح فهذا الدين الذي ندين به فلا تقل هذا الذي ندين الله به بالضم والصواب بالفتح.

الفرق بين التوحيد والعقيدة العقيدة أعم من التوحيد تشمل التوحيد وتشمل مسائل لا تذكر في التوحيد كذكر الأنبياء والصحابة وكذا هجر أصحاب البدع كل المسائل التي ذكرها اصحاب العقائد ولاتذكر في التوحيد كالمسح على الخفين والصلاة خلف كل بر وفاجر.

والفرق الثاني: أن التوحيد كله حق والعقيدة قد تطلق حتى على العقائد الفاسدة كعقيدة المشركين ولا يقال للشرك توحيد.

توحيد الله

قال الطحاوي رحمه الله :

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ
إن الله واحد لا شريك له

الشرح

وهنا نقول بمعنى الاعتقاد نقول ونعتقد ، قال الشيخ الفوزان "التعليقات السلفية" (٢٩) : أي نعتقد في توحيد الله ليس مجرد قول ،قول واعتقاد.

ولهذا قال معتقدين فلا يكفي القول بل لابد من الاعتقاد ونقول أي نحن معتقدين يكون حالا من الفاعل الضمير المستتر أي في حال كوننا معتقدين فإنه لابد من القول باللسان والاعتقاد بالقلب وإلا لو كان مجرد القول باللسان فقط لكانت هذه طريقة المنافقين التي ذمها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم ﴿لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] فلابد من القول مع الاعتقاد وخاصة في هذا الباب العظيم الذي هو باب التوحيد.(١)

"وقوله : معتقدين بتوفيق الله" هذا فيه رد الأمور إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والتسليم إليه والتضرع والتبرؤ من الحول والقوة وانه لاحول للعبد ولا قوة الا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذا معنى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:لا حول ولا قوة الا بالله، أي لا تحول لنا من معصية الله الى طاعة الله إلا بالله، ولا ثبات لنا ولا استمرار على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ الا بالله فكل ذلك من

(١) انظر "شرح البابرتي" (١٩).

توفيق الله سبحانه وتعالى(١)، وفي هذا أيضاً رد على المعتزلة الذين يقولون بأن العباد يخلقون أفعالهم وأن الله يخلق الخير والعباد يخلقون أفعالهم من أفعال الشر فهذا رد عليهم، فإنه في باب التوحيد في باب التوفيق في باب الهداية في باب أفعال العباد كلها كل ذلك بتوفيق الله سبحانه وتعالى فالله خالق العباد وأفعالهم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٤]، وجعل للعباد مشيئة، وهي خاضعة لمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى(٢)، ثم إنه صدر هذه العقيدة في أهم ما ينبغي أن يتكلم عنه ويعتقد ويسطر، وهو الكلام في توحيد الله تبارك وتعالى فجعله في أول هذه العقيدة، وتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما هو معلوم ينقسم إلى ثلاث أقسام:

١ـ توحيد في الربوبية

٢ـ توحيد في الألوهية .

٣ـ توحيد في الأسماء والصفات

وبعضهم يقول كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما مر معنا توحيد الرسول وتوحيد المرسل، فيجعل توحيد المرسل من أقسام التوحيد الثلاث وتوحيد الرسول هي متابعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا التقسيم هو مأخوذ من أدلة الكتاب والسنة بالاستقراء في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،فتوحيد الربوبية هو إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يختص به من أفعاله كالخلق والملك والتدبير لشؤون الخلق والرزق ونحو ذلك من الإحياء والإماتة، فكل ذلك بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شريك له ولا منازع ولاند له ولا ظهير.

---

(١) التعليقات السلفية من كلام الفوزان (٣٢).

(٢) شرح البابرتي (١٩ـ ٢٠).

أما توحيد الألوهية فهو إفراد الله في أفعال العباد ويسمى بتوحيد العبادة فلا يصرفون شيئا من العبادات لغيره ولا يعبدون معه غيره، وهو إما أن يعبد مع الله غيره أو يشرك معه غيره أو يعبد غيره هذا هو الشرك في الألوهية فهو نوعان إما تشريك أو على سبيل الانفراد فإفراد الله عَزَّوَجَلَّ في أفعال العباد كلها هذا هو توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات هو الإثبات لكل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله من أسماء وصفات، ونفي ما نفى الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[١].

وهناك رسالة لعبد الرزاق نقل فيها عن جمع من السلف تقسيم التوحيد استقراءً من الكتاب والسنّة.

(قوله : إن الله واحد لا شريك له) : كل ما سيأتي في الطحاوية من (إن) فهو بالكسر لأنها كلها في محل القول حيث قال نقول وقد ذكر البابرتي وكذا ذكر غيره فائدة عند قولهم الواحد ، أن منهم يقول الواحد والأحد مترادفان وقال بعضهم: بينهما فرق فالواحد يستعمل لإفادة الصفات والأحد يرجع للذات فيقال فلان واحد زمانه أي أنه تفرد بصفات كمال لا يشاركه فيها غيره ولهذا يقال أن الله أحد في ذاته واحد في صفاته.

ويقول الأزهري الواحد في صفات الله عَزَّوَجَلَّ له معنيان الأول أنه واحد لا نظير له ليس كمثله شيء والثاني أنه إلاه واحد ورب واحد ليس له في ألوهيته ولا ربوبيته شريك ولا مثيل إذا واحد بمعنى ليس كمثله شيء[٢] وواحد ليس له ند ولا شريك.

"وقوله: واحد لا شريك له": ونفي الشريك هنا على ثلاثة أنواع فقد يكون لا شريك له في ذاته أو لا شريك له في اسمه سبحانه وتعالى واستحقاق العبادة ولا شريك له في صفته أما

---

(١) انظر شرح ابن باز(١٨)، ضمن الرياض الندية والتعليق السلفية للفوزان(٢٩)،.

(٢) شرح البابرتي (٢٠).

القسم الأول: ففيه رد على الذين يثبتون الآلهة من دون الله عَزَّوَجَلَّ كما هو فعل المجوس وكما هو فعل الثنوية ويقال الثانوية الذين يقولون للعالم خالقين أو صانعين فخالق خير ويسمونه "إزذان" وخالق شر يسمونه أهرم.

والقسم الثاني: هم الذين يجعلون لله شريك في الأسماء في استحقاق العبادة الذين يجعلون شريكا في الاسم وفي استحقاق العبادة هذا كفعل المشركين الذين يقولون بالات والعزى ومناة وغير ذلك فيقولون العزى من العزيز ومناة من المنان واللات من الإله فهذا شرك في التسمية واستحقاق العبادة.

والقسم الثالث: لا شريك له في صفاته للرد على المشبهه والممثلة الذين يشبهون الله بخلقه.

انظر شرح الألباني(٢٢/ ٢٣)، من الرياض الندية، وشرح البابرتي(٢٩/ ٣٠).

قال الطحاوي رحمه الله :

و لا شي مثله

الشرح

وهذا مأخوذ من الآيات القرآنية

كقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

وكقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص].

وكقوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢].

وكقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وغيرها من الآيات التي تدل على أنه لاسمي له ولا كفئ له ولا مثل له ولا نظير له سبحانه فالله لا شيء مثله في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله ثم إن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ نفى المثل ولم ينفي الشبيه، وهذا أحسن من قول بعضهم :(**لاشبيه له**) فنفي المثيل أحسن من نفي الشبيه لوجوه كثيرة قد تقدمت معنا في دروس ماضية.(١)

أولاً :أنه تعبير القرآن فالله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى: ١١]، ولم يقل ليس كشبهه شيء فهو تعبير القرآن وهكذا تعبير السنة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأيضا لأن التمثيل أو المثيل المراد به المشابهة من كل وجه بينما التشابه قد يكون من وجه دون وجه فالتمثيل أعم يشمل التشبيه.

وأيضا إذا قيل لا شبه له فهذا قد يلتبس على بعض الجهلة وخصوصا في بعض الفترات الزمنية التي إنتشر عند الأشاعرة وغيرهم أن المثبتين للأسماء والصفات مجسمة أو مشبهة فربما يظن العامي أو الجاهل أن قوله لا شيء يشبهه أو من غير تشبيه أي من غير طريقة أهل السنة

(١) "شرح الفوزان" (٣٣) من التعليقات السلفية".

وهذا باطل مادام أنه يحصل فيه اللبس فالأحسن أن يؤتى بهذه العبارة الواضحة (لا شيء مثله).

وأيضا مرّ معنا في التدمرية أنه قد حصل بين أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وأسماء خلقه تشابه في الأسماء ولكن لا يحصل ولم يحصل تماثل فإذا نفى التشبيه مطلقا فيه نظر وقد حصل التشابه في مطلق الأسماء فيقال حي في حق الله وفي حق المخلوق ويقال الملك في حق الله وفي حق المخلوق ويقال العزيز وهكذا كما مر معنا في الواسطية إذا فقوله ولا شيء مثله هذا هو الأحسن والأسلم .

انظر شرح الواسطية للعثيمين(١١٢).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَ لَا شَيْءَ يُعْجِـزُهُ

الشرح

قَوْلُهُ: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) . أي لكمال قدرته وعلمه، كما قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاية (٨١) : لكمال قدرته وعلمه والله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فهو سبحانه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون فليس هناك شيء يعجزه

ويقول البابرتي رحمه الله (٣١) : وهذا وصف له بكمال القدرة لأن وجود كل موجود سواه بإيجاده فمحال أن يعجزه شيء فإن العجز نقص والله منزه عن النقائص.

ولأنه تعالى موصوف بكمال القدرة على كل شيء فلا يوصف بالعجز وإلا يلزم إجتماع النقيضين ولأنه تعالى خالق لجميع الأشياء ولا يتصور الخلق مع العجز وإليه الإشارة بقوله ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨٠]، يعني وصف الله نفسه بالخلق فلا يصلح أنه يوصف بالعجز فهذا تناقض ثم إن هذا النفي لا شيء يعجزه هذا مما يسميه أهل العلم من النفي المجمل.

فإن القاعدة المعروفة عند أهل السنة والجماعة أن النفي في باب الأسماء والصفات يكون مجملا ولا يخرج عن الإجمال إلى التفصيل إلا لعارض وأما في باب الإثبات في باب الأسماء والصفات فإن الإثبات يكون مفصل ولا يخرج من الإثبات المفصل إلى الإثبات المجمل إلا لعارض فإن باب الصفات إذا تعددت وفصلت فإن ذالك زيادة في الكمال وأما في باب النفي فإن التفصيل يؤدي إلى النقص ولهذا كانت الأدلة في باب النفي على سبيل الإجمال ولا يؤتى

بالتفصيل لا لسبب كما مر معنا هذا وهو موجود في "التدمرية"[١] وفي شرح العلامة العثيمين لـ: "لواسطية" [٢]وغيره.

---

(١) التدمرية (٨ـ ١٢) ت: محمد السعوي.

(٢) شرح الواسطية (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦).ط : دار ابن الجوزي.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ

الشرح

قَوْلُهُ: (وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ): وهذا هو معنى لا إله إلا الله أي لا إله معبود بحق غيره سبحانه وتعالى وقد تكلم ابن أبي العز في هذا الموضع على معنى لا إله إلا الله وعلى شروطها ومن أحسن من تكلم على هذه الكلمة وبين معانيها الحافظ بن رجب رحمه الله في شرح كلمة الإخلاص وهكذا صديق حسن خان في كتابه الدين الخالص.

قال البابرتي رحمه الله :يفيد نفي الألوهية عن كل معبود سوى الله إذ "الإله" في اللغة هو المعبود بحق وكفار قريش كانوا يعبدون الأصنام مع اعترافهم أن الله هو الخالق وكانوا يقولون نعبدهم ليقربونا إلى الله فيفيد قوله لا إله غيره غير ما أفاد قوله لاشريك له فلا يكون تكرارا إذا قوله لا شيء مثله ولا إله غيره ولا شريك له هذه ليس فيها تكرار فإن منها ما فيه نفي لما يعبد من دون الله من الآلهة وهو ما يصرفه المشركون في باب الألوهية لغير الله عَزَّوَجَلَّ ومنها ماهو في باب الربوبية.[1]

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: هذا هو توحيد الألوهية. لا إله، أي: لا معبود بحق غيره.

أما إذا قلت : لا معبود إلا هو؛ أو لا معبود سواه، فهذا باطل؛ لأن المعبودات كثيرة من دون الله عز وجل، فإذا قلت: لا معبود إلا الله، فقد جعلت كل المعبودات هي الله، وهذا مذهب أهل وحدة الوجود.[2] اهـ

---

(١) انظر شرح البابرتي (٣١).

(٢) من التعليقات السلفية (٣٥).

قال الطحاوي رحمه الله:

قَوْلُهُ: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ) .

الشرح

هذه العبارة هي من العبارات التي انتقدها أهل العلم على الإمام الطحاوي في عقيدته، لأنه ليس من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ القديم نبه على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في "بدائع الفوائد"(١) وابن أبي العز والشيخ عبد العزيز بن مانع وعبد الله بن حميد وابن باز والألباني رحمهم الله جميعا على أنه ليس من أسماء الله القديم .

ولو أن المؤلف استبدل مكانها (**الأول**) لكان أحسن، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وفي "مسلم" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ** »، لأن القديم من حيث المعنى اللغوي والعرفي إذا وصف بذلك لا يليق أن يوصف به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكن بالمعنى الشرعي هو بمعنى الأول ولهذا قال قديم بلا ابتداء.

قال البابرتي (٢): قيده بلا ابتداء احترازا من المعنى اللغوي والمعنى العرفي ولهذا فإن الله يوصف من باب الإخبار بالقديم.

وقد أطلقه شيخ الإسلام وغيره ليس من باب التسمية ومما يدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "الصحيح المسند" من دعاء دخول المسجد: أعوذ بالله

---

(١) (١/ ١٧٩).

(٢) شرح البابرتي (٣٣ـ ٣٥).

العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»، ولما ذكر أهل العلم باختصار من الكلام المفيد في معنى هذه العبارة نقرأ كلامهم كذلك الشيخ الفوزان في شرحه هو ممن انتقد هذه العبارة.

قال الشيخ ابن مانع رحمه الله : يوصف سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك أي من باب الإخبار كما ذكره ابن القيم في البدائع وباب الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية وأهل العلم يذكرون لفظة القديم في الأسماء الحسنى ولكنهم يخبرون عنه سُبۡحَانَهُۥ بذلك كما في النونية أي لابن القيم :

وهو القديم فلم يزل بصفاته　　　متفردا بل دائم الإحسان

هذا كله من باب الإخبار ليس من باب التسمية(١).

وقال الشيخ ابن حميد: (لو عبر المصنف رحمه الله بأنه الأول كما نص عليه القرآن هو الأول والآخر ونص عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بقوله: **"اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء"** لكان أولى. (٢)

وقال الشيخ ابن بازرحمه الله: هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح ابن أبي العزرحمه الله وغيره وإنما ذكره كثير من علماء الكلام (**وعلماء الكلام لا يؤخذ بقولهم في هذا الباب**) ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح ولفظ القديم لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام لأنه يقصد به في اللغة العربية المتقدم على غيره وإن كان مسبوقا بالعدم كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

---

(١) شرح ابن مانع (٢٦ ـ ٢٧) من الرياض الندية.

(٢) الرياض الندية (٢٦).

إذن فتسمية الله بالقديم فيه قصور لأن القديم في اللغة الذي يسبقه غيره قال وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها المؤلف: (قديم بلا ابتداء) ولكن لا ينبغي عده في الأسماء الحسنى لعدم ثبوته من جهة النقل ويغني عنه اسم الأول كما قال سبحانه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: اعلم أنه ليس من أسماء الله القديم وإنما هو استعمال المتكلمين فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره فيقال هذا قديم للعتيق وهذا جديد للحديث ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره لا في مالم يسبقه عدم كما قال تعالى ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون.

الثاني فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم وإن كان مسبوقا بغيره، كما حققه شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى"، والشارح ابن أبي العز، ونبه على هذا أيضا صاحب كتاب صفات الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى السقاف علوي بن عبد القادر، وليس السقاف المعتزلي صاحب الأردن، وكتابه من أحسن ما كتب في باب الصفات يذكر الأسماء والصفات بالأدلة وينقل من كلام شيخ الإسلام وأئمة الدعوة السلفية في هذا العصر وكتابه طيب[1].

وهناك كتاب أيضا لحسن بن نور المخربط الجامع الصحيح في الأسماء والصفات وفي ذلك الكتاب يقول أن من أسماء الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى الدهر يتابع ابن حزم، وقد رد عليه، أما كتاب السقاف فكتاب طيب ينقل عن ابن القيم الحاصل من هذا أنهم إذا ذكروا في كتبهم في وصف الله بالقديم فالمراد من باب الإخبار لأن أسماء الله بالغة في الحسن غايته وله الأسماء الحسنى والصفات العلى ولله الأسماء الحسنى فأسماؤه حسنى في غاية الحسن والكمال، والقديم

---

(١) على أنّه هو لم يسلم من الانتقادات.

ليس من هذا الباب قديم باعتبار غيره فقط فلهذا ليس من أسمائه الحسنى إنما من باب الأخبار يخبر عنه ويقال بلا ابتداء والأحسن يقال الأول كما في الآية والحديث وكل من شرح الطحاوية ينبه على هذا منهم من يقول كلام المؤلف خطأ ومنهم من يقول: (بلا ابتداء): و المعنى الصحيح.

تنبيه: شرح الطحاوية الذي ننقل منه أحيانا للبابرتي هو أشعري العقيدة يتنبه من أخطائه.

قال الطحاوي رحمه الله:

قَوْلُهُ: (لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ)

الشرح

الفناء والبيد بمعنى واحد فهو جمع بين اللفظين من باب التأكيد تأكيد لدوام بقائه وقيل أراد بالأول نفي تلاشي الذات وبالثاني نفي بطلان الحياة والصفات عنى بالأول نفي الذات وبالثاني نفي الصفات وقد جاءت الأدلة الكثيرة تؤيد ذلك قال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ، وقد ذكر في بعض الأحاديث أن بعض مخلوقاته لا تفنى فإذا كان بعض المخلوقات لا تفنى فالخالق من باب أولى ولهذا جمعها السيوطي بقوله:

ثَمَانِيَـةٌ حكـــمُ الْبَقَـــاءِ يعمهـا ... من الْخلق وَالْبَاقُونَ فِي حيِّز الْعَـدَمِ
هِيَ الْعَرْش والكرسي ونار وجنة ... وَعجب وأرواح كَذَا اللَّوْح والقلم

فهذه الأشياء الثمانية لا يلحقها الفناء وهي مخلوقات والله له المثل الأعلى فهو لا يفنى ولا يبيد لا في ذاته ولا في صفاته سبحانه وتعالى.

انظر شرح ابن أبي العز (٩٣)، وشرح الفوزان (٣٧)، من التعليقات السلفية، وشرح البابرتي (٣٥-٣٦).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ

الشرح

والمراد بالإرادة هنا الإرادة الكونية فلا يكون إلا ما يريد كونا فعلى هذا أهل السنة قسموا الإرادة إلى قسمين من زمن السلف المتقدمين وهم يقولون الإرادة تنقسم إلى قسمين:

والإرادة الكونية هي التي ترادف المشيئة والإرادة الشرعية هي التي ترادف المحبة.

والفرق بينهما: أن الإرادة الكونية واقعة لا محالة وقد تكون في المحبوب وقد تكون في المكروه وأما الإرادة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع وهي لا تكون إلا في المحبوب.

ولما لم يقسم أهل البدع الإرادة إلى قسمين ضل كثير منهم فضلوا في باب الإرادة القدرية سواء كان القدرية المعتزلة أو القدرية الجبرية وإذا أطلقت القدرية في الغالب فالمراد بهم المعتزلة في هذا الباب وإلا فكذلك الجبرية يقال لهم قدرية.

فالمعتزلة يقولون أن الله عَزَّوَجَلَّ لا دخل له في أفعال العباد أو أن الله يخلق الخير ولا يخلق الشر وهذا رد عليهم ولا يكون إلا ما يريد وأما الجبرية فهم الذين يقولون إنّ الإنسان مجبور الكافر على كفره والمؤمن على إيمانه فالإرادة عندهم واحدة كونية وهذا باطل فالإرادة كونية وشرعية و قد تجتمعان وقد تفترقان(١).

وقد جائت الأدلة في باب الإرادة كثيرة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فللعبد مشيئة وإرادة لكنها خاضعة لإرادة الله سبحانه وتعالى وقد ذكر بعض أهل العلم كشيخ الإسلام وغيره

---

(١) وانظر شرح ابن أبي العز (٣٩)، وشرح الفوزان (٣٨) من التعليقات السلفية.

نقلا عن أبي المعالي الجويني وابن عقيل الحنبلي أن أول من سوى بين الإرادتين الكونية والشرعية هو أبو الحسن الأشعري وبعضهم ينقل أنه غيره[١].

---

(١) وانظر منهاج السنة (٥/ ٣٦٠)، وشرح ابن أبي العز (٩٥)، و شرح الواسطية للهراس (١٣١ ـ ١٣٣).

قال الطحاوي رحمه الله:

لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ

الشرح

الوهم هو قوة يدرك به الجزئيات والفهم هو إدراك العقل للكليات الأمور الجزئية والكلية التي تدرك بالعقل وقوة الفهم هذا كله لا يستطيع العبد من خلاله أن يدرك عظمة الله عَزَّوَجَلَّ ولا كيفية صفاته ولهذا قال ابن أبي العز أي لا ينتهي إليه وهم وزاد بعضهم ولا تخييل ولا تمثيل ولا يحيط به علم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فكيفية صفاته سبحانه وتعالى لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى ولم يطلع العباد على ذلك.

لهذا يقول ابن قدامة في **"اللمعة"**: لا تمثله القلوب بالتصوير ولا العقول بالتفكير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، وهذا فيه أيضا النهي عن الخوض في هذا الباب إذا كانت الأوهام لا تبلغه والأفهام لا تدركه فإذا لا يجوز الخوض في باب كيفيات الصفات والبحث عنها وإنما الواجب على المؤمن أن يؤمن بما أمره الله عَزَّوَجَلَّ .

وبما شرع له من إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى دون الخوض في باب الكيفيات فصفات الله عَزَّوَجَلَّ لها كيفية لكن لا يعلم كنهها الا هو سبحانه وتعالى [(١)].

(١) انظر شرح ابن أبي العز (١٠٣ ـ ١٠٤)، و شرح البابرتي (٣٨)، وشرح الفوزان (٣٨)، ولمعة الاعتقاد مع شرح العثيمين (٢٨ ـ ٣٠).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ

الشرح

وفي بعض النسخ ولا يشبهه الأنام والرواية الأولى هي الأصح.

وقد انتقدت هذه الفقرة عن المؤلف كما انتقدها صاحب التعليقـــات الجلية أحمد بن سعد الغامدي قال ولا يشبه الأنام المراد بالأنام الناس قالوا هذا فيه قصور والذي حمل المؤلف على هذا القصور هو السجع أتى بالسجعة فوقع في القصور والا نفي التشبيه ينبغي ان يكون على التعميم يشمل والانام والجن والانس والملائكة والأشجار والأحجار فينبغي التعميم ينبغي التعميم فالله عَزَّوَجَلَّ لا يشبه شيء أولا[1].

وثانيا نفي التمثيل هو الأولى وقد ذكره المؤلف قبل في قوله: **ولا شيء مثله** فهو قد نفى التمثيل وكأنه أراد رحمه الله أن ينفي التمثيل والتشبيه ينفي العام ثم ينفي الخاص وإلا فإن الأولى هو نفي التمثيل لأنه تعبير القرآن ولأنه قد حصل بين أسماء الله وأسماء المخلوقات وصفات الله وصفات المخلوقات نوع تشبيه في التسمية أما التمثيل فليس من ذلك شيء، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

ثم نبه بعض الشراح[2] أن المؤلف قيده بالأنام وأراد البشر خصوصا وإن كان هو ممن يقول بنفي التشبيه مطلقا لكن في هذه الفقرة أراد البشر لماذا؟ ليرد على المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه من البشر الذين شبهوا الخالق بالمخلوق وأما على رواية لا يشبهه الأنام فهذا فيه رد على النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق الذين قالوا عيسى ابن الله فهؤلاء مشبهة شبهوا

---

(١) وانظر الرياض الندية (٢٨).

(٢) البابرتي في شرحه (٢٨)، وشرح ابن أبي العز (١٠٤).

المخلوق بالخالق والمشبهون من هذه الأمة شبهوا الخالق بالمخلوق فقالوا لله عَزَّوَجَلَّ سمعاً وبصراً وسائر الصفات مشابهة لصفات المخلوقين فأراد أن يرد في هذا الموطن على المشبهة من هذه الأمة الذين شبهوا الله بخلقه من البشر من بني آدم وإن كان النفي على التعميم هو الأولى ونفي التمثيل هو الأحسن والأسلم كما مر بنا في دروس ماضية[(١)].

وقد استدل المبتدعة بقول الله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى: ١١]وبمثل هذه الألفاظ لايشبهه شيء فقالوا ليس له صفات وهذا باطل فإن آخر الآية يرد على هذا القول وهو قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، فأثبت الله لنفسه سمعا وبصرا مع نفي التمثيل يثبت لله عَزَّوَجَلَّ .

ما أثبت لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تمثيل ولا تشبيه ولاتعطيل ولا تكييف، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

---

(١) انظر شرح الواسطية للعثيمين (١/ ١١ ـ ١١٢) ط: دار ابن الجوزي.

قال الطحاوي رحمه الله:

حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ

الشرح

حياته سبحانه وتعالى لا يعتريها نقص ولا قصور وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ نفسه بالحياة و القيومية في آيات كثيرة قال سبحانه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ بين هذين الاسمين الحي والقيوم في ثلاث آيات من القرآن الأولى في سورة البقرة في آية الكرسي، والثانية في سورة آل عمران في أولها ﴿ وَألم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ والثالثة في سورة طه في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾[طه: ١١١].

وعلى هذا قال بعض أهل العلم الحي القيوم هما الاسم الأعظم وقد حصل خلاف بين أهل العلم وأهل البدع في باب الاسم الأعظم على قولين:

القول الأول: أنه ليس هناك إسم أعظم وهذا قال به الطبري وأبو علي الجياني وابن حبان والباقلاني وأبو الحسن الأشعري.

والقول الثاني: وهو قول جماهير أهل العلم بأنه قد جاء في الأدلة الاسم الأعظم للحديث « **لَقَدْ سَأَلَ اللهَّ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى** ». هذا حديث بريدة وجاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وكلاهما في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا الوادعي.

ثم اختلف الجمهور على قولين:

القول الأول: أن الاسم الأعظم موجود لكن لا يدرى ما هو، ليس بمعين.

والقول الثاني: أنه موجود ومعين، ثم اختلف أصحاب هذا القول على أربعة عشر قولا، فمنهم من قال: أنه "الحي القيوم" لهذه الثلاث الآيات، ومنهم من قال بغير ذلك، وأحسن الأقوال أنه لفظ الجلالة أنه الله هو الاسم الأعظم بدليل أنه ما من دليل استدل به أصحاب قول من الأقوال بالاسم الأعظم إلا وكان فيه لفظ الجلاله بخلاف غيره من الأقوال التي اختاروها ربما يوجد في دليل ولا يوجد في الدليل الآخر فلهذا كان لفظ الجلالة هو الاسم الأعظم.

(القيوم): يقول الشيخ السعدي رحمه الله في "تفسيره":

الحي القيوم هو كامل الحياة القائم بنفسه القيوم لأهل السموات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم. فالحي الجامع لصفات الذات القيوم الجامع لصفات الأفعال اهـ[(١)].

وهذا هو الفرق بينهما، ويقال أيضا «القيم»، ويقال «القيام»، وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه في الصحيح « قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» وأيضا قرأ عمر رضي الله عنه (قيام) في البخاري معلقاً وجاء موصولا خارج الصحيح وصححه الشيخ الألباني رحمه الله وأيضاً (قيم) وأبلغها قيوم.

قوله "لا ينام" : الله عَزَّوَجَلَّ نفى عن نفسه ما هو أدنى من النوم وهو السنة مقدمة النوم ولا بد من تلازم بين الحياة والقيوم فإنه لا يكون قيوم للسموات وما فيها إلا وهو حي ولهذا كان ارتباط بين قوله حي وقوله قيوم.[(٢)]

---

(١) وانظر شرح الفوزان (٤٠)، التعليقات السلفية.

(٢) وانظر كتاب صفات الله عزّ وجل، لعلوي السقاف (٢٤٧ ـ ٢٤٨).

قال الطحاوي رحمه الله :

خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مؤنَةٍ

الشرح

لأنّ الحاجة نقص و الله عَزَّوَجَلَّ غني عن ذلك وهو الغني الحميد.

فلا يحتاج إلى شيء وخلقه للعباد سبحانه وتعالى ليس لحاجته إليهم ولا لفقره إليهم وإنما خلقهم وهو لا يحتاج إليهم لحكمة إقتضاها سبحانه وتعالى.

(رَازِقٌ بِلَا مؤنَةٍ) بلا ثقل وبلا كلفة وبلا مشقة، بل وبلا معالجة للأسباب كما يفعل المخلوق لكمال قدرته سبحانه وتعالى.

وهو القائل سبحانه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ورزقه للعباد سبحانه وتعالى حسي ومعنوي الحسي مايصل إليهم من أنعامه في المأكل والمشرب والملبس وسائر ما يمتلكونه في الدنيا[١] وأما المعنوي فهو رزق الإيمان والطاعة والهداية في الدنيا ورزق الجنة و الرضوان في الآخرة وهو أعظم الرزقين وأكملهما.

(خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مؤنَةٍ): وهذا مما يدل على أنه ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى فإن المخلوق إن صنع شيئا لحاجة يبتغيها وإن أعطى شيئا فلقصد يريده وأما الله عَزَّوَجَلَّ فكما قال في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر: ١٥]، ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩].

(١) انظر شرح ابن أبي العز (١١٣ ـ ١١٤)، وشرح البابرتي (٤١).

قال الطحاوي رحمه الله : :

مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ

الشرح

أي أن الله عَزَّوَجَلَّ يميت العباد إذا اكتملت آجالهم لا لأنه خائف منهم ولكن لحكمة عظيمة فإن الحياة لها نهاية وهكذا لابد من بعث ونشور فوجود العباد وعدم العباد عنده سواء ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[لقمان: ٢٨]، فلهذا يميتهم بلا مخافة ويبعثهم بلا مشقة ولا كلفة قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ويقول سبحانه ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٨]، وهكذا آيات كثيرة فيها بيان البعث وأن الذي خلق الإنسان في أول أمره قادر على أن يعيده مرة أخرى﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤]، وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ مخاطبا المشركين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾[الحج: ٥]، إلى آخر ما بينه الله عَزَّوَجَلَّ من أطوار الإنسان وأن إعادته ليس فيه مشقه عليه سبحانه وتعالى[(١)].

(١) انظر شرح البابرتي (٤١)، وشرح الفوزان (٤١ ـ ٤٣). .

قال الطحاوي رحمه الله:

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ
لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ

الشرح

وهذا فيه رد على المعتزلة والجهمية الذين قالوا بأن الله عَزَّوَجَلَّ صار قادرا على الفعل بعد أن لم يكن متصفا بالصفات، وفيه رد أيضا على الأشاعرة ومن على طريقتهم فالله عَزَّوَجَلَّ موصوف بصفاته أزلا وأبدا وهو الفعال لما يريد سبحانه وتعالى.

ومعناه أنّ صفاته سبحانه وتعالى تابعة له، فهو الأول ليس قبله شيء، فكذلك صفاته.[(١)]

قال الطحاوي رحمه الله: (لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ): ومعنى ذلك أنه مازال خالقا ولا يزال خالقا أبدا وأزلا وأن هذه صفة لازمة له سبحانه وتعالى ليس معناه أنه عند أن خلق الخلق استفاد هذه الصفة واتصف بهذه الصفة بل إنه موصوف بصفات الكمال سبحانه وتعالى أزلا وأبدا.[(٢)]

---

(١) مختصرا من شرح الفوزان (٤٣).

(٢) شرح الفوزان (٤٤).

قال الطحاوي رحمه الله:

كَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا. لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ"الْخَالِقِ"، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ"الْبَارِي :

الشرح

وهذه إشارة من الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إلى مسألة مهمة خاض فيها بعض أهل العلم وهي هل للحوادث أول حوادث لا أول لها أو ما يسمى بمسألة تسلسل الحوادث وهي من المسائل التي تعتبر من فضول المسائل والخلاف فيها خلاف طويل الذيل قليل النيل فلم يخض في ذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ولا التابعون وإنما يقال الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بالصفات العليا ومسمى بالأسماء الحسنى وهو موصوف سبحانه وتعالى بالصفات أزلا وأبدا يفعل ما يشاء فعال لما يريد ليس معناه أنه خلق ولم يكن قبل ذلك خالقا ورزق ولم يكن قبل ذلك رازقا وأحي ولم يكن قبل ذلك محييا وأوجد ولم يكن قبل ذلك موجدا بل هو موصوف بالصفات أزلا وأبدا.

قوله: لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ"الْخَالِقِ"، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ"الْبَارِي : والخالق والباري بمعنى واحد وإنما كرره المؤلف للتأكيد هذا فيه رد كما سمعت على الفلاسفة والجهمية ومن على طريقتهم الذين يقولون أن الله عَزَّوَجَلَّ صار قادرا على الفعل والخلق والإحياء والإماتة بعد أن لم يكن وهذا قول باطل والحديث عن هذه المسألة والتفصيل سيكون في الدرس القادم إن شاء الله تعالى [١].

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٨/ ٢١٣/ وبعد)، وشرح ابن أبي العز (١٢٣ ـ ١٣٤).

قال الطحاوي رحمه الله:

لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ

الشرح

أي أنه هو رب كل شيء قبل أن توجد المخلوقات ومعنى الخالق ولا مخلوق وهذا فيه رد على الأشاعرة الذين يقولون صفات الذات قديمة وصفات الأفعال حادثة فإن الخلق من صفات الأفعال وأيضا هو قول عامة المعتزلة[١].

وقال الفوزان: وهو كذلك رب قبل أن توجد المربوبات[٢]. اهـ

---

(١) انظر شرح البابرتي (٤٧).

(٢) مختصرا من التعليقات السلفية (٤٦).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ

الشرح

هذه الفقرات من قوله مازال بصفاته قديما قبل خلقه إلى هذه الفقرة هي تتحدث حول مسألة يسميها أهل العلم مسألة تسلسل الحوادث ولفظة تسلسل الحوادث لم يأتي بها دليل في الكتاب ولا في السنة من حيث اللفظ إثباتاً ولا نفياً، ومع ذلك فإن هذه المسألة من المسائل التي حصل فيها الخوض كثيرا، ولهذا سنذكر لكم ثلاث فوائد تتضح بها هذه المسالة، وهي:

الفائدة الأولة: أن التسلسل على ثلاثة أقسام:

الأول: تسلسل ممتنع وهو التسلسل في المؤثرين أي في الخالقين فهذا ممتنع بمعنى ذلك أن يكون كل خالق وراءه خالق هذا تسلسل ممتنع.

الثاني: تسلسل في أفعال الرب وهذا تسلسل واجب فالله عزّوجل فعال لما يريد في الأزل والأبد يعني معناه لم يكن ليس موصوفا ثم وصف بل هو موصوف أزلا وأبدا.

الثالث: تسلسل في مفعولاته أي في مخلوقات وهذا ممكن وسيأتي تفصيله.

الفائدة الثانية: ذكرها ابن أبي العز أقوال الناس في دوام الأفعال قسمهم إلى ثلاثة أقسام:

القول الأول: الذين قالوا لا يمكن دوامها لا يمكن دوام الأفعال لا في الماضي لا في المستقبل هؤلاء هم الجهمية وعلى رأسهم الجهم ابن صفوان وأبو الهذيل العلاف الذين يقولون بفناء الجنة والنار فيقولون الأفعال لا تدوم أزلا ولا أبدا.

القول الثاني: هم الذين يقولون بدوامها أي الأفعال في المستقبل دون الماضي وهو قول أصحاب الرأي وجماعة من الفقهاء ومال إليه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ واستدلوا بمثل حديث (أول ما خلق الله القلم) قالوا هذا أول مخلوق إذا فلا يقال بدوامها وتسلسلها في الماضي.

القول الثالث: قالوا يمكن دوام الأفعال في الماضي والمستقبل وهذا قول كثير من أهل الحديث ومنهم شيخ الإسلام بن تيمية.

الفائدة الثالثة:

وهي مسألة تسلسل الحوادث هل يقال بتسلسل الحوادث على الإطلاق أم يقال بعدمها على الإطلاق الجواب هذه المسألة فيها تفصيل لأن هناك ما يسمى بالاقتران وهناك ما يسمى بالتعقيب وهناك ما يسمى بالتراخي و في هذه المسألة أقوال.

القول الأول: وهم الفلاسفة ويقولون بالاقتران ومعنى هذا أن وجود العالم مع وجود الله لم يسبق أحدهما الآخر وهذا قول باطل بإجماع أهل الإسلام بل وأهل الملل والنحل لأن هذا يفضي إلى إنكار وجود الخالق وأن هذا الكون ما خلقه الله وركز على قولهم بالاقتران لأن بعض الناس اتهم شيخ الإسلام بأنه يقول بقول الفلاسفة وهذا قول باطل، واتهام شيخ الإسلام ظلما وزورا.

القول الثاني: الذين يقولون بالتراخي وهم المعتزلة والأشاعرة والكلابية فيقولون العالم والمخلوقات جنسها وأفرادها لم تكن موجودة ثم وجدت بمعنى أن الله لم يكن متصفا بالفعل ثم اتصف لم يكن متصفا بالخلق ثم اتصف بالخلق لم يكن متصفا بالإرادة ثم اتصف بالإرادة وهذا أيضا قول باطل.

القول الثالث: وهو القول بالتعقيب فيقال جنس الحوادث قديم وأما أفرادها فهو حادث ومعنى هذا أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يزل ولايزال متصفا بصفاته العليا من الخلق والإرادة والتدبير

والملك بينما مخلوقاته ومفعولاته آحادها حادثة بمعنى أنها حدثت بعد أن لم تكن خلقت بعد أن لم تكن مخلوقه وهذا هو قول شيخ الإسلام بن تيمية ونقله عن أهل الحديث نقله عن الإمام أحمد وعبد الله بن المبارك وهو قول بن القيم وابن أبي العز واختاره من المعاصرين محمد خليل الهراس والسعدي العلامة العثيمين.

وقد اتُّهِم شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يقول بقول الفلاسفة وهذا باطل فإن الفلاسفة يقولون في الحوادث أنها حادثة أصلها وجنسها وفرعها وشيخ الإسلام بن تيمية لا يقول بهذا وذكروا فروقا بين قول شيخ الإسلام والفلاسفة فالله عَزَّوَجَلَّ متصف بصفاته أزلا وأبدا هذا هو الخلاصة.

ولهذا فإن شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ توقف في هذه المسألة، قال لأنه لم يأت دليل في هذا الخوض هذه مسألة حادثة وإنما نقول متصف سبحانه وتعالى بصفاته أزلا وأبدا فعال لا يريد وإذا ترك الإنسان الخوض في هذه المسألة من أصلها فهو أحسن ولكن هذا التفصيل يبين لك ويوصلك إلى المعنى الصواب أن من قال بأن الحوادث لها أول بمعنى المخلوقات وأما فعل الله عَزَّوَجَلَّ فهو متصف به أزلاً وأبداً فهذا صواب أن الله متصف بأفعاله أزلا وأبدا فلم يكن معطلامن الخلق ثم خلق.

ولهذا يقول الطحاوي (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلِقِهِ.لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ): يعني معناه آحاد المخلوقات حادثة أما صفة الخلق لله عَزَّوَجَلَّ فهو متصف أزلا ومتصف بها أبدا أزلا في القدم وأبدا في المستقبل هذا خلاصة هذه المسألة باختصار أما الحديث الذي استدل به من يقول بدوام الأفعال أو بانقطاعها في الماضي استدلوا بحديث **"أول ما خلق الله القلم "**: وليس صريحا فإن المعنى أول ما خلق الله القلم قال له أكتب وهكذا في الحديث فيكون المعنى أنه أول ما خلقه أمره بالكتابة ليس أنه أول مخلوق

ثم إن جمهور أهل العلم يرون أن العرش مخلوق قبل القلم كما ذكر ذلك ابن القيم في النونية قال:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أم هو قبله ... قولان عند أبي العلى الهمداني
والحق أن العرش قبل لأنه ... وقت الكتابة كان ذا أركان

هكذا يقول بن القيم رحمه الله: مرجحا أن العرش قبل القلم يفسر الحديث: «أول ما خلق الله القلم قال له أكتب» أي: إنّ أول ما خلقه قال له أكتب وليس معنى أنه أو مخلوق.

وكما سمعت هذه المسألة الخوض فيها بأكثر من هذا قد يكون لا حاجة إليه لكن نؤمن بأن الله موصوف بالصفات العلى و يسمى بالأسماء الحسنى لم يكن معطلا من صفاته ثم اتصف بها هذا الذي يجب أن نؤمن به بل هو فعال لما يريد موصوف بصفاته أزلا وأبدا هذا الذي يجب أن نؤمن به أما الخوض بعد ذلك في هذه التفاصيل فقد لا يحتاج إليه بقي مسألة نجعلها في الدرس القادم في قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هذه للدرس القادم .

من أحسن من تكلم على مسألة تسلسل الحوادث ابن أبي العز رحمه الله[1]، هناك رسالة لكن ماهي موجودة عندنا لكاملة الكواري بتقديم سفر الحوالي لكن ما أدري ما حالها لعلها من الإخوان المفلسين تسلسل الحوادث في مجلد وممن تكلم على هذه المسألة الشيخ العثيمين في شرح السفارينية [2] بكلام طيب وأيضا الشيخ عبد الرحمن البراك [3] في شرحه على

---

(١) شرح ابن أبي العز (١٣٤ ـ ١٤٠)

(٢) شرح السفارينية للعثيمين (٣١٥ ـ ٣١٩)، ط: مدار الوطن.

(٣) شرح الطحاوية للبراك،(٦٦)، وانظر مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٤) (١٧/ ٢٢٠ ـ ٢٤٣).

قال الطحاوي رحمه الله:

ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ إليه يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

الشرح

قوله ذلك بأنه على كل شيء قدير هذا فيه رد على المعتزلة القدرية الذين يقولون بأن الله عَزَّوَجَلَّ يخلق الخير ولا يخلق الشر وأن العباد يخلقون أفعالهم فإن الله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير وهو الذي خلق العباد وأفعالهم وأيضا العباد إليه مفتقرون لا يمكن أن يستغني العباد عن الله ومن استغنى عن الله طرفة عين كما قال الطحاوي في آخر الطحاوية فقد كفر وصار من أهل الحين

قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر: ١٥]، فالعباد كلهم مفتقرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ في دفع الضر عنهم وجلب النفع وفي سائر شؤونهم وأمور العباد كلها يسيرة على الله سبحانه وتعالى فهو الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو كما قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، لا يشغله شأن عن شأن لا ينشغل بإماتة بعض المخلوقات عن إحياء بعضها ولا بتدبير هذا الشيء عن تدبير الآخر .

بل أمور الكون كلها عليه يسير سبحانه وتعالى فهو خالق الكون وموجده عَزَّوَجَلَّ ثم بين أنه ليس كمثله شيء لا في صفاته ولا في أسمائه ولا في ذاته سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، وهذا رد على المشبهة والممثلة والمعطلة رد على الذين يمثلون الخالق بالمخلوق، والمخلوق بالخالق، ورد على الذين يعطلون الله من كماله المقدس، ويعطلون أسمائه وصفاته، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتردية، ومن كان على طريقتهم، فهو له الأسماء الحسنى وله الصفات العلى.

وهذا فيه أيضا تقرير مسألة الإيمان بالقدر، وأنه ركن من أركان الإيمان وعند هذه الفقرة عند قوله بأنه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ذكر الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع فائدة نقرأها وهي أنه قال: يجيئ في كلام بعض الناس وهو على ما يشاء قدير وليس ذلك بصواب قال بل الصواب ما جاء في الكتاب والسنة وهو على كل شيء قدير لعموم مشيئته وقدرته سبحانه وتعالى خلافاً لأهل الاعتزال الذين يقولون إن الله سبحانه وتعالى لم يرد من العبد وقوع المعاصي بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله ولهذا يقول أحد ضلالهم .

زعم الجهول ومن يقول بقوله ... إن المعاصي من قضاء الخالق

إن كان حقا مايقول فلما قضى ... حد الزنى وقطع كف السارق

قال أبو الخطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو الكلوذاني في بيان الحق والصواب:

قالوا فأفعال العباد فقلت ... ما من خالق غير الإله الأمجد

قالوا فهل فعل القبيح مراده ... قلت الإرادة كلها للسيد

لو لم يرده و كان كان نقيصة ... سبحانه عن أن يعجزه الردي

وهذه الإرادة التي ذكرها أبو الخطاب هي الإرادة الكونية القدرية لا الإرادة الكونية الشرعية[1] وهذا الإنتقاد الذي انتقده إبن مانع له تعليقات طيبة على العقيدة الطحاوية ووافقه على هذا الانتقاد الشيخ الفوزان حفظه الله[2] في تعليقاته على العقيدة الطحاوية واعترضه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في السلسلة الصحيحة[3] يقول: بل هو صواب، ويذكر حديث

(١) الرياض الندية (٣٣ ـ ٣٤).

(٢) التعليقات السلفية (٣٤).

(٣) السلسلة الصحيحة (٢٦٠١).

(آخر من يدخل الجنة الجنة وفي آخره يقول أتستهزأ بي حين يضحك الرب فيقول لا ولكني على ما أشاء قادر).

الشيخ الألباني إستدل بهذا الحديث وبقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، استدل على أنه يجوز وعلى أن هذه العبارة صحيحة قال فأقول بل هو عين الصواب بعد ثبوت ذلك في هذا الحديث لا سيما ويشهد له قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ وذلك لا ينافي عموم مشيئته وقدرته تعالى.

كما توهم المشار إليه ويقصد به ابن مانع والله أعلم

وجاء الشيخ العثيمين فأتى بتفصيل جميل وبقول سديد في هذه المسألة التي هي: هل يجوز الاستثناء في القدر فنقول وهو على كل شيء قدير، أو وهو على ما يشاء قدير، أو وهو على مايشاء قادر، هل يجوز الاستثناء في القدر. فذكر رَحِمَهُ اللهُ كما في تفسيره لسورة [البقرة آية ١٤٨]، وذكر نحوه عند تفسير سورة الشورى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، وهكذا ذكره مختصراً في "الشرح الممتع"، فقال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللهُ : وهنا كلمة يقولها بعض الناس إن الله على مايشاء قدير وهذا لا ينبغي لماذا ؟

أولاً: لأنه خلاف إطلاق النص والنص مطلق ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وأما الآية المتقدمة فسيأتي الجواب عنها.

ثانياً: قال لأنه قد يفهم منه تخصيص القدرة بما يشاء لأنه يفهم منه تخصيص القدرة بما يشاء الله دون ما لم يشأ والله قادر على ما يشاء وعلى ما لا يشاء إذا قلنا والله على مايشاء قدير مفهومه أنه هناك أشياء ما شائها الله لا يقدر عليها وهذا باطل.

ثالثاً: قد يفهم منه مذهب المعتزلة والقدرية الذين قالوا إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يشاء أفعال العبد فهو غير غير قادر عليه.

المعتزلة يقولون إن الله ما خلق أفعال العباد يعني ما شائها.

لأن مرتبة الإرادة والمشيئة قبل الخلق مادام أنه ما خلقها إذا ما أرادها وما دام أنه ما أرادها إذا ليس بقادر عليها قال ولهذا ينبغي أن نطلق ما أطلقه الله بقول نفسه نقول إن الله على كل شيء قدير أما إذا جاء في القدرة وهذا هو المقصود مضافة إلى فعل معين فلا بأس أن تقيد بالمشيئة كما في قوله وهو على جمعهم إذا يشاء قدير كما في الآية التي في سورة الشورى قال فإن إذا يشاء عائد على الجمع لا على القدرة.

فهو قدير على الشيء شائه أم لم يشأه، لكن جمعه لا يقع إلا بالمشيئة قال ومنه الحديث في قصة الرجل الذي أكرمه الله سبحانه وتعالى فقال ولكني على ما أشاء قادر هذا في الحديث لأنه يتكلم عن فعل معين، ولهذا قال قادر أتى بإسم الفاعل الدال على وقوع الفعل، دون الصفة المشبهة وهي قدير الدال على الاتصاف بالقدرة.[١]

قال الشيخ الفوزان حفظه الله[٢]: يقول بعض المؤلفين أنه على ما يشاء قدير فهذا غلط لأن الله لم يقيد قدرته بالمشيئة بل قال أنه على كل شيء قدير فقل ما قال الله سبحانه وتعالى.

إنما هذه وردت في قوله تعالى وهو على جمعهم إذا يشاء قدير لأن الجمع له وقت محدد في المستقبل وهو قادر على جمعهم في ذلك الوقت، أي أهل السموات والأرض قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى: ٢٩].

---

(١) انظر المناهي الفظية للعثيمين (٣٨ ـ ٤٠)، ط: دار ابن الجوزي القاهرة.

(٢) التعليقات السلفية (٣٤).

قال الطحاوي رحمه الله:

خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا

الشرح

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٥]، وخلقه سبحانه وتعالى لجميع المخلوقات والكائنات على تنوعها وتعددها واختلاف حياتها وحركاتها وسائر شؤونها يدل على علمه سبحانه وتعالى وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]. فهو خلقهم وهو أعلم بهم بعد خلقهم وقبل إيجادهم[١].

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا»: وقد جاء ذلك في الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة في بيان القدر قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

والقدر الإيمان به ركن من أركان الإيمان وقد فرّق الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الكلام في مسألة القدر في مواطن متعددة من العقيدة الطحاوية ولو أنه جمعه في موضع واحد لكان أحسن.

ففرقه وسيأتي الكلام على القدر بأوسع من هذا.

(١) انظر شرح الفوزان (٥٠).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا

الشرح

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

قال أهل التفسير ـ عند هذه الآية ـ: ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ أي: أنه مؤقت لا يتقدم ولا يتأخر ويحتمل أن يكون المراد أنه أنه كتاب مبين في اللوح المحفوظ مكتوب فيه(١)، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].(٢)

وقد كتب الله عَزَّوَجَلَّ آجال العباد وهم في بطون أمهاتهم لا يتأخرون عنها ولا يتقدمون كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

وقد ذكر شيخ الإسلام وهكذا بعض شراح الطحاوية أنّ هذا فيه رد على من يقول بخرم الأجل وتحديد الأجل، هذا رد على المعتزلة الذين يقولون بخرم الأجل، فيقولون قاتل المقتول خرم أجله، القاتل خرم أجل المقتول، وهذا باطل بل إنه لا يقتل أحد ولا يموت أحد إلا بأجله. ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، والحديث:

---

(١) انظر شرح البراك (٧١).

(٢) انظر شرح البابرتي (٥٠).

«إن روح القدس نفث في روعي أنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فا تقوا الله وأجملوا في الطلب».

وأما قوله: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ [فاطر: ١١]: فهذا في علم الله سبحانه و تعالى أن الله عَزَّوَجَلَّ مثلا علم من فلان أنه سيصل رحمه فيطول عمره

كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، وأنه إن لم يصل رحمه فسيقصر أجله وهذا كله في علم الله عَزَّوَجَلَّ، و الله عَزَّوَجَلَّ بكل شيء عليم وأما خرم الأجل فهو قول المعتزلة وبه تقول الشيعة وهذا قول باطل فإنه لو لم يقتل القاتل المقتول لمات لأنه قد حان أجله. (١)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦)، وشرح البراك (٧٢).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ

الشرح

وهذا فيه رد على القدرية الغلاة الذين يقولون إن الأمر أنف وأن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها وهذه الفرقه كافرة مارقة خارجة من دين الإسلام، ولهذا يقول عمر بن عبد العزيز والإمام الشافعي ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أقروا به خصموا. فالله عَزَّوَجَلَّ يعلم الأشياء قبل حدوثها وعند حدوثها وبعد حدوثها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]،

وقال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فالله عَزَّوَجَلَّ علمه محيط بجميع خلقه بكلياتها وجزئياتها[(١)].

---

(١) انظر شرح البراك (٧٥ـ ٧٦).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ

الشرح

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: ذكر الأمر والنهي بعد ذكر الخلق ليعلم أنه سبحانه وتعالى إنما خلق العباد للاستعباد بالأمر والنهي ليمتثلوا أمره ويجتنبوا نهيه، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]: لآمرهم بعبادتي وأنهاهم عن معصيتي.

وهذا فيه أيضا كما أنه يجب الإيمان بالقدر يجب الإيمان بالشرع ويجب أيضا أنه يعتقد أنه لا تعارض بين الشرع والقدر كما تقول بعض فرق القدرية، وهي الفرقة الإبليسية الذين يقولون بأن الشرع يناقض القدر، فلا تناقض بينهما، بل يجب الإيمان بهما جميعا.

فهذا فيه رد على كل من ضل في باب القدر سواء الذين أنكروا القدر أو قالوا بين الشرع والقدر تناقض[(٢)]، وسيأتي الكلام على هذا والتوسع فيه في باب القدر.

(١) شرح ابن أبي العز (١٦٠).

(٢) شرح البابرتي (٥٠)، وشرح البراك (٧٦).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ، إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ. فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ

الشرح

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وهذه الفقرة فيها رد على المعتزلة الذين ينفون عموم مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ ينفون مشيئته للعباد ولا أرادها، وقد خلطوا بين المشيئة والمحبة، وخلطوا بين الأرادة الكونية والشرعية، فضلوا عن سواء السبيل.

وفيه رد على الجبرية الذين ينكرون مشيئة العبد و هذا كله باطل بل تثبت للعبد مشيئة وإرادة لكنها خاضعة لإرادة الله عَزَّوَجَلَّ.

لهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وهناك فرق بين المشيئة التي هي الإرادة الكونية وبين الإرادة الشرعية التي هي بمعنى المحبة:

فالإرادة الكونية تأتي بمعنى المشيئة وما شائه الله عَزَّوَجَلَّ كونا لابد أن يقع، وأما **الإرادة الشرعية** فهي بمعنى المحبة، والله عَزَّوَجَلَّ لا يحب لعباده إلا الخير، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والله عَزَّوَجَلَّ لا يريد شرعا الكفر والنفاق والشقاق والمعاصي ولكنه شاء ذلك كونا لحكمة بالغة[١].

---

(١) انظر شرح الألباني في الرياض الندية (٣٥)، وشرح الفوزان كما في التعليقات (٥٤)، وشرح البراك (٤٦٣).

قال الطحاوي رحمه الله:

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا. وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا

الشرح

وهذه الفقرة أيضا يقول ابن أبي العز[(١)]: فيها رد على المعتزلة الذين يقولون يجب على الله عَزَّوَجَلَّ أن يفعل بعباده ماهو الأصلح لهم، ولو كان قولهم صحيح لوجب على الله أن يفعل الأصلح لما كفر أحد، ولما عصى أحد لأن الكفر والعصيان ليس بأصلح على العباد، فإذا أوجبنا على الله عَزَّوَجَلَّ أن يفعل لعباده ماهو الأصلح معناه أنه ليس هناك كفر ولا نفاق ولا شقاق والواقع يرد ذلك ويخالفه.

ولكن يقال يفَصَّل في الإرادة حتى يسلم الإنسان من الضلال فيقال الإرادة كونية وشرعية فالكفر أراده الله عَزَّوَجَلَّ لكن أراده كونا و لم يرده شرعا والإيمان أراده الله عَزَّوَجَلَّ شرعا ولهذا يحصل وقد لايحصل من بعض الناس.

وقوله: « يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » : الهداية إما يراد بها هداية الإرشاد والدلالة وإما هداية التوفيق والإلهام.

وقد أنكرت المعتزلة هداية التوفيق والإلهام بسبب أنهم يخرجون أفعال العباد من مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فعندهم أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقدر أن يهدي العبد[(٢)] ولا يهدي أحدا وإنما يثبتون هداية الإرشاد والدلالة فعندهم معنى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، أي قالوا: من اهتدى

(١) شرح ابن أبي العز (١٦٦).

(٢) انظر مدارج السالكين (١/ ٤١٤)، وشرح البابرتي (٥٢)، وشرح البراك (٧٩).

حكم له بالهداية، ويضل من يشاء حكم له بالضلالة أي أنه ضالا، لا أنه هو الذي أضله الله، ما أراد الشر ولا أراد الكفر ولا أراد الضلال، وهذا باطل.

وإنما يهدي من يشاء أي من يستحق للهداية ويصلح لها ويحرص على طلبها ويبحث عن أسبابها ويضل من يشاء ممن لا يستحق الهداية ويعرض عنها وعن أسبابها وعن أبوابها ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ - ١٠]،

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

وإنما الهداية فضل من الله وإكرام والضلالة عدل منه سبحانه وتعالى لا جور فيه.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ، بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ

الشرح

فمن أراد منه الإيمان فهو بفضله وليس باستحقاقه وجوب ذلك، وإنما هو تكرم من الله سبحانه وتعالى، ومن أراد سبحانه وتعالى كفره فهذا بعدله، ولا يكون ذلك ظلما ولو أنه عذب أهل السموات وأهل الأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم، وإذا وقع العبد في الكفر فهذا بعدل الله سبحانه وتعالى، يعلم من هذا العبد أنه محل لايصلح للإيمان ولا للإسلام والهداية، فيكتب ذلك في اللوح المحفوظ ثم يشاؤه كونا ثم يوجده خلقا فهذا ليس فيه جبر وليس فيه ظلم كما تقدم في الآية أن هذا علم الله، ولهذا سيأتي في كلام الطحاوي أنه يقول القدر سر الله وفي موضع القدر علم الله[١].

(١) انظر شرح ابن أبي العز (١٦٨)، وشرح البابرتي (٥٢).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ

الشرح

الأضداد المراد بهم المعارضون والمعاندون والأنداد النظراء و من كان مثيلا والشبيه.

فالله سبحانه ليس له ضد ولا معارض ولا مثيل ولا شبيه ولا شيء ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وهكذا قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

وقال سبحانه ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهكذا يقول سبحانه منزها نفسه ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] ،﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

قال الطحاوي رحمه الله :

لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ
آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ

الشرح

والمراد بالقضاء هنا والحكم والأمر الكوني كما نبه على ذلك كثير من الشراح، فالله لاراد لقضائه ولا معقب أي مؤخر لحكمه ما حكم به كونا من موت أو حياة أو فقر غنى أو مرض أو سعادة أو شقاوة أو غير ذلك.

« وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ »: الكوني أن يهلك فلان أن يموت فلان أن يسعد فلان وهكذا فالله عَزَّ وَجَلَّ لايعترض عليه معترض ولا يرد أمره راد سبحانه وتعالى هذا بالنسبة للأمر الكوني والقضاء الكوني والحكم الكوني وأما الحكم الشرعي فإن من الناس من يعرض عن أمر الله وعن قضائه وحكمه والناس في هذا يختلفون من ممتثل ومعرض مستكبر

قال رَحِمَهُ اللهُ : « آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ »:وقوله بذلك إشارة إلى كل ما تقدم من الفقرات التي تقدمت من أول العقيدة.

قال رَحِمَهُ اللهُ : « وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ» : سواء كان الشرع أو القدر أو باب الأسماء والصفات وما تقدم من معتقد أهل السنة والجماعة وذكر الإيقان بعد إشارة إلى أن بعده بعد هذا قال وأيقنا قالوا إلى أن الإيمان بما سبق ليس بالتقليد وأخذ للأقوال بلا أدلة وبراهين وإنما هو بالدلائل السمعية والبراهين العقلية علما يقينيا لا يعتريه شك ولا شبهة وإنما هو إيمان وإيقان و تصديق بما جاء من الأدلة من الكتاب والسنة[١].

(١) انظر شرح البابرتي (٥٣).

الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا

قال الطحاوي رحمه الله :

وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى

الشرح

في بعض النسخ : «وأن محمدا» والصواب بالكسر لأنه مازالت في مقول القول من أول العقيدة .

قال ابن مالك في الألفية:

وهمز إن افتح لسد مصـــــدر مسدها وفي سوى ذاك اكسر
فاكسر في الابتدا وفي بدء صله وحيث إن ليمين مكملـــه
أو حكيت بالقول أو حلت محل حـال كزرته وإني ذو أمـــل

و الاصطفاء والاجتباء والارتضاء بمعنى متقارب وأسماء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة وهي أعلام وأوصاف وأشهرها محمد وأحمد(١).

وقد ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه "جلاء الأفهام" وجاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وغيره في ذكر أسمائه المشهورة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والمؤلف ذكر هذه الفقرة في هذا الموضع لأنه تكلم أولا عن التوحيد توحيد الربوبية

(١) انظر شرح ابن أبي العز (١٦٩). وللسيوطي رسالة بعنوان: «الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة».

والألوهية والأسماء والصفات وهذا يدخل في شهادة ألا إله إلا الله وفي هذه الفقرة يتحدث عن شهادة محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الفقرة يقول أهل العلم فيها الرد على الصوفية الذين بالغوا في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفعوه فوق منزلته ورد أيضا على الفلاسفة الذين سلبوا منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ النبوة والرسالة وقالوا هو مجرد رجل ذكي وعبقري فهذا رد عليهم وإن كان عبد لكنه مصطفى ونبي ومجتبى ورسول إرتضاه الله سبحانه وتعالى وإختاره وأيده بالوحي سبحانه وتعالى فهو عبد فلا يعبد ورسول فلا يكذب.

وفي هذا الموطن يذكر أهل العلم تعريف الرسول والفرق بينه وبين النبي وقد قال بعض أهل العلم بأنه لا فرق بينهما وهذا قول مردود، وقد رده العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة"(١) بِرَدٍ واسع ليبين من الأدلة أنّ هنالك فرقا بينهما وليس هما بمعنى واحد وإنما كما يقولون كل رسول نبي وليس كل نبي رسول فلا يصل إلى مرتبة الرسالة إلا بعد أن ينبأ.

واشتهر عند أهل العلم أن الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه وأن النبي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه وهذا تعريف خطأ، بل قد يكون باطلا فكيف نبي ثم لا يؤمر بالتبليغ إذا كان من هو دون الأنبياء من العلماء والمصلحين والدعاة يجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكيف بالنبي يقال لا يؤمر بالتبليغ.

ولكن من أحسن التعاريف ما عرفه شيخ الإسلام في كتابه "النبوات" واختاره العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" أن يقال بأن الرسول من بعث بشرع جديد وقال بعضهم بشرع سواء كان جديدا أو قديما والنبي من بعث لتقرير شريعة من كان قبله وهذا غالبا هكذا

---

(١) السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٦٩).

يقيد بأنه من كان في الغالب وليس على الإطلاق وهذا من أحسن التعاريف حتى يدخل آدم لأن آدم نبي وليس قبله من جاء يجدد شريعته[١].

وقد جاءت في الأدلة فروق بين النبي والرسول كثيرة في الأدلة بعضها واضحة بأنها فروق وبعضها ليست واضحة لأنها من خصائص الرسل وبعضها من خصائص الأنبياء

فمن ذلك:

١ـ أول الرسل نوح كما في حديث الشفاعة وأول الأنبياء آدم.

٢ـ الرسل غالبا يبعثون إلى قوم كافرين والأنبياء بخلاف ذلك ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت بنوا إسرائيل تسوسهم أنبيائهم كلما هلك نبي خلفه نبي معناه أنهم أهل إيمان إنما يخلف بعضهم بعضا وأما الرسل فغالبا يبعثون إلى الكفار كما في ظاهر الآيات وهذا في الغالب.

٣ـ الرسل غالبا يكذبهم أقوامهم ويحادونهم و يصدون عنهم ويحاربونهم بخلاف الأنبياء.

٤ـ أنه أختلف في مريم عليها السلام هل هي نبية أم لا ولكن لم يختلف هل هي رسولة؟، فلم يقل أحد بأنها رسولة قال بنبوتها بعض أهل العلم وهو قول مردود وهذا مما يدل على الفرق.

٥ـ الأنبياء أكثر من الرسل بأضعاف مضاعفة والرسل أقل.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٥)، والنبوات (٢٥٥)، و السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨)، وشرح الطحاوية للألباني ضمن الرياض الندية (٣٧)، وشرح الفوزان (٦١).

قال الطحاوي رحمه الله : «وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى»: وأما بأنه خاتم الأنبياء فهذا عليه أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وهكذا يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ ". بهذا اللفظ متفق عليه.

وجاء خارج الصحيح أنه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ خُتِمَ بِيَ الْبُنْيَانُ وَخُتِمَ بِيَ الرُّسُلُ». ووهم ابن أبي العز في إضافته للصحيحين[(١)].

وأيضا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين في ذكر أسمائه قال: «وأنا العاقب»، وهو الذي ليس بعده نبي وفي مسلم من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ : « وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، لا نبي بعدي»، وهكذا في مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال ﷺ « وختم بي النبيون»، وقد نقل أهل العلم الإجماع على أن من ادعى النبوة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر زنديق.

وقد يأتي بعضهم فيقول: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، معناه وزينة النبيين والخاتم بمعنى الزينة، وهذا كلام باطل لم يقل به ممن يعتد بكلامه من أهل العلم من أهل التفسير، بل إن الأدلة من السنة تبين أن المراد بخاتم النبيين أي آخرهم، الذي ختمت به الرسالة.

وليس في نزول عيسى في آخر الزمان دليل على أنه ليس بآخر الأنبياء فإن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإن نزل آخر الزمان إلا أنه يدعو بشريعة الإسلام ويعمل بها يقول بعض أهل

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز بتعليق الألباني رقم (١١٩).

العلم من هذا بأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صحابي ونبي، نبي كما هو معلوم وصحابي لأنه لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة المعراج وأيضا سيموت مؤمنا بشريعته، داعيا إليها وعاملا بها.

أما الحديث حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره: «لا نبي بعدي»: جاء بعض الزنادقة فسمى نفسه (لا) أي أنه نبي بعده وقد بشر به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال (لا) نبي بعدي و هذا باطل وكلمة لا نبي بالفتح لا نافية للجنس ونبي إسمها وأما نبي بالضم فهذا باطل.

ويأتي آخر ويقول خاتم الأنبياء من الرجال لكن يأتي بعده نساء وليس هناك دليل على المنع والجواب عن هذا بقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣]، فلم يبعث من النساء، وما جاء في مريم عليها الصلاة والسلام فهو قول مرجوح تفرد به ابن حزم والله عَزَّ وَجَلَّ قال عنها في القرآن: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وليست نبية.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الشرح

قَوْلُهُ: « وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ »: أي يقتدى به، وقد قال سبحانه قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قَوْلُهُ: « وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ »: وهذا بالإجماع نقله القاضي عياض في كتاب الشفاء :أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الأنبياء والرسل بل هو سيد ولد آدم على الاطلاق، كما جاء في حديث الشفاعة أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ».

وأما تلك الأحاديث أنه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، وفي رواية « لَا تُفَضِّلُوا بين الأنبيَاءِ»، فهذا إما أن يقال أنه من باب التواضع، أو يقال قبل أن يوحى إليه أنه أفضل الأنبياء، وإما أن يقال إن كان على سبيل التنقص فلا يجوز التفاضل بين الأنبياء وأيضا جاء في رواية أنه قال: « لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس ابن متى»، فيكون تفسير الحديث بهذا.

قَوْلُهُ: « وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ »: وهذه الفقرة من الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ قد انتقدها الشراح منهم الشيخ عبد الله بن حميد والشيخ الفوزان والشيخ الألباني والشيخ البراك وكثير ممن شرح الطحاوية قالوا هذه العبارة الأولى ألا تقال ويقال بدلها: وخليل رب العالمين، وهذا هو المتعين، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا».

ولو قيل حبيب رب العالمين فإنّ هذا يصلح لكل مؤمن ولا يكون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مزية فهناك من العباد من يحبه الله وهذه العبارة اشتهرت وانتشرت في أوساط الصوفية وهذا

قصور في وصف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه حبيب الله، لأن هناك مرتبة أعلى من هذه المرتبة وهي الخلة وهي أعلى مراتب المحبة فيقال خليل الله وإن كان هو حبيب الله بلا شك لكن الخلة أرفع[١].

وبعضهم يقول ذلك اعتمادا على حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الدارمي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ ... أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ»، وهذا حديث ضعيف، ضعفه الترمذي فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف وسلمة بن وهرام ضعيف فلم يصح هذا الحديث[٢] أما وصفه المحبة لامانع يوصف بهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

أما وصفه بالمحبة حتى غيره قد وصف ولا مزية له عنهم وقد وصف الله غيره بهذا قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»، هذا مما ينبه عليه عند هذه الفقرة.

---

(١) انظر الرياض الندية (٣٩ـ ٤٠) والتعليقات السلفية (٦٤ ـ ٦٥)، وشرح البراك للطحاوية (٩٦).

(٢) الرياض الندية (٤٠)، مع الحاشية.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغيٌّ وَهَوًى

الشرح

لما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر الرسل وخاتم النبيين إذن فكل من ادعى النبوة بعده فادعائه باطل وكفر بل وزندقة قد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أنه يأتي بعده كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي»، كما في حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء في أحاديث أخر: «كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي».

والذين ادعوا النبوة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير ربما يزيدون على المائة فكيف الجمع بين هذا وبين حديث أنهم ثلاثون الجواب هؤلاء أشهرهم الذين ظهرت دعوتهم وكان لهم أتباع وإلا فالمدعون كثير لكن بعض الناس يدعي وليس معه من يصدقه.

وقوله: «وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغيٌّ وَهَوًى»: يقول ابن رجب: الغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه. وقال ابن حجر: الغي ضد الرشد وهو الإنهماك في غير الطاعة. وقال شيخ الإسلام: الغي إتباع الهوى. وقال القاضي عياض: الغي الإنهماك في الشر. المهم أن الغي هو الإقبال على الباطل والإعراض عن الحق والإنهماك في الباطل والاسترسال فيه والعمل بخلاف ما جاء في الشرع إذا فكل من ادعى النبوة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو على هذه الطريق المنحرفة.

وقوله «فَغَيٌّ وَهَوًى»: والهوى يقول الجرجاني في تعريفاته: هو ميل النفس إلى ما يستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع. أي ما تستلذه نفسه من الباطل يميل إليه ولا ينظبط بما جاء في الكتاب والسنة فهذا هو الهوى الذي ذمه الله عَزَّ وَجَلَّ وذمه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

ولهذا قال سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[الجاثية: ٢٣]، معناه أنه يستبدل مكان الشرع ما تستلذه نفسه وترغب فيه وهذا هو إتباع الهوى ومحبته.

وكان من المشهورين في هذا العصر الحاضر ممن ادعوا النبوة وكان لهم أتباع كثيرين رجل في بلاد الهند يقال له مرزة غلام أحمد القادياني وتابعته هذه الفرقة وهي ما تسمى بالفرقة (القاديانية)، ادعى النبوة وصار له أتباع في الهند وفي أوروبا وأمريكا وقد كانت له خاتمة سيئة كما ذكروا في ترجمته قالوا أصيب بمرض الكوليرا فكانت تخرج النجاسة من فمه، ومات وهو في بيت الخلاء هذا زعيم القاديانية عجيب أمرهم يدعي النبوة وعندهم مساجد ويصلون فيها ويدعون أنهم عندهم نبي، وقد تكلم الشيخ الألباني في شرحه عليهم بكلام طيب وغيره من أهل العلم[١].

(١) انظر الرياض الندية (٤١ـ٤٢).

قال الطحاوي رحمه الله :

وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى،
بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ

الشرح

و هذا من خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعضها يختص بها دون سائر الأنبياء وبعضها يختص بها دون سائر البشر عموما وبعضها يختص بها على أمته ويشاركه فيها الأنبياء ومن خصائصه التي لم يشاركه فيها الأنبياء والرسل أنه مبعوث إلى كافة الناس إلى الجن والإنس، ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»، و قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، وقال سبحانه: ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال في شأن الجن: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) ﴾ [الأحقاف: ٢٩ـ٣٠]، فهذا يدل على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبعوث إلى الجن والإنس والناس كافة.

وهذا فيه رد على بعض فرق النصارى واليهود الذين يقولون بأنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما بعث إلى العرب خاصة قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (١).

هذا يدل على عموم رسالته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وجمهور أهل العلم على أن الجن ليس فيهم رسل وإنما فيهم نذر كما في الآية المتقدمة: ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ذكر أهل التفسير عن مقاتل بن حيان أنه قال بأن من الجن رسل ومن الإنس رسل وهذا يذكر بغير إسناد.

و ذكر الإمام ابن جرير في تفسيره أو روى في تفسيره عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: «من الجن رسل ومن الإنس رسل». وهذا الأثر ضعيف جدا، لايصح عن الضحاك لأنه من طريق محمد بن حميد الرازي وهو متروك، وبعضهم قد كذبه وهذا قول مرجوح وقال به بعض أهل العلم لكن الصحيح أن الجن ليس فيهم إلا نذر ولا دليل أنه فيهم رسل.

وأما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والخطاب في أول الآية للجن والإنس هذا في الجملة فالمراد بالرسل أي من الإنس فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رسول إليهم وإلى الإنس (٢).

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ: « وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى »: الورى يطلق على الأحياء وأما الناس فيطلق على الأحياء والأموات.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ: « بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ »: الهداية فيما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحق كذلك في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولهذا قال الله : ﴿إن هذا

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).

(٢) وانظر مجموع الفتاوى (١٩/ ٩ـ ١٢)، وأكام المرجان للشبلي (٥٩)، وشرح ابن أبي العز (١٩٣)، وشرح الفوزان حفظه الله (٦٨)، وشرح البابرتي (٥٨)، وشرح ابن أبي العز (١٩٠).

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النُّور: ٥٤]، قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ »: أي أن ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى من القرآن والسنة هو نور وضياء يستضيء به العباد والخلق ويستنيرون قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[الأحزاب: ٤٦]، قال سبحانه: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٢٢].

وهكذا قال:﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [التَّغَابُنِ: ٨]، فهو نور معنوي يستضيء به العباد وتصلح به أحوالهم وتستنير قلوبهم وهكذا قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فمن أعرض عن هذا الحق فقد ضل ومن إبتعد عنه فقد هلك ومن أخذ به فقد نجى.

القرآن كلام الله

قال الطحاوي رحمه الله:

وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ. فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ - فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ.

الشرح

قوله: «و إن» معطوفة على ما تقدم وهي في محل نصب مقول القول.

وهذه الفقرة لما بدأ الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أولا ببيان التوحيد وبيان شيء من أمور التوحيد وأقسامه ثم ثنى ببيان النبوة والرسالة والكلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرع في بيان العقيدة الصحيحة في باب القرآن لأن مدار الشرع على هذا القرآن[١].

وقوله: « وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، »: المقصود أنّ القرآن من كلام الله وليس هو كل كلام الله لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[الكهف: ١٠٩]، فالقرآن من كلام الله وكذلك التوراة والزبور والإنجيل والله عَزَّ وَجَلَّ أيضا كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكلم عباده يوم القيامة ويكلمونه كما في "لمعة الاعتقاد" للإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ.

فإذن المقصود أن القرآن من كلام الله وهو صفة من صفاته سبحانه وتعالى.

---

(١) شرح البابرتي (٦١).

وقوله: « مِنْهُ بَدَا »: بمعنى أنه هو المتكلم به حقيقة سبحانه وتعالى وهذا فيه رد على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون الكلام إما أنه حصل من الشجرة لما نادى الله عَزَّوَجَلَّ موسى وخاطبه وأنه مخلوق في بعض الأماكن وفي بعض المخلوقات، فأراد أن يبين أن هذا باطل بل إن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم حقيقة وأن القرآن منه بدأ أي تكلم به حقيقة ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ [الطلاق: ٥]، فهو تكلم به حقيقة وهو صفة له سبحانه وتعالى.

وقوله: « بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا »: المراد بلا كيفية نعلمها وإلا فإن صفات الله تعالى لها كيفيات لكن هذه الكيفية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه وتعالى (١)، فالكيفية نفوض أمرها إلى الله وهذا هو التفويض الواجب عند السلف رحمهم الله تعالى، وقد ذكر الإمام بن أبي العز في "شرح الطحاوية" أنّ الناس اختلفوا في كلام الله عَزَّوَجَلَّ عموما وفي هذا القرآن اختلفوا إلى تسعة أقوال وهي ملخصة في الآتي:

الأول: قول الفلاسفة والصابئة فهؤلاء يقولون القرآن ما يفيض على النفوس من المعاني وهو يفيض عليها من العقل الفياض ماهو العقل الفياض إختلفوا فيه على أقوال كثيرة منهم من يقول القرآن ومنهم من يقول القمر إلى غير ذلك هذا قول الفلاسفة.

الثاني: قول الجهمية والمعتزلة الذين يقولون بأن القرآن مخلوق وليس هو صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وهذا قال به الرافضة المتأخرون منهم وهو قول الزيدية أيضا وهذا ضلال مبين، كفر أهل العلم الجهمية بسبب هذا القول ونقل ابن القيم في النونية نحو خمس مائة عالم كفروا الجهمية حين قالوا بأن القرآن مخلوق فإنه صفة من صفاته سبحانه وتعالى.

الثالث: هو قول ابن كلاب عبد الله بن سعيد بن كلاب ومن تابعه كالأشعري قالوا القرآن معنى واحد قائم بذات الله ومعنى ذلك هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار.

---

(١) شرح البراك (١٠٥).

الرابع: قول السالمية ومن إليهم من أهل الكلام وهم يرجعون إلى بعض عقائد المرجئة هؤلاء يقولون هو حروف وأصوات لكنها مجتمعة في الأزل وهذا يؤدي إلى أن الله لا يتكلم.

الخامس: قول الكرامية وهشام بن الحكم الرافضي تابعهم في ذلك فقالوا حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما.

السادس: قول ابن حزم والرازي وبعض المتكلمين قالوا كلامه يرجع لما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا أيضا يفضي إلى إنكار هذه الصفة.

السابع: قول الماتريدية قالوا كلامه يتضمن معنى قائم بذاته وما خلقه في غيره وهذا أيضا يؤدي إلى أن القرآن مخلوق وكله باطل.

الثامن: قول أبي المعالي الجويني ومن وافقه من أن القرآن مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وقد تكون هذه الأقوال بعضها ليست مفهومه عند كثير من السامعين لكن الأمر الذي نفهمه ما هو المعتقد السليم في هذا الباب.

التاسع: قول السلف أن الله تعالى لم يزل ولايزال متكلما إذا شاء بما شاء كيف يشاء وأنه يتكلم بحرف وصوت وكلامه قديم النوع حادث الآحاد فهذا هو معتقد السلف رحمهم الله وأن كلامه منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود [(١)].

قال رَحِمَهُ اللهُ : « وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا »: وأدلة ذلك كثيرة ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]،

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (١٩٥ ـ ٢٠٠)، وشرح النونية للهراس (١/ ١٣٠ ـ ١٣١).

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ وأنزله وحيا عن طريق جبريل عَلَيْهِ الصَلَاةُ وَالسَلَامُ.

وهنا تنبيه لأهل التجويد لأنهم يأخذونها مسلمة بها وهي موجودة في كتب التجويد وهي باطلة بل تؤدي إلى قول الجهمية والمعتزلة بأن القرآن مخلوق فيقولون القرآن أخذ بالأسانيد عن فلان عن فلان إلى أن يصل إلى الصحابي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويأخذه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل وجبريل يأخذه من اللوح المحفوظ وهذا القول باطل، بل أخذه جبريل عَلَيْهِ الصَلَاةُ وَالسَلَامُ من ربه تبارك وتعالى نزل به الروح الأمين لأن هذا الكلام يفضي إلى أن القرآن مخلوق في اللوح وأن الله ما تكلم به وهذا قول باطل.

ولهذا يقول الشيخ الفوزان حفظه الله في شرحه ـ منبها على هذا ـ قال: منه بدأ سبحانه ولم يأخذه جبريل من اللوح المحفوظ كما يقوله أهل الضلال فمن قال إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ أو أن الله خلقه في شيء وأخذه جبريل من ذلك الشيء فهو كافر بالله عَزَّ وَجَلَّ كفرا مخرجا من الملة كما تقوله الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم [(١)].

قوله: « غير مخلوق »: هذه العبارة يزيدها أهل العلم في كتب العقائد للرد على المبتدعة الذين يقولون أن القرآن مخلوق وإلا فإن قول المؤلف وغيره منزل يكفي فالمنزل بمعنى أنه غير مخلوق.

وأدلة ذلك كثيرة قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٦]، وكلامه صفة من صفاته سبحانه وتعالى وقد ميز الله بين المخلوقات والمأمورات قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والواو الأصل فيها أنها تقتضي المغايرة فالخلق شيء والأمر شيء آخر.

---

(١) انظر شرح الفوزان في التعليقات السلفية (٧١).

ولهذا قال سفيان بن عيينة لبشر المريسي لما ناظره في القرآن قال له يادويبة كيف تقول بأن القرآن مخلوق والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي والقرآن من الأمر بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، فالقرآن من الأمر والأمر غير الخلق.

وأما قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، فهذا إنما هو في نطاق ماهو مخلوق كما قال تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣]، أي مما يصلح للملك وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، أي مما يدخل تحت التدمير وهكذا خالق كل شيء مما هو مخلوق بدليل أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فالله أطلق عليه شيء فهل يدخل في الآية؟.

الجواب: لا الآية وإن كانت عامة لكنها عامة في ما يصلح أن ينطبق عليه الخلق والقرآن لايصلح أن ينطبق عليه الخلق [١].

مما مر معنا أنه قال: «فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾»: المشهور في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن المغيرة حين جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشرح له ودعاه فأثر فيه كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجد أبا جهل ابن أخيه فعاتبه وقال له: إنّ قريشا قد أجمعوا على أن يجمعوا لك مالا قال له ولماذا؟، قال لأنهم يرون أنك رجعت إلى محمد وصدقت كلامه فأنت بحاجة إلى مال، فغضب الوليد بن المغيرة وقال لقد علمت قريش أني من أكثرهم مالا، ثم حصل بينهم محاورة ومناقشة، فوصف القرآن بأوصاف جميلة ثم قال له إن قومك لن يرضوا عنك حتى تقول فيه شيئا فقال دعني أفكر فإذا به كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ

---

(١) انظر "بدائع الفوائد" آخر فائدة فيه.

قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ١٨ ـ ٢٥].

قال أهل العلم وهذا يدل على أن من قال في القرآن أنه مخلوق فهو كافر وواقع في جريمة شنعاء لا يتفوه بها إلا من خرج من الإسلام لماذا فإن هذا الرجل أراد أن يطعن في القرآن فبدأ بما هو الأخف ثم ترقى إلى أن وصل إلى أن يقول هو قول البشر حتى القول بأنه سحر قدمه عليه.

هذا الحديث كان الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ قد ذكره في "الصحيح المسند من أسباب النزول"، ثم تراجع عنه ورجح أنه مرسل كما رجحه بعض الحفاظ، وأما الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فيصححه في "صحيح السيرة" (١) أن الآية في سورة المدثر نزلت في الوليد بن المغيرة.

ثم بين فقال: « فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ»: وإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ بذاته سبحانه وتعالى لا يماثل خلقه ولا يشابههم فهكذا صفاته

فإن الصفات فرع عن الذات والقول في الذات هو القول في الصفات فإذا كان لايشبه خلقه بصفاته فكذلك بذاته والعكس وابن القيم يقول رَحِمَهُ اللهُ النونية:

وكذلك القرآن عين كلامه	المسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه	لفظا ومعنى ماهما خلقان
تنزيل رب العالمين ووحيه	واللفظ والمعنى بلا روغان

---

(١) (١٥٨ ـ ١٥٩).

وهذا فيه رد على بعض أهل البدع الذين يقولون القرآن هو كلام الله لفظه وآخرون يقولون كلام الله المعنى فقط وأما هذا فهو عبارة عن حكاية فكلامهم باطل والقرآن لفظه ومعناه كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

وقول الطحاوي: « بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا »: يعني بمعنى أننا لانعرف الكيفية وإن كانت صفات الله عَزَّوَجَلَّ لها كيفية بلا شك ولاريب ولها معاني حقيقية لكننا لانعلم الكيفيات ولاكنهها فإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يطلعنا على ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

قال الطحاوي رحمه الله:

وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ. مَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ. وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ. وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.

الشرح

ثم قال: « وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ»: وهذا فيه تكفير لمن يشبه الله عَزَّوَجَلَّ بخلقه وقد جاء عند اللالكائي في أصول "اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١) عن نعيم بن حماد الخزاعي الذي هو شيخ البخاري وكان إماما في السنة عنده ضعف في الحديث أنه قال: من شبهه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

فلا تشبيه ولا تعطيل وإنما إثبات مع التنزيه ومن سار على الآية المتقدمة سلم من الضلال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، فتثبت له الأسماء الحسنى والصفات العلى من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « مَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ »: أي بعقله وبصيرته اعتبر أي إبتعد وحذر من حال المكذبين والمعطلين والمشبهين أصحاب المقالات الباطلة في باب الأسماء والصفات وغيرها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ»: أي أنه هذا هو قول الكفار أخذته المشبه من قول الكفار فالكفار هم الذين يشبهون الله بخلقه ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ

(١) أصول اعتقاد أهل السنّة (٣/ ٥٨٧).

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله فهذا قول الكافرين، فمن تشبه بهم ممن ينتسب لهذه الأمه فهو كافر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ »: ولا مقارنة ولا مقاربة فصفات الله عَزَّوَجَلَّ لازمة له سبحانه وتعالى وصفات البشر قابلة للزوال وهي مسبوقة بالعدم وهكذا لا تماثل صفاته صفات خلقه لا في الكيفية ولا في الكمية لظاهر آية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] [١]، وإن وجد في بعض الأسماء والصفات تشابه فهذا ليس بدليل وإنما هو تشابه في الأسماء العزيز والحكيم والملك والحي والميت هذا تشابه في الأسماء فقط كما هو تشابه بعض أسماء ما في الدنيا وأسماء ما في الجنة.

قال تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، فليس العزيز كالعزيز وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠]، وليس الملك كالملك وقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] ، وليس الحي كالحي، وإنما هذا تشابه في الأسماء ولهذا فإنّ أهل العلم يقولون الأولى في باب النفي أن ينفى التمثيل، فيقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]، لأنه أوضح و أشمل وهو تعبير القرآن الكريم.

---

(١) انظر شرح البابرتي (٦٤).

رؤية الله

قال الطحاوي رحمه الله:

وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ *إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا. فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ .

الشرح

ذكر في هذا الموضع في هذه الفقرة مسألة مهمة من مسائل العقيدة وهي مسألة الرؤية وأشار في هذا الموطن إلى جزء من هذه المسألة وهي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة سواء كان في عرصات القيامة أو في الجنة والرؤية في الدار الآخرة تنقسم إلى قسمين القسم الأول :رؤية في الجنة وهي التي يقول عنها ابن القيم في "النونية":

ويرونه سبحانه من فوقهم ... رأي العيان كما يرى القمران

هذا تــواتر عن رسول الله ... لم ينكره إلا فاســد الإيمـان

وأحاديث الرؤية سواء كانت رؤيته لأهل الجنة أو رؤية أهل الموقف له أحاديثها متواترة ولهذا قال بعضهم:

مما تواتر حديث مــن كذب ... ومــن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شفـاعة والحــوض ... ومسح خفين وهذي بعـض

فأما رؤيته في الجنة فأدلته كثيرة منها قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فقد فسر جمهور السلف الزيادة في هذه الآية بأنها النظر إلى وجه الله تعالى.

قد جاء في صحيح مسلم من حديث صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكنه منتقد عند الإمام الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤]، ومن ذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيح عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها وفي رواية: طولها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن وجنتان من فضة آنيتهما ما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ". متفق عليه

ومن ذلك حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين دعى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في دعائه : « وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم من غير ضراء مضرة ولا فتنة مظلة».

وأما في عرصات القيامة فهذه الآية التي ذكرها المؤلف:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٢ - ٢٣]، وحديث جرير بن عبد الله البجلي وجاء عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب».

وهذه الأحاديث كما سمعت أحاديث متواترة وهكذا حديث الإتيان عن أبي هريرة قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله قال: « فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله قال:« فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد

الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله جل وعلا في غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مقامنا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه قال: فيأتيهم في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا ويضرب جسر على جهنم».

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فأكون أول من يجوزه ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان هل تدرون شوك السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال: « فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الله الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود قال: وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود قال: فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له: ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل».

قال: « ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار» فيقول: يا رب قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعو فيقول الله جل وعلا: فلعلي إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيصرف وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة فيقول جل وعلا: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعو فيقول جل وعلا: فلعلك إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة فلما قربه منها انفهقت له الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول جل وعلا: «أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك» فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك قال: فلا يزال يدعو حتى يضحك جل وعلا، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول دخول الجنة فإذا دخل

قيل له: تمن كذا وتمن كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأماني فيقول جل وعلا: هو لك ومثله معه».

قال أبو سعيد: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « هو لك وعشرة أمثاله»، فقال أبو هريرة: حفظت: «هو لك ومثله معه وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا»(١).

وهذه الرؤية قال أهل العلم من أنكرها وجحدها كفر، لأن هذا رد لهذه الأدلة وغيرها وخصوصا رؤية الله تعالى لأهل الجنة.

وقد خالف في هذه المسألة الخوارج والمعتزلة والجهمية فأنكروا رؤية الله تعالى في الدار الآخرة وقابلهم بعض غلاة الصوفية فقالوا إن الله يرى في الدنيا يقضة بالأبصار وهذا باطل(٢)، فإن الله تعالى لايرى في الدنيا بالأبصار لعدم قدرة البشر على ذلك، ولما سأل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، بمعنى أنك لاتستطيع أن تتحمل رؤيتي.

ولهذا لما سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل رأيت ربك فكان الجواب: «رأيت نورا» رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء بلفظ نور أنى أراه وهذه رواية ضعيفة منتقدة وإن كانت في مسلم فقد انتقدها الحفاظ.

وإنما قال أهل العلم بالرؤية المنامية لحديث: « رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة »،قال: فبم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: أنت أعلم قال: فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات والأرض وتلا: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام: ٧٦]، والحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ

---

(١) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٢٤٠).

اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وغيره وهو في رسالة مستقلة للحافظ بن رجب. فقال جمهور أهل السنة بإمكان رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في المنام، وأما في اليقضة فهذا شيء لا يقدر عليه العباد ولا يقال بأنها مستحيلة ولكن يقال العباد لا يقدرون عليها

والمنكرون لآية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٢]، قالوا المراد بها إلى ربها ناظره إلى ثواب ربها منتظرة فليس المراد به النظر وهذا قول باطل فإن النظر في القرآن الكريم إما أن يعدى بنفسه أو ببعض حروف الجر:

فإن كان بنفسه فإنه يكون بمعنى الانتظار والتوقف قال تعالى: ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣] ، لم يعد بشيء فكان بمعنى الانتظار.

وقد يعدى بحرف "في" الجارة ويكون بمعنى التفكر: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، أي أولم يتفكروا.

وقد يعدى بـ: "إلى" فيفيد النظر بالعين كما في هذه الآية: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٣]، ﴿ نْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وأيضا قد وجدت من هذه القرائن في هذه الآية مايدل على أن المراد به النظر حقيقة وهو إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله، ثم لو كان المراد بها الانتظار لكان في الآية تكرار وركة ولكن المعنى أنه النظر إلى الله تعالى(١).

وأما ما استدل به أهل البدع من قول الله عَزَّوَجَلَّ لموسى: ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالمراد في الدنيا وقد رد على ذلك بن القيم وقبله شيخ الإسلام واستدلوا بهذه الآية على إثبات الرؤية، ونقل ابن القيم في "حادي الأرواح" عن شيخ الإسلام أنه ما استدل مبتدع بدليل من الكتاب ولا من السنة على بدعة إلا وكان ذلك الدليل رد عليه.

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٢٤٢).

فردَّ شيخ الإسلام بهذه الآية على الجهمية وذكر وجوه عديدة على إثبات الرؤية قال في معنى كلامه :﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال لو كانت الرؤية غير ممكنه فإن الله تجلى لجبل وهو جماد فكيف بموسى وهو نبي ورسول، ولكنه لايتحمل فالجبل تدهده ولهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لايستطيع ولو كانت الرؤية ممنوعة لقال الله تعالى: إني لا أرى، ولكن قال: ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي أنك الآن لا تستطيع أن تراني.

وجاء في مسلم [(١)]: «إنكم لن تروا ربكم عز وجل حتى تموتوا» عن رجل مبهم.

واستدل المبتدعة بقول الله عَزَّ وَجَلَّ:﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهذه الآيه رد عليهم فليس فيها دليل فإن الآية نفيها نفي للإحاطة الذين أثبتوا الرؤيا من أهل السنة والجماعة لا يقولون بأن العباد يرونه ويحيطون به فإن الإحاطة شيء والرؤية شيء آخر، ولهذا قال تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين تبعه فرعون: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا ﴾ [الشعراء: ٦١]، فالإحاطة والإدراك شيء والرؤية شيء آخر ولو كانت بمعناها لكانت فيها تكرار.

وأما قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر»، فهذا ليس فيه تشبيه للخالق بالمخلوق كما قال ابن قدامة في "لمعة الاعتقاد" قال وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية وليس المرئي بالمرئي، وإنما جاء في الحديث قال:« هل تضامون في رؤيته»، أي بمعنى هل ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون في رؤية القمر ليلة البدر، الجواب: لا، إذا فكما أنه كذلك فأنتم سترون الله تعالى بكل سهولة ويسر.

وفي رواية لا تضامون أي بمعنى لا يصيبكم تعب ولا إعياء ترونه كلكم في عرصات القيامة.

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٢٤٨).

ورؤية الله في عرصات القيامة اختلف فيها أهل العلم هل هي لأهل الموقف جميعا أم أنها خاصة ببعض العباد وهذا الخلاف الأخير في دائرة أهل السنة والجماعة كما تقدم معنا مرارا وليس القائل به والمخالف فيه ممن يبدع أو يفسق وإنما يبدع من أنكر الرؤية، أما من قال أنه يراه المؤمنون فقط أو يراه المؤمنون والمنافقون أو الكفار والمنافقون والمؤمنون فهذا خلاف في دائرة أهل السنة، وجمهور أهل العلم على أن الرؤية خاصة بالمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

قال الشافعي كما في "مناقبه" للبيهقي قال: فلما حجب هؤلاء في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى.

ورد بعض أهل العلم هذا الاستدلال فقال: حجبهم عن رؤيته يدل على أنهم قد رأوه قبل ذلك، فإنه لا يحجب إلا من حصلت له الرؤية عقوبة له وحرمانا.

وقال بعض أهل العلم: بل يراه المؤمنون والمنافقون واستدلوا بالأحاديث التي فيها: فيأتيهم الله وفيهم هذه الأمة مؤمنهم ومنافقهم».

وقال بعضهم وهو قول ابن القيم والسفاريني: يراه الكل بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ [التوبة: ٧٧] واللقاء يستلزم منه الرؤية، والآية في شأن المنافقين.

وقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا يا رسول الله أنرى ربنا؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يوم صحو؟»، قلنا: لا، قال: « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحوا؟»، قلنا: لا قال: « فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما لا تضارون في رؤيتهما ينادي مناد فيقول: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون قال: فيذهب أهل الصليب مع صليبهم وأهل الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ويبقى من يعبد الله ـ من بر وفاجر ـ وغبرات من أهل

الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض ـ كأنها سراب ـ فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال: كذبتم ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدا ما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن له صاحبة ولا ولد ماذا تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم حتى يبقى من يعبد الله ـ من بر وفاجر ـ فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: قد فارقناهم وإنا سمعنا مناديا ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنا ننتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار ـ لا إله إلا هو ـ فيقول: أنا ربكم فلا يكلمه إلا نبي فيقال: هل بينكم وبينه آية تعرفونها؟ فيقولون: الساق فيكشف عن ساق فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد له رياء وسمعة فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم».

فقلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال:« مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة ـ لها شوك ـ عقيفاء تكون بنجد ـ يقال لها: السعدان ـ يجوز المؤمن كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل وكالراكب فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس في جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا والحق قد تبين من المؤمنين إذا رأوا أنهم قد نجوا وبقي إخوانهم يقولون: يا ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الرب جل وعلا: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدميه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من النار ثم يعودون ثانية فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من إيمان فأخرجوه فيخرجون من النار ثم يعودون الثالثة فيقال: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه حبة إيمان فأخرجوه فيخرجون) ـ قال أبو سعيد: وإن لم تصدقوني فاقرأوا قول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠].

فتشفع الملائكة والنبيون والصديقون فيقول الجبار ـ تبارك وتعالى لا إله إلا هو ـ: بقيت شفاعتي فيقبض الجبار قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر ـ يقال له: الحياة ـ فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل هل رأيتموها إلى جانب الصخرة ـ أو جانب الشجرة ـ فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان إلى الظل كان أبيض فيخرجون مثل اللؤلؤة فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا قدم قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتموه ـ ومثله معه ».

قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف[(١)].

وفي هذا الحديث دليل على أنه سيراه بعض أهل الكتاب ولكن الرؤيا تختلف فرؤية الله تعالى للمؤمنين رؤية رحمة و رؤية المنافقين والكافرين رؤية غضب وسخط وشيخ الإسلام يقول في "اللامية":

والمؤمنون يرون حقا ربهم   وإلى السماء بغير كيف ينزل

فيرى رَحِمَهُ اللهُ أنه يراه المؤمنون والأمر في هذا واسع وقد نبه شيخ الإسلام كما في رسالته لأهل البحرين وهي مذكورة في "مجموع الفتاوى"[(٢)] أن هذه المسألة ليست من المسائل التي يبدع فيها، فالجمهور يقولون يراه المؤمنون فقط يقولون الرؤية خاصة بالرحمة والذين يقولون يراه المؤمنون والمنافقون والكفار يقولون كل بحسبه فالمؤمنون يرونه حال رحمته إياهم ورضاه عنهم والمنافقون والكفار بعكس ذلك.

---

(١) البخاري(٧٤٣٩)، مسلم (١٨٣).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٢ـ ٥٠٦).

وأيضا في هذا الباب جاء الأشاعرة بقول جديد في ظاهره يخالف قول الجهمية والمعتزلة فقالوا الله عَزَّوَجَلَّ يرى في عرصات القيامة لكن ليس في جهة وهذا القول أشد من قول المعتزلة والجهمية والخوارج ولهذا قال شيخ الاسلام من قال بأن الله يرى ليس في جهة فقد ضحك على عقله العقلاء، لأنّ إثبات الرؤية يلزم منها إثبات الجهة ولكن أهل السنة والجماعة يقولون كما تقدم في كلام بن القيم وغيره ويرونه من فوقهم من جهة العلو وليس المقصود أنه يرى في كل مكان إنما يرى في جهة العلو وهذا لاشيء فيه.

وقوله: « وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ»: هذا كما تقدم أنهم يرونه لكن لايحيطون به فإنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٥]، وهكذا قال ولاكيفية بمعنى أنهم لا يكيفون تلك الرؤية، وليس المعنى أنه ليس له كيفية، بل له كيفية ولها معاني حقيقية ولكن العباد لايعلمون كنهها وتفصيلها لم يطلعنا عليها قال ابن قدامة لاتتمثله العقول بالتفكير ولا القلوب بالتصوير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

وقوله: وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ »: ليس في هذا دليل للمفوضة الذين يقولون نؤمن بالألفاظ والأحاديث في باب الأسماء والصفات ونفوض معانيها إلى الله تعالى، هذا هو مذهب المفوضة فإن الله تعالى خاطب الناس بكلام عربي واضح يفهمونه بل لها معنى لا نعلم كيفية الصفات.

قوله: « وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ »: أراد الرد على أهل البدعة الذين يخوضون في أحاديث الصفات وآياتها بمعاني باطلة من التأويلات والتحريفات ولهذا قال:

« لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ »، إلى آخر كلامه هذا الباب باب خطير باب الأسماء والصفات إنما يتوقف فيه على الدليل دليل الكتاب والسنة، وأما العقل فليس فيه مجال في هذا الباب وما ضلت فرق البدع إلا لما قدموا عقولهم على الكتاب والسنة.

وقوله: « فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ»: نعم، فإنه مايسمى المسلم مسلمًا إلا لأنه يستسلم وينقاد لما جاء في الكتاب والسنة، ولونظرنا إلى حال الصحابة أنهم ما خاضوا في هذه الأبواب ولا حتى الأعراب أي باب الأسماء والصفات ماجاء أحد وسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك بل سلموا وأقروا بها وأثبتوا وإذا أشكل للعبد شيء سأل عنه رد ما اشتبه إليه علمه إلى عالمه، فإن وجد من يبين له ذلك المعنى بالدليل أخذ به ولاينبغي للعبد أن يخوض بالباطل.

وبالمناسبة في هذا الموضع صاحب "شرح الطحاوية" الذي ننقل عنه في بعض الأحيان الذي هو البابرتي سار على منهج الأشاعرة وأظنه يميل إلى الأشاعرة(١).

وهؤلاء قدموا العقل على الشرع والحكم عندهم هو العقل فنفت عقولهم وإستبعدت أن الله يرى قالوا لأنه لو أثبتنا الرؤيا لأثبتنا أن له كيفية وهكذا وقعنا في التشبيه والتمثيل وهذا باطل لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

باب الرؤية واسع وقد ألف فيه المؤلفون ومن أحسن من ألف في هذا الباب الدارقطني الإمام، كان الإمام العلامة شيخنا الوادعي يقول: من أحسن ما كتب في هذا الباب، وهكذا أبو شامة وابن قدامة المقدسي، وطبعت هذه الرسائل الثلاث في كتاب واحد.

(١) انظر شرح البابرتي (٦٥)، ونعم أنه على طريقة الأشاعرة.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالْاسْتِسْلَامِ

الشرح

التسليم والاستسلام معناهما متقارب، وهذا كما يقول أهل العلم هذا من الاستعارة إذ القدم حسي فجعل الإسلام كأن له قدم ولايثبت هذا القدم إلا على ظهر التسليم والاستسلام ولهذا يقول الزهري رَحِمَهُ اللهُ من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التسليم رواه البخاري معلقا ووصله ابن أبي عاصم والخطيب.

قال الطحاوي رحمه الله:

وفَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، شَاكًّا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا

الشرح

وهذا معناه أنه يجب على المسلم أن يقنع بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يكن كثير التساؤلات عن ما لايعنيه، فمن الناس من يكون حاله دائما في التشويش والسؤال عن ما لايحتاج الجواب عنه ولا يستفيد كأن يقول قائل لماذا خلق الله هذا الرجل قصير وهذا طويل وهذا أبيض وهذا أسود، ولماذا خلق الحشرات الضارة والثعابين المؤذية، فيتسائل في أشياء لا طائل تحتها، وإنما يثبت إيمان المؤمن إذا كان مستسلم منقاد لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨]، أي خذوا الإسلام من جميع جوانبه.

وإذا خاض الإنسان وخصوصا في باب الاعتقاد بغير دليل ولاعلم فإنه يضل عن سواء السبيل كباب الصفات وكيفياتها والبحث عن ذلك فإن الذي يكون هذا حاله يصير إلى الضلال ويبتعد عن التوحيد الخالص وإنما يبقى من أصحاب الشكوك والأوهام والوساوس وربما صار حاله كحال المنافقين الذين يتشككون في عقائدهم وعلومهم وأعمالهم ولهذا يحذر المسلم أن يتكلم بغير علم وخاصة في باب العقيدة وأيضا يحذر من الجدل العقيم الذي لا فائدة فيه وربما يورث قسوة القلب وتشويش الذهن وإنحراف الإنسان.

و عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي.

فالجدل الذي لافائدة فيه ولا ثمرة منه ولا داعيا له هذا يورث الشكوك وقساوة القلب والإنحراف عن الحق وقد أكثر أهل العلم من التحذير من هذا الباب الذي لا فائدة ولاحاجة إليه فيبقى يتسائل عن أمور لا يحتاج إليها لا في عقيدته ولا في عبادته فمثلا يبحث ويريد يعرف نوع الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف أو نوع الطيور التي جمعها إبراهيم مع أنه في أمس الحاجةإلى أن يسأل عن توحيد الله وأركان الصلاة، فإذا وصل حاله إلى هذا الحال صار من المذبذبين ويخشى عليه أن يصير في حال المنافقين ويبقى في تيه وفي شك وأوهام وجدل.

ولهذا حذر أهل العلم من علم الكلام والفلسفه الذي يبعد الإنسان عن المعتقد الصحيح فإن أصحاب الفلسفه يعيشون في أوهام وشكوك ولهذا حذر كبارهم في كتبهم من هذه الطريقة التي لا تؤدي إلى اليقين ولا توصل إلى التوحيد الخالص.

يقول الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وهو يذكر حال أهل الكلام وأهل الفلسفه فرد عليه الصنعاني وقال:

لعلك أهملت الطواف بمعهد الر ... سول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد ... ولست تراه قارعا سن نادم

وهكذا الرازي وهو من كبارهم يقول:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَاقْرَأْ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي(١).

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٢٠٢ ـ ٢٠٤)، ط: مؤسسة الرسالة.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ - وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ - تَرْكَ التَّأْوِيلِ، وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ.

الشرح

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: « وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ»: الفقرة التي قبل هذه تعتبر فقرة معترضة وإلا فإن الكلام على الرؤيا ثم اعترض بهذا ليبين أنه لابد من الإيمان بما جاء في الأدلة في مسألة الرؤية.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: « وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ»: والوهم هو التوهم وهو خلاف الوهم الذي هو الغلط قال الشيخ بن مانع في "شرح الطحاوية" فكل وَهْمٍ وَهَمٌ، أي كل توهم فهو غلط، وليس كل وهم وهما أي ليس كل غلط يكون عبارة عن توهم فمن كان في باب الرؤية لا يتوهم إلا وهما لا يعتمد على الأدلة فهذا يعتبر مخطئا.

قال رَحِمَهُ اللهُ: « أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ»: أي بفهم خاطئ وطريق ملتوي كما هو حال المعتزلة والأشاعرة والجهمية.

قال رَحِمَهُ اللهُ: « إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ - وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ - تَرْكَ التَّأْوِيلِ، وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ »: والمراد بالتأويل هنا أي التحريف فإنه يلزم المؤمن هنا أن يبتعد عن التحريف وأن من لوازم الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ الإيمان باليوم الآخر وكل مايتبع ذلك ومن ذلك الرؤية.

قال رَحِمَهُ اللهُ : « وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ »: وهذا فيه رد على المعتزلة الذين أنكروا صفات الله تعالى بزعمهم أنهم ينزهون الله، فيضيفون إليه النفي السلوبي، يقولون أن الله تعالى ليس بجاهل، وهذا تنقص لله ـ سُبْحَانَهُ ـ فإثبات الصفات ليس فيه تنقص إثباتها حقيقة بغير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه هذا ليس فيه طعن ولا تنقص هذا هو التنزيه.

فالمعتزلة ومن على طريقتهم فروا من التشبيه فوقعوا في التعطيل، أنكروا صفات الله لماذا !؟ قالوا ننزه الله لأننا لو أثبتنا الصفات شابهناه بالمخلوقين فنحن ننزه فننفي الصفات فوقعوا في ما هو أشد من التشبيه وقعوا في التعطيل.

فلابد من الجمع بين الأمرين البعد عن التمثيل والتعطيل ولا يكون ذلك إلا بالتسليم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

قال الطحاوي رحمه الله:

فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

الشرح

وهذا فيه إثبات وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ وأنه لاشريك له: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ويقال واحد وأحد وفيه نفي للشريك والمثيل والند النظير وفيه نفي للتشبيه وليس هناك أحد يماثله، وإذا كان سبحانه ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته فمن ذلك أيضا في باب الرؤية فإننا أيضا نؤمن بها لكن لا نكيف ولانعطل ولا نمثل ولا نشبه.

وقد تقدم لنا في الدروس الماضية أنّ هذا حكم الرؤية في الآخرة وأما في الدنيا فإن البشر لا يقوون عليها ولايتحملونها.

استدلت المعتزلة بالآية التي فيها: ﴿لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقالوا لن تفيد التأبيد إذا لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة وأتوا بحديث موضوع: « لن ترو ربكم في الدنيا ولا في الآخرة»، فأما الآية فليس فيها دليل على ما قالوه فإن "لن" وإن أفادت التأبيد في بعض المواضع ليس من ذاتها ولكن من سياق ما ذكرت فيه من الأدلة كقوله تعالى: ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج: ٧٤]، الشاهد "لن" فإن الله ذكر الخلق وهذا من خصوصياته وإلا فإن الله يقول: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، في شأن الموت وفي الآية الأخرى:﴿ وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، إذ لن لا تفيد التأبيد.

يقول ابن هشام في "قطر الندى": لن لا تفيد التأبيد ولاالتأكيد خلافا للزمخشري. ـ قال ذلك في الأنموذج والكشاف ـ والزمخشري معتزلي على طريقة المعتزلة.

يقول الشيخ الفوزان حفظه الله :

قال أهل البدع : موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هذا دليل على نفي الرؤية.

نقول لهم: هذا في الدنيا، لأنّ موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سأل ذلك في الدنيا، ولا أحد يرى الله في الدنيا لا الأنبيّاء ولا غيرهم، وأما في الآخرة فيرى المؤمنون ربهم، وحال الدنيا ليست كحال الآخرة، فالناس في الدنيا ضعاف في أجسامهم وفي مداركهم، لا يستطيعوا أن يروا الله عزّ وجل، وأما في الآخرة فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم –جل وعلا– إكراما لهم.

ولهذا لما سأل موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ربه في هذه الآية: :﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، الجبل اندك وصار ترابا، والجبل أصم صلب، فكيف بالمخلوق المكون من لحم ودم وعظام؟ فهو لا يستطيع رؤية الله في الدنيا، وسؤال موسى رؤية الله دليل على جواز الرؤية وإمكانها.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مارأى الله بعينه إنما رآه بفؤاده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ماكذب الفؤاد مارأى وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، فهذا في شأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خلقته له ستمائة جناح(١).

(١) انظر التعليقات السلفية

قال الطحاوي رحمه الله:

وَ تَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ

الشرح

« الْمُبْتَدَعَاتِ » المراد بها المخلوقات والسائر المراد بها بقية المخلوقات وقوله تعالى أي تنزه وتعاظم وتقدس وهذه الفقرة من الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ انتقدها جُل من شرح الطحاوية ابتداء من ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ وابن مانع وابن حميد وابن باز والفوزان والبراك و الألباني رحمهم الله فإن هذه من الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل.

وقد نبه أهل العلم أن مثل هذه الألفاظ المجملة، لايجوز إطلاقها لأنه يتشبث بها أهل الباطل سواء كانت هذه الألفاظ أو غيرها كالجهة والجسم والحيز في حق الله تعالى فهي ألفاظ مجملة محدثة وينبغي أن يقتصر على ألفاظ الكتاب والسنة في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الاعتماد على هذه الألفاظ فإنه يوصل إلى تعطيل ما أثبته الله لنفسه أو يوصل إلى التشبيه أو إثبات شيء لم يثبت في الكتاب والسنة وقد ذكر أهل العلم أن الألفاظ التي ذكرها المصنف الناس فيها على ثلاثة أقسام:

١ـ قسم يطلقها على الإطلاق وهم المشبهة فيثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ ما يثبت للمخلوقين من صفاتهم وهذا هو التشبيه الذي حرمه الله تعالى وحذر منه وهو كذلك التمثيل.

٢ـ قسم ينفونها مطلقا ومرادهم نفي الصفات وهذا باطل وهم المعتزلة ومن معهم من المعطلة الذين يعطلون صفات الله تعالى.

٣ـ قسم هم أهل السنة والجماعة الذين يستفصلون في مثل هذه الأمور فإن كان المراد منها معنى من المعاني الصحيحة فإنه يثبت المعنى، وأما هذا اللفظ فإنه محدث لا يحتاج إليه، وإن

كان المقصود منها معنى باطل فإنه ينفى وسبيل التفصيل هو سبيل السلف ولهذا سلموا من الانحرافات في باب العقيدة.

وهذه الألفاظ في تفصيلها في قوله: « تَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ »: إضافة الحد إلى تعالى يحتمل المعنى الحق ويحتمل المعنى الباطل، فإنه قد يراد بالحد بمعنى الكيفية وكيفية صفاته تعالى لا يعلمها إلا الله وحده سبحانه وتعالى، فإن كان بهذا المعنى نعم، فإن البشر لا يحيطون به علما ولا يعلمون كيفية صفاته سبحانه وتعالى إلا ببرهان، والله سبحانه وتعالى لم يطلع أحدا في كتابه ولا على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد يراد بالحد أن الله تعالى بائن من خلقه عالٍ عليهم، ليس مختلطا بهم ولا ممتزج فهذا المعنى حق والله عَزَّ وَجَلَّ ليس مختلط بالخلق، ولهذا من أثبت من السلف الحد لله تعالى بمعنى أنه ليس متصل بخلقه، بل بائن منهم عالٍ عليهم، ومن نفى الحد منهم فمراده الكيفية كيفية الصفات فإنه لا يحيط بها أحد من خلقه سبحانه وتعالى.

ومع ذلك فإن هذا اللفظ محدث يتعلق به المعطلة ويتعلق به المشبهة فلا يجوز إطلاقه، وإنما يقال: الله تعالى محيط بكل شيء وفوقه، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]، و: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] وتذكر الأدلة التي فيها علو الله تعالى.

ويذكر قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]. ومن اقتصر على الأدلة سلم من الانحراف (١).

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ: « تَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ»: والغايات من الألفاظ المجملة، قد يراد بها النهاية وقد يراد بها أي المقصود من أفعال الله تعالى والحكمة منها، فإن كان المعنى ليس لله

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٢٩٤ ـ ٢٩٥)، وشرح البراك (١٤٢)، وشرح صالح آل الشيخ (١/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

تعالى حكمة فهذا باطل وإن كان المقصود بأن الله وصفاته لها غاية بمعنى لها حد معين وكيفية معينة يعلمها البشر فهذا باطل وإن كان المقصود أنه أنه عال على خلقه مستو على عرشه فهو حق، وبناءً على هذا لا تطلق هذه اللفظة.

وأما قَولُهُ رَحِمَهُ اللهُ: « وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ»: فقد يراد به أن الله منزه عن التجزء لايشبه المخلوقات في صفاتهم وقد يكون المراد به نفي الصفات وهذا الذي يريده المعطلة يقولون ليس له أعضاء ولا أركان ولاأدوات لأن هذه من صفات البشر والمخلوقين فيتعلق المعطلة بهذا في نفي الصفات.

وبالمقابل أيضا يتعلق المشبهة ويقولون له صفات كصفات المخلوقين فهذا لفظ محدث لله عَزَّ وَجَلَّ الوصف الأكمل وله الأسماء الحسنى وله الصفات العلى كما يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى، ولا نحتاج إلى مثل هذه الألفاظ.

وقد تأول أهل العلم للطحاوي رَحِمَهُ اللهُ لأنه من أهل السنة، فقالوا كلامه في هذه العقيدة يدل على أنه المعنى الحق، لأنه قد أثبت في أكثر من موضع الصفات وحذر من التعطيل وأثبت علو الله تعالى ونفى التشبيه إذا من باب إحسان الظن به أنه أراد المعنى الحق ولكن هذا اللفظ كما سمعت محدث، كما نبه أهل العلم في شروحهم لهذه العقيدة، يقول الشيخ بن باز رَحِمَهُ اللهُ وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا ويفسر مشتبهه بمحكمه[(١)].

قَولُهُ رَحِمَهُ اللهُ: « لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ »: المراد بها الأمام والخلف واليمين والشمال وفوق وتحت فهذه اللفظة أيضا يحتمل أنه أراد الجهات المخلوقه وهذا حق، وإن كان أراد الجهات العدمية بمعنى أنه فوق العالم فهذا باطل.

ولهذا قال أهل العلم الجهة إضافتها لله تعالى إن كان المراد بها المكان أو الجهة العدمية وأنه عال على خلقه مستوي على عرشه هذا حق وإن كان المراد في جهة مخلوقة معينة فهذا باطل

(١) انظر الرياض الندية (٦٠).

ولكن هذه مادام أنها تحتمل الحق والباطل فإنه لايجوز إطلاقها يكفي أن نقول: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾[الملك:١٦]، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، « سبحان ربي الأعلى».

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي" وفي لفظ: "إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو عنده فوق العرش" وفي لفظ آخر: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو مرفوع فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي".

حديث صحيح، وبعض ألفاظه عند الشيخين، واللفظ الأخير للترمذي، وقد خرجه الألباني في "الصحيحة" (١٦٢٩)، وفي "تخريج السنة" لابن أبي عاصم (٨١٠ ـ ٨١١).

ولا نحتاج أن نقول لا تحويه الجهات أو هو في جهة، فإن هذا كما سمعت من الألفاظ المحدثة التي أنكرها أهل العلم إذا خاطب السني المبتدع وقد أطلق هذه الألفاظ فيقول له ماذا تريد بهذا اللفظ فإن كنت تريد به إثبات الصفات اللائقة بالله تعالى فنحن نثبتها لكن هذا اللفظ محدث وإن كنت تريد بهذا اللفظ معنى باطل فهذا لايجوز لفظا ولا معنى.

والأولى أن يقتصر على أدلة الكتاب والسنة والطحاوي رَحِمَهُ اللهُ ربما يأخذه السجع أحيانا فيحاول أن يرتب الكلمات على شيء من السجع فتأتي بعض الألفاظ التي فيها مخالفة ولكن أهل العلم نبهوا على ذلك وقالوا هي من الألفاظ المنتقده، ولم يكن هذا في زمن القرون المفضلة يطلقون مثل هذه العبارات فلهذا تترك.

وقد نبه الامام الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بكلام طيب في تعليقه على الطحاوية، قال مراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بهذه الفقرة الرد على طائفتين:

الأولى: المجسمة والمشبهة الذين يصفون الله بأن له جسما وجثة وأعضاء وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

والأخرى: المعطلة الذين ينفون علوه تعالى على خلقه وأنه بائن من خلقه. بل يصرح بعضهم بأنه موجود بذاته في كل الوجود وهذا معناه حلول الله في مخلوقاته. وأنه محاط بالجهات الست المخلوقة وليس فوقها فنفى المؤلف ذلك بهذا الكلام.

ولكن قد يستغل ذلك بعض المبتدعة ويتأولونه بما قد يؤدي إلى التعطيل كما بينه الشارح رحمه الله تعالى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (١).

وقد لخص كلامه الشيخ محمد بن مانع عليه الرحمة فقال (صـ ١٠) :

ومراده بذلك الرد على المشبهة، ولكن هذه الكلمات مجملة مبهمة وليست من الألفاظ المتعارفة عند أهل السنة والجماعة، والرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة أحق أولى من ذكر ألفاظ توهم خلاف الصواب.

ففي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، رد على المشبهة والمعطلة فلا ينبغي لطالب الحق الالتفات إلى مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها فإن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت العظمة والجلال فهو سبحانه فوق مخلوقاته مستو على عرشه المجيد بذاته بائن من خلقه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويأتي يوم القيامة وكل ذلك على حقيقته ولا نؤوله كما لا نؤول اليد بالقدرة والنزول بنزول أمره وغير ذلك من الصفات بل نثبت ذلك إثبات وجود لا إثبات تكييف.

وما كان أغنى الإمام المصنف عن مثل هذه الكلمات المجملة الموهمة المخترعة ولو قيل إنها مدسوسة عليه وليست من كلامه لم يكن ذلك عندي ببعيد إحسانا للظن بهذا الإمام وعلى كل حال، فالباطل مردود على قائله كائنا من كان، ومن قرأ ترجمة المصنف الطحاوي لا سيما في "لسان الميزان" عرف أنه من أكابر العلماء وأعاظم الرجال وهذا هو

(١) تعليق الألباني رحمه الله في "الرياض الندية" (٦١ ـ ٦٢).

الذي حملنا على إحسان الظن فيه في كثير من المواضع التي فيها مجال لناقد. انتهى كلام ابن مانع رحمه الله.(١)

وكلامه طيب أنه أراد الرد على أهل الباطل لكن ألفاظه خطأ التي تلفظ بها في هذا الموضع لو أنه قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، ما انتقده أحد، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [النحل: ٦٠]، ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [الروم: ٢٧]، ماكان سينتقده أحد، لكن لما أتى بهذه العبارات التي يستطيع صاحب الباطل أن يستدل بها وصاحب الحق أن يستدل بها.

فلما كانت ألفاظ مجملة الأولى تركها كما نبه على ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في كثير من كتبه في مواضع عديدة أن هذه من الألفاظ المحدثة وخصوصا في باب العقائد ليس كغيرها، رُبَّ لفظة يؤسس بها مذهبا من مذاهب أهل الباطل.

فتكون ألفاظ أهل العلم دقيقة في باب العقيدة ولهذا تجدهم يتحرون، رب كتاب من كتب العقيدة يدرسونه وينتقدون منه لفظة يقال هذه اللفظة باطلة لأن هذا كتاب عقيدة ولهذا تجد من يؤلف من المعاصرين في العقيدة كثير منهم ربما يخبطون يأتون بألفاظ كثيرة تحتاج إلى إصلاح، لأن هذا باب مهم وخطير أن يأتي الإنسان بلفظ ربما لاينتبه لما يحمله من المعاني الفاسدة.

صاحب كتاب "شرح الطحاوية" الذي هو البابرتي في هذا الموضع ما وافق الطحاوي فقط على اللفظ فقط بل قال بالمعنى الباطل فهو يسير على طريقة المعطلة من الأشاعرة ونحوهم فلا يعتمد على شرحه ففيه بعض الأخطاء فهو أشعري في كثيرمن المواضع يسير على طريقة الأشاعرة ومن نحى نحوهم من المعطلة.

---

(١) انظر الرياض الندية (٥٦ ـ ٥٨).

الإسراء و المعراج

قال الطحاوي رحمه الله:

وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ. ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى

الشرح

وهذه أيضا مسألة من مسائل العقيدة يذكرها أهل العلم لوجود المخالفين فيها وبدأ بالمعراج وإلا فإن الإسراء يذكر قبل المعراج والإسراء هو السير بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سير جبريل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١].

والمعراج هو العروج بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا و المعراج: مفعال، من العروج، أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد، وهو بمنزلة السلم والإسراء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قبل الهجرة وبعد البعثة بالإجماع ولكن تحديده بيوم معين أو بشهر أو بسنة لم يثبت في ذلك دليل وماجاء أنه قبل الهجرة بسنة فإنها مراسيل ومقاطيع ليس فيها أحاديث مرفوعة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وكان الصحيح من أقوال أهل العلم أنه أسري بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة لامناما بروحه وجسده معا لقَوْلهُ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١] والعبد يطلق على مجموع الروح والجسد ولم يكن مناما كما قال بعضهم لأنه لو كان مناما لما أنكرت قريش، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو قال لهم رأيت في المنام أنه أسري بي إلى بيت المقدس لقالوا سهل هذه رؤيا، لكنه يقظة ولهذا أنكروه وردوه وكفروا به.

أيضا الصحيح من أقوال أهل العلم أن الإسراء والمعراج كان مرة واحدة لم يتكرر، وما جاء أنه أسري به أكثر من مرة فهذه من أغلاط شريك بن أبي نمر فإن حديث الإسراء والمعراج الذي في البخاري ومسلم جاء بعضه من طريق شريك ابن أبي نمر، فحكم الأئمة الحفاظ كما ذكر ذلك الحافظ في "فتح الباري" وابن القيم في "زاد المعاد" وغيرهما أن شريك أخطأ في نحو عشرة مواطن في حديث الإسراء، منها:

تعداد الاسراء ومنها أنه تارة يقول من شعب أبي طالب وتارة من المسجد الحرام وتارة من بيت أم هانئ.

ومنها تحديد الأنبياء في السموات في بعض الألفاظ أخطأ فيها شريك.

ومنها أنه أسري به بروحه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

فهناك أغلاط ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عشرة أخطأ فيها شريك ومنها: أن الصلاة فرضت أكثر من مرة وهذا كما سمعت خطأ أخطأ فيه شريك رَحِمَهُ اللهُ.

ومما جاء في الأدلة أنه أسري به على البراق الذي يضع حافره حيث ينتهي طرفه ثم وصل إلى بيت المقدس وربط البراق بتلك الحلقه ثم صلى بالأنبياء في بيت المقدس، قال بعض أهل العلم صلى بهم قبل أن يعرج به إلى السماء، وقال بعضهم بل صلى بهم بعد أن رجع من السماء، ورجح هذا ابن كثير، قالوا والدليل أن الصلاة كانت بعد الرجوع أنه لو صلى بهم ورآهم عرفهم، فلا يحتاج أن يسأل عند كل باب من أبواب السماء فيقال من معك من هذا يسأل عن الذين رآهم من الأنبياء، والأمر بهذا ليس فيه تصريح أنه قبل أوبعد.

ثم عرج به إلى السماء في نفس الليلة وقد ذكر أهل العلم الحكمة من تقديم الإسراء قبل المعراج كان القصد من هذه الحادثة هو المعراج حتى تفرض عليه الصلوات ويكلمه الله ويرفع قدره ومكانه فلماذا حصل الإسراء قبل المعراج ما هي الحكمة؟.

الحكمة: حتى يقرر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل مكة ويذكر لهم أوصاف بيت المقدس وهم يعرفونه، لعل هذا يكون سبب في إيمانهم، لكن لو جائهم من أول وهلة وقال لهم: عرج بي إلى السماء هم ما يعرفون شيئا في السماء ولا صعدوا إلى السماء سيكذبونه، لكن بيت المقدس يعرفونه كان بعضهم يسافر لتلك البلاد فلما وصف لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف بيت المقدس وجلى الله بيت المقدس له دون الصفاء وذكر لهم أوصافه هنا كان هذا من أقوى الأدلة على أنه أسري به حقا عندهم ولكن أصابهم الإعراض.

ثم كما سمعت عرج بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا وأحى إليه ما أوحى وأدلة المعراج من أصرح أدلة علو الله تعالى الذي يقول الله في كل مكان يقال له إلى أين عرج بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله تعالى إلى السماء فهو أصرح دليل لكن يقال المعراج ولايقال الإسراء لأن الإسراء كان إلى بيت المقدس وفيه بيان شرف بيت المقدس ومكانته وهو المسجد الذي قال فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحديث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا " متفق عليه.

وصار الناس الآن لا يستطيعون أن يصلوا إليه إلا بحيل ومن هذه الحيل أن يذهب أحدهم فيتجنس بجنسية كافرة إما أمريكية أو كندية أو بريطانية فيأذنون لك بالدخول بالراحة.

أيضا مما يذكر في هذا الموضع أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه ليلة المعراج بفؤاده حصل الخلاف بين الصحابة في ظاهر أقوالهم فقال بعضهم رآه وقال بعضهم لم يره والجمع بين أقوالهم أنه رآه بفؤاده ولم يره بعينه فقد سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل رأيت ربك فقال رأيت نورا رواه مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي رواية نور أنى أراه وهذه رواية شاذة لكن قال رأيت نورا.

وأما قَوْلُهُ تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١] ، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ [النجم: ١٣]، هذا في شأن جبريل أيضا مما يذكر في هذا الباب أن الإسراء ذكر في سورة الإسراء، والمعراجُ في سورة النجم.

أيضا مما يذكر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضت عليه الصلوات في المعراج وفيها أنه وصل إلى سدرة المنتهى وفيها أن الجنة في السماء السابعة بدليل قوله تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ وسدرة المنتهي ليست كسدر الدنيا هي سدرة عظيمة حتى قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصفها أنه قال: « ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة»، سبحان الله فكيف بغصونها وتفاريعها وجذعها.

وأيضا قال أهل العلم من أنكر حادثة الإسراء والمعراج فإنه كافر بالله العلي العظيم لأنه يرد آيات القرآن وأحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض الملاحدة والفلاسفة يقولون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول رائد فضائي وبعده عباس بن فرناس هؤلاء زنادقة.

وبعضهم يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما عرج به إلى الفضاء ويريدون إنكار وجود الله تعالى وهذا باطل.

قال رَحِمَهُ اللهُ : « ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى»: وهذا يدل على منزلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند رب العالمين سبحانه ولهذا خصه بهذه الخصيصة ورفعه هذه المنزلة وأكرمه بهذا الإكرام وكان بإمكانه أن يفرض عليه الصلاة ويخاطبه وهو في الأرض ولكن هذا لإكرامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفيه أنه تعرف على الأنبياء كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره وأنه مر عليهم سماء سماء، وكل سماء لها بواب سماوات طباق وكل سماء لها باب وهذا شيء مما لايراه الناس وهذه أمور قدرها الله تعالى وجعلها على ماذكر في الأحاديث، فيستفتح فيقال من فيقول جبريل فيقول من معك فيقول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسأل فإذا به إبراهيم وموسى وعيسى

وإدريس عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في السماء السادسة قرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ورفعناه مكانا عليا).

و أحاديث الإسراء والمعراج كثيرة بعضها في البخاري ومسلم وبعضها خارج الصحيح وقد ألف فيها العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ رسالة جميلة في الإسراء والمعراج.

جاء عن عوف عن زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري١ وعرفت أن الناس مكذبي"، فقعد معتزلا حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟! فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نعم". قال: ما هو؟ قال: "إنه أسري بي". قال: إلى أين؟ قال: "إلى بيت المقدس". قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: "نعم". قال: فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟! فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "نعم". فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي! حتى قال: فانتفضت إليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما. قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إني أسري بي الليلة".

قالوا: إلى أين؟ قال: "إلى بيت المقدس". قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: "نعم". قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم! قالوا: وهي تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت - قال: - فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال - أو: عقيل - فنعته

وأنا أنظر إليه. قال: وكان مع هذا نعت لم أحفظه"، قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب.اهـ[(١)]

وجاء في بعض الروايات أنه وصف لهم قافلتهم التي كانت قادمة من الشام بتجارة وهذه الزيادة بذكر القافلة لها طرق كثيرة أكثرها ضعيفة.

المهم أنهم ما استفادوا من ذلك ولا آمنوا وهذه من المعجزات العظيمة والكرامات العديدة والدلائل النبوية التي أكرم الله بها نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي حادثة الإسراء والمعراج.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩)، والطبراني (١٢٧٨٢)، وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في "الخصائص" (١/ ٤٠٠) لابن أبي شيبة أيضا، والنسائي والبزار وأبي نعيم بسند صحيح، وحسنه الحافظ في الفتح (٧/ ١٩٩).

الحوض

قال الطحاوي رحمه الله:

وَالْحَوْضُ - الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ – حَقٌّ

الشرح

والحوض هو في عرصات القيامة، وهو من الأمور الغيبية التي أخبر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والأحاديث التي جاء ذكر الحوض فيها كثيرة جدا بلغت مبلغ التواتر كما صرح بذلك جمع من الأئمة ورواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا وقد استقصى طرقها الحافظ ابن كثير في " النهاية " في آخر تاريخه، وعقد لها الحافظ ابن أبي عاصم في " كتاب السنة " سبعة أبواب (رقم ١٥٥ – ١٦١)، أشار في آخرها إلى تواترها بقوله: " والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توجب العلم"(١).

فأحاديث الحوض من الأحاديث المتواترة ولم ينكر الحوض إلا الخوارج والمعتزلة أو

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتا واحتسب

و رؤية شفاعة والحوض ... و مسح خفين وهذي بعض

بعضهم وقولهم مردود وممن ذكروه الأمير عبيد الله بن زياد حتى رد عليه أنس بن مالك وقال له أدركت عجائز المدينة يقلنّ: «اللهم أسقنا من حوض نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شربة هنيئة». معناه عجائز المدينة أفهم منه في مسألة الحوض (٢).

---

(١) انظر تعليقات الألباني في الرياض الندية(٦٤).

(٢) انظر السنة لابن أبي عاصم (٦٩٨).

وقد جاء في جملة الأحاديث أوصاف الحوض وبعضها في الصحيحين وبعضها خارج الصحيحين.

قال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: " أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ "[١].

وقال رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح وحَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ " شَكَّ هُدْبَةُ.[٢]

وقال رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ [٣]، وبلفظ: « «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»، وبلفظ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». [٤]

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ،

---

(١) رواه البخاري (٤٩٦٤).

(٢) رواه البخاري (٦٥٨١).

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣) (٤١).

(٤) رواه مسلم (٢٣٠٣) (٤١).

حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ "(١). ورواه مسلم بلفظ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ".(٢)

وأما عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ» (٣)، ورواه مسلم بلفظ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا، مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»(٤)، وزاد في رواية: فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»(٥)، زاد في أخرى: قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ قَرْيَتَيْنِ بِالشَّأْمِ، بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بِشْرٍ: ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.(٦)

وأما عن حارثة بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ الحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ»(٧).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨٢).

(٢) رواه مسلم (٢٣٠٤).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٧).

(٤) رواه مسلم (٢٢٩٩) (٣٤).

(٥) رواه مسلم (٢٢٩٩) (٣٥).

(٦) رواه مسلم (٢٢٩٩) (٣٤).

(٧) رواه البخاري (٦٥٩١).

وَزَادَ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ: «حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ» فَقَالَ لَهُ المُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: الأَوَانِي؟ قَالَ: لاَ، قَالَ المُسْتَوْرِدُ: «تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الكَوَاكِبِ»(١). ورواه مسلم بهذا اللفظ.(٢)

وأما عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»(٣). ورواه مسلم هكذا.(٤)

وأما عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»(٥).

ـ قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: " فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا: بُعْدًا يُقَالُ: {سَحِيقٌ} [الحج: ٣١]: بَعِيدٌ، سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ أَبْعَدَهُ.(٦)

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٢٩٨).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٥).

(٤) رواه مسلم (٢٢٩٧).

(٥) رواه البخاري (٦٥٨٣).

(٦) رواه البخاري (٦٥٨٤).

ورواه مسلم وفيه: «لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»[١]

وأما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، فقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الكَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]، قَالَتْ: «نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُوم»[٢].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ، عَنِ ابْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ " إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»[٣].

وأما عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال البخاري رحمه الله تعالى: - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٩٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٢٩٤).

(٤) البخاري: (٤٠٨٥). رواه البخاري (١٣٤٤).

ورواه مسلم بهذا اللفظ(١)، وبلفظ: صَلَّى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ»(٢).

وأما عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»(٣).

وحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ". تَابَعَهُ عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، وَقَالَ حُصَيْنٌ: عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٤).

وروى مسلم حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٢٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٢٩٦) (٣١).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٥).

(٤) رواه البخاري (٦٥٧٦).

(٥) رواه مسلم (٢٢٩٧).

وأشار إلى حديث حذيفة بنحو رواية الأعمش ومغيرة.

وأما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال البخاري رحمه الله تعالى: ٦٥٨٧ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الحِزَامِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي هِلاَلُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ"(١).

وله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّؤُونَ عَنِ الحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى"(٢).

وله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»(٣).

وقد جمع أهل العلم بين الألفاظ المختلفة في الظاهر أنه كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث كل أهل بلد بما يعرفون من المسافات وكلها تقطع في شهر أو ما يقارب الشهر وبعضها في الشهر مشيا على الأقدام وبعضها ركوبا على الإبل وماكان أقل فإنه يدخل تحت الأكثر وأما من قال

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨٧).

(٢) رواه البخاري (٦٥٨٦).

(٣) رواه البخاري (١١٩٦).

أن الحديث مضطرب فهذا ليس بصواب وهذا يدل على سعة الحوض ولهذا كانت آنيته التي يشرب بها كعدد نجوم السماء.

وهو من الأمور الغيبية ولهذا كان أبرد من الثلج وأحلى من العسل وهو نعيم مع أن الثلج في الدنيا لايستطيع الإنسان أن يشربه لكن في الآخرة تختلف أمور الآخرة عن الدنيا ومع ذلك يعد من النعيم من شرب منه شربه لايضمأ بعدها أبدا، بل يتوافد الناس عليه ويتواردون حتى يذود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الباطل.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. ، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ ": ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]- إِلَى قَوْلِهِ - ﴿العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].متفق عليه.

قال: (وإذا برجال من أمتي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أمتي أمتي فيقال إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك): قال أهل العلم هذا الحديث يشمل أمة الدعوة وبعض أمة الإجابة وهم أهل البدع والأهواء والجرائم والموبقات بدليل ما أحدثوا بعدك، فيدخولون في هذا الحديث ويمنعون من حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن أهل العم اختلفوا في الحوض هل هو قبل الصراط أم بعده؟ والذي اختاره القرطبي في "التذكرة" وغيره من أهل العلم بأنه قبل الصراط، بل ذكر عن بعضهم وهو أظنه القابسي يقول المناسب أن يكون بعد خروج الناس من قبورهم، قال فإن الناس يخرجون عطاشا فيناسب أن يتجهوا إلى الحوض.

والأمر في هذا واسع لأنه ليس هناك دليل صريح.

وأما حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ» . قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ» . قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ»(١).

فهذا لايلزم منه الترتيب وإنما ذكر له المواطن التي يجده فيها يوم القيامة.

وقوله في الحديث: « يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ »: الحوض في عرصات القيامة والجنة في السماء السابعة ومع ذلك يمد من الجنة ميزابان إلى الحوض وهذه من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها.

جاء عن جماعة ومنهم سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»(٢)، حسنه الإمام الألباني في "الصحيحة"، وعلى صحة الحديث، فلكل نبي حوض ولكن أعظمها وأكثرها واردا والذي وصف بالأوصاف المتقدمة هو حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا قال بعضهم والحوض المورود الذي أكرمه الله تعالى غياثا لأمته وفي لمعة الإعتقاد ولكل حوض ولكن أكثرهم واردا هو حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تعلق الرافضة بشبهة في هذا الحديث وطعنوا في أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا إرتدوا بعده والدليل: « يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ »، وهذا ليس بصواب، وإنما المراد الصحبة العامة لأنهم تمسكوا بالدين ثم تخلوا عنه فهذا يشمل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)،صححه الشيخ الألباني في المشكاة (٥٥٩٥) .

(٢)رواه الترمذي (٢٤٤٣).

أصحاب الردة ويشمل أصحاب البدعة، وأما أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين ماتوا على الإسلام فليسوا داخلين في هذا الحديث وأيضا يفسر ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمتي أمتي» فهم من أمته، وليس المراد بهم الصحابة.

أما الرافضة فإنهم ينزلون هذا في أبي بكر وعمر ومن إليهم من أفاضل الصحابة المبشرين بالجنة فيقولون إرتدوا بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بعض أهل العلم يرى أن الحوض هذا هو الكوثر ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]، قالوا الحوض، والصحيح والله أعلم أنه يمد من الكوثر إلى الحوض يمد ميزابان من الجنة أي من الكوثر إلى الحوض، أما الكوثر فإنه نهر في الجنة وهذا في عرصات القيامة، وهذا يدل على رحمة الله بهذه الأمة غياثا لأمته فإنه من شرب منه شربة لا يضمأ بعدها أبدا فهذا من إكرام الله تعالى لهذه الأمة أن جعل لهم هذا الحوض إكراما للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولهذه الأمة.

وأول من يرد على الحوض ويشرب منه هم فقراء المهاجرين كما جاء عند الإمام ابن ابي عاصم من حديث ثوبان وعند أحمد أن أول من يرد الحوض ويشرب منه هم فقراء المهاجرين وجاء في رواية مسلم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ»(١). فهذا فيه دليل على أن أهل اليمن من أول من يشرب من الحوض لكن ليسوا هم أول الناس ولكن هم من أول من يشرب والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدفع الناس ليشرب أهل اليمن، وهذا يدل على فضيلتهم.

وأما من يشرب على الإطلاق فهم فقراء المهاجرين.

والذين قالوا بأن الحوض يكون بعد الصراط أشكل عليهم من شرب منه شربة لايضمأ بعدها أبدا وهذا لا إشكال فيه قالوا كيف يمنع بعض العصاة من الشرب من الحوض ثم

---

(١) مسلم: (٢٣٠١).

يمرون على الصراط أو كيف يشرب بعضهم ثم ربما يعذب لا إشكال في هذا فإن أصحاب المعاصي تحت المشيئة والعذاب ليس محصورا على الظمأ لايظمأ بعدها أبدا فإن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعاقبه بسبب ذنوبه بعقوبات غير الضمأ وإلا فإن هذه بشارات أن هؤلاء ممن نجوا وهم أهل السلامة والتوحيد والطاعة .

الشفاعة

قال الطحاوي رحمه الله:

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ

الشرح

والمقصود بالشفاعة في هذا الموضع الشفاعة الخاصة والعامة وأهل العلم يقولون الشفاعة هي التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة.

وهي تنقسم إلى دنيوية وأخروية:

فأما الدنيوية فهي بحسبها فإن كانت في أمر مباح أو مشروع فهي مشروعة وإن كانت في أمر محرم فهي ممنوعة، قال تعالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"(١).

(١) البخاري (٣٤٧٥). ومسلم (١٦٨٨).

قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ: سَمِعْتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: «قَدْ أَعَاذَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَسْرِقَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا» (١).

وجاء في حديث عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ». متفق عليه.

إذن فالشفاعة في الدنيا بحسبها.

وأعظم شفاعة في الدنيا هي شفاعة موسى لهارون عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين قال لربه: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩]، هذه أعظم شفاعة شفع له في النبوة.

وأما الشفاعة في الآخرة: وهي الشفاعة عند رب العالمين سبحانة وتعالى فهي: شفاعة عامة وخاصة:

فأما الشفاعة العامة: فهي لأهل الكبائر من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخروج من نار جهنم. وهذه يشترك فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون والأفراط فليست خاصة وهذه الشفاعة التي حصل الخوض فيها أنكرها الخوارج والمعتزلة، وقالوا أصحاب الكبائر في النار مخلدون.

وقد أجمع أهل العلم على إثبات هذه الشفاعة، وتواترت فيها الأحاديث.

جاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» . رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني في المشكاة.

وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ

---

(١) ابن ماجة (٢٥٤٧).

إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا». رواه مسلم وللبخاري أقصر منه، فالشفاعة لأهل الكبائر أحاديثها متواترة وهي عامة.

وأما الشفاعة الخاصة فالمراد بها خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي أنواع أوصلها بعضهم إلى سبعة أنواع:

١ـ الشفاعة العظمى: في يوم الموقف لفصل القضاء وهي المقام المحمود: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فهذه خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي حديث الشفاعة، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى: عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ

رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ .

ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ: فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ.

ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ: فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ - حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ"، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قَالَ: «وَهَذَا المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». متفق عليه

٢ـ شفاعة خاصة: شفاعته لأهل الجنة في دخول الجنة لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ". رواه "مسلم"، فيشفع لأهل الجنة في دخولهم الجنة

٣ـ الشفاعة الخاصة: بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعته لبعض أهل الجنة في رفع درجاتهم وهذا لحديث: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ».

ولحديث أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ:

«لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ» ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» . رواه مسلم

وهذه الشفاعة لم يخالف فيها الخوارج ولا المعتزلة بل يقولون أحاديث الشفاعة كلها تنطبق على هذا النوع.

٤ـ شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ومنهم عكاشة بن محصن، لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ " فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ». متفق عليه.

* ومن شفاعاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخاصة شفاعته لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه لحديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا ـ أي شفاعته ـ لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ». متفق عليه.

وبعض الذين يكتبون في العقيدة يقولون في هذا النوع شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف العذاب عن بعض الكافرين، وهذا فيه نظر لأنه ليس هناك من يشفع له في تخفيف العذاب إلا أبا طالب.

فهذه خمسة أنواع: زاد بعضهم شفاعته لأهل الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم وهذا لا دليل عليه يصح، ونوع آخر شفاعته لقوم استحقوا دخول النار فشفع لهم ألا يدخلوها وهذا يحتاج إلى دليل صحيح، وأما حديث الصلاة على الجنازة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي بعض المنافقين فيشفع لهم بمعنى يدعو لهم فهذه الدنيوية دعاء في الدنيا واستدلوا بهذا فقد صلى على ابن سلول وهو ممن يستحق النار وصلى عليه ودعى له وقالوا فيه دليل للشفاعة في قوم استحقوا النار يشفع لهم قبل أن يدخلوها لكن هذا في الدنيا وماذكروه يحتاج إلى دليل.

ثم إن الشفاعة عموما كما يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ :

انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام:

١ـ من بالغ في إثباتها وغلا في ذلك كاليهود والنصارى والصوفية والشيعة فطلبوا الشفاعة من الأصنام وأصحاب القبور والأولياء فيذهب بعضهم إلى القبر ويدعوه من دون الله أن يشفع له ويتوسلون إليهم.

٢ـ من أنكرها وبالغ في إنكارها وهم الخوارج والمعتزلة.

٣ـ من توسط فيها وهم أهل السنة والجماعة فقالوا ماجاء الدليل فيه بإثبات الشفاعة أثبتناه وما لم يأتي دليل فيه لم نثبته وهذا هو الحق وهو الذي جائت به الأدلة[١].

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٢٢٣).

ثم إنهم يذكرون في هذا الموضع أن الشفاعة الشرعية الصحيحة يوم القيامة التي تقدم ذكرها لها شروط خمسة حتى تكون صحيحة :

١ـ الرضى عن الشافع: فلا يشفع من لا يرتضيه الله تعالى ولهذا كان الذين يشفعون الأنبياء والملائكة والمؤمنون والأفراط.

٢ـ الرضى عن المشفوع له: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[النَّحلِ: ٥٠]، فالكافر لا شفاعة له وقال ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ [غافر: ١٨]، فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وينبغي أن يكون من أهل التوحيد.

٣ و ٤ـ إسلام الشافع لابد أن يكون مسلما و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٥ـ الإذن بالشفاعة: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، فلا يشفع أحد إلا بإذن الله والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يشفع إلا بعد أن يسجد تحت العرش فليس كل من رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشفع كما أراد وإنما متى أذن الله له وحل وقتها.

وهذه الشروط ذكرها شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في «كتابه الشفاعة»، وكتابه الشفاعة من أحسن ما كتب في هذا الباب جمع فيه الآيات والأحاديث الصحيح منها والضعيف وبين الضعيف حتى قال المعلق هنا: ولفضيلة الأخ الكبير الشيخ العلامة محدث الديار اليمنية الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ كتاب حسن جدا في الشفاعة ومروياته وهو مطبوع. الكاتب هذا هو الحلبي يجعل نفسه الأخ الكبير والأخ الصغير وإذا كتب عن الشيخ العثيمين يقول الأخ الكبير وهو بعيد من أخوتهم.

والشاهد أن كتاب الشيخ كتابه يعتبر أصل ومرجع في هذا الباب وكتب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كثير منها تعتبر مراجع في أبوابها وهكذا كتب أهل الحديث بخلاف غيرهم وكتابه أسباب النزول يعتبر مرجعا في هذا الباب ودلائل النبوة والصحيح المسند والجامع الصحيح في القدر

والشفاعةكلها مرجع لبابها وهكذا كتب أهل الحديث تكون مشحونة بالآيات والأحاديث والآثار بالأسانيد فيستفاد منها ويرجع إليها

قال الطحاوي: « والشفاعة التي إدخرها لهم حق كما روي في الأخبار»: ولهذا قال بعض الشراح المراد بهذه الفقرة الشفاعة لأهل الكبائر وهي التي حصل فيها الخوض الرد من أهل الباطل والبيان من أهل السنة لكثرة المخالفين في هذه الشفاعة وما عداها فإنّ كثيرا منها لا يخالفونها، وهي متواترة أيضا.

وقد عقد لها ابن أبي عاصم في " السنة " ستة أبواب (١٦٣ - ١٦٨) رقم الأحاديث (٧٨٤ - ٨٣٢)وساق ابن أبي العز في شرحه أدلة الشفاعة وأنواعها وذكر نحو ثمانية أنواع لكن بعضها لا دليل عليها .

الميثاق

قال الطحاوي رحمه الله :

قَوْلُهُ: (وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ).

الشرح

والميثاق تعريفه هو عقد مؤكد بيمين وعهد كما في النهاية قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عند هذه الفقرة: (يشير إلى بعض الأحاديث المصرحة بأن الله تعالى استخرج الذرية من صلب آدم عليه الصلاة والسلام).وهو يشير في هذه الفقرة إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾[الأعراف: ١٧٢][(١)].

وقد حصل الخلاف في شرح هذه الآية فقالوا على ظاهرها ميثاق صحيح صريح بلسان القول وأن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وفي رواية مسح على ظهره فأخرج ذريتهم من أهل الجنة وذريتهم من أهل النار وأخذ عليهم هذا الميثاق فهو ميثاق وشهادة مقالية.

وقال بعضهم بل هي شهادة الفطرة أنهم بفطرتهم يعترفون أن الله تعالى خالقهم وموجدهم وهو المستحق للعبادة وأما أنه أخرجهم من ظهر آدم فهذا ليس بصحيح وضعفوا الأحاديث التي جائت في أخذ الميثاق.

والقول الأول هو قول جمهور السلف والقول الثاني هو قول جمهور المتكلمين ووافق المتكلمين شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تابعه وتابعه بن كثير في تفسيره عند الآية

---

(١) انظر الرياض الندية (٦٥ ـ٦٦).

والصحيح ما عليه جمهور السلف أن هذا ميثاق حقيقي وأما الأحاديث التي ذكرت فقد صحح أكثرها الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى من حديث عمر بن الخطاب ومن حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وذكر جملة منها وكان الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تحقيقه لشرح الطحاوية صححها إلا مسح الظهر كان يرى أنه ضعيف ثم لما علق على المتن تراجعه عن ذلك حتى قال: وقد كنت استثنيت في التعليق المشار إليه من الصحة مسح الظهر الوارد في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ذلك سهوا مني أسأله تعالى أن يغفره لي فقد تنبهت إلى أن له شاهدا حسنا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مذكور في الشرح وآخر من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند ضعيف خرجته في السنة فاقتضى التنبيه) [(١)].

إذن فالأحاديث صحيحة وقد ذكرها ابن أبي العز في شرحه وتابع شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بأن المقصود ماصح منها أنهم اعترفوا بفطرتهم لا أنهم أخرجهم من ظهور آدم وأخذ عليهم الميثاق والآية شبه صريحة في ذلك ويوضحها الأحاديث التي فيها إخراج ذرية آدم من صلب آدم وليس في ذلك جبر وإنما هذا علم الله تعالى.

---

(١) انظر الرياض الندية (٦٦).

علم الله بمن يدخل الجنة ومن يدخل النار

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالشَّقِيُّ من شقي بقضاء الله).

الشرح

وهذا علم الله تعالى كما تقدم وأيضا ليس فيه دليل على ما تقوله الجبرية بأن أهل النار مجبورون على دخولها بل هذا علم الله تعالى علم من أقوام لايستحقون الجنة ولايعملون بأعمال أهلها فيسر لهم أعمال أهل النار والذي ذكره المؤلف هنا فيه إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد ذكره الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بلفظه فقال:

(يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي يده كتابان فقال: " أتدرون ما هذان الكتابان؟ " فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا " فقال للذي في يده اليمنى: " هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ". ثم قال للذي في شماله: " هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا " فقال أصحابه: ففيم العمل إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل

أي عمل ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده فنبذهما ثم قال: فرغ ربكم من العباد ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

.أخرجه الترمذي [وراجع صحيح سنن الترمذي] وصححه هو وغيره وهو مخرج في " الصحيحة " (٨٤٨)[١].

وهذه هي المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر مرتبة العلم فإن الإيمان بالقدر له أربع مراتب:

١ـ المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله تعالى السابق وقد كثر في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقرير هذا الأصل العظيم، فعلم الله محيط بكل شيء، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل.

وهو عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ويخلق السماوات والأرض فالله سبحانه وتعالى علم بالأشياء قبل وجودها وهذا هو المقصود في هذه الفقرة وفي هذا الحديث فعلم سبحانه وتعالى أهل الجنة من أهل النار.

٢ـ المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله تعالى قد كتب المقادير قبل خلق الخلق ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨] وقال: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

٣ـ المرتبة الثالثة: الإيمان بعموم مشيئته سبحانه وتعالى وأنه مامن شيء في الكون إلا وهو بمشيئة الله تبارك وتعالى.

---

(١) انظر الرياض الندية (٦٦ـ ٦٨).

٤ـ المرتبة الرابعة: الإيمان بعموم خلقه سبحانه وتعالى وأن كل شيء مخلوق له سبحانه وتعالى فمن آمن بهذه المراتب الأربع سلم من الضلال.

وليس في هذا في قوله: (وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ): ليس في هذا دليل لكل من يحتج بالقدر على فعل المنكر وترك الواجب والطاعة ليس في هذا دليل فإنه يقال له إذا كان كذلك فأنت أقعد في بيتك ولا تتحرك وإذا قدر الله لك رزق سيأتيك للبيت سيقول لا لابد أن أتحرك وأعمل بالسبب فإذا كنت تحتج بالقدر على فعل المعصية أو على ترك الطاعة فلماذا لاتحتج بالقدر على ترك السعي إلى الرزق والحصول على المال ونحو ذلك.

وهكذا لو سرق مالك أو ضرب جسدك أو أنتهك عرضك لابد تؤمن بالقضاء والقدر ولاتدافع عن نفسك إذا كان كذلك الاحتجاج بالقدر تترك الناس يأخذون أموالك ويقعون في عرضك ويسفكون دمك وأنت تنظر لماذا؟! من الإيمان بالقدر وهذا ليس بصحيح بل كما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أنه لو إحتج كل محتج بالقدر لفسد نظام العالم هذا يقتل هذا مالك قتلته قال قدر الله هذا شيء قدره الله ويصير كل العالم فوضى فليس صحيح أنه يحتج بالقدر على معصية الله سبحانه وتعالى وأن ماذكر من الأدلة من عموم علم الله تعالى أنه يعلم أهل الجنة من أهل النار أن هذا ليس من الجبر وإنما هذا علم الله تعالى السابق فهو يعلم الأشياء قبل وجودها وعند وجودها وبعد وجودها علم ماكان وكيف يكون إذا كان وإذا لم يكن سبحانه وتعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فعلم الله تعالى عام وشامل لكل المخلوقات حركاتهم وسكناتهم وليس في هذا دليل على ان العباد مجبورون بل إن الله تعالى جعل لهم مشيئة وإرادة وأرسل إليهم رسل وأنزل عليهم الكتب وهذا الميثاق الذي تقدم ذكره وأخذ عليهم في بطون أمهاتهم لايكفي في إقامة الحجة ولهذا أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب لإقامة الحجج: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، لتعلم أن هذا هو علم الله سبحانه وتعالى.

قال الطحاوي رحمه الله: «وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ»: أي أن الله تعالى علم أفعال العباد في الأزل وعلم ما يكون منهم من خير وشر وهذا داخل في علم الله تعالى وليس هذا فيه كما تقدم جبر للعباد ولكن القدر علم الله تعالى.

وقوله: « وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ »: هذا قد جاء في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « بينما نحن مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ينكت في الأرض إذ رفع رأسه إلى السماء ثم قال ما منكم من أحد إلا قد علم» وقال وكيع: « إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة» قالوا: أفلا نتكل يا رسول الله. قال:« لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له». قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

والله عَزَّ وَجَلَّ يقول ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

وقوله: « وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ » : لحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى

ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»متفق عليه.

قال في حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وإنما الأعمال بالخواتيم»، وهذا في صحيح البخاري وهذا فيه أن العبد لاينبغي له أن يغتر بعمله وأن الأعمال بالخواتيم وأنه يجب على العبد أن يخاف على نفسه من سوء الخاتمة، وهذا يدل على أن العباد لهم مشيئة وإرادة لكنها خاضعة لمشيئة الله تعالى وإرادته عَزَّوَجَلَّ فلايجوز لهم أن يحتجوا بمثل هذه الأحاديث.

ولهذا صح عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أنهم لما سمعوا هذه الأحاديث قالوا: « الآن نجد الآن نجد الآن نجد » وهذه الرواية صححها الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وقوله: « وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالشَّقِيُّ من شقي بقضاء الله». ذكر العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فقالهذا معنى حديث أخرجه البزار وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: " الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه ". وسنده صحيح كما بينته في " الروض النضير " (١٠٩٨) و" تخريج السنة " (١٨٨)

وهذا يدل على أن القدر علم الله تعالى وأن الله تعالى يعلم ما العباد عاملون وهم في بطون أمهاتهم وقد كتب الله ذلك و هو في اللوح المحفوظ وهذا كله فيه إشارة إلى الإيمان بالقدر بمراتبه الأربعة كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

فمـا شئت كان وإن لم أشـأ ... وما شئت إن لم تشأ لــم يكــن
خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهـذا خذلـت ... وهــــذا أعنـت وذا لــم تعــن
فمنهـم شقي ومنهـم سعيـد ... ومنهـم قبيح ومنهـم حســـن

وأعلى المراتب التي تقدمت الأربع إذا آمن الإنسان بها كما أراد الله عَزَّوَجَلَّ سلم من الانحراف والضلال.

القدر

قال الطحاوي رحمه الله:

وَأَصلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وسُلم الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ

الشرح

قال الزهري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد ولم يؤمن بالقدر كان ذلك ناقضا لتوحيده ». سير أعلام النبلاء.

وقوله لم يطلع على ذلك هذا يدل على أن القدر من أمور الغيب لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه وتعالى فلا يجوز الخوض فيه بالباطل ولا التعمق في ذلك ولا مخالفة ما جاء في الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

فإن من ضل من ضل من الجبرية والقدرية لما تعمقوا في هذا الباب وخالفوا السنة والكتاب لأن عقول العباد قاصرة عن فهم بعض المسائل في هذا الباب وإنما يجب على العبد الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة.

جاء في حديث عن جمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم خرجه الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «السلسلة الصحيحة"[(١)] أنه قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إذا ذكر القدر فأمسكوا ». ولهذا كان الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان.

قوله: « فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ .....»: لأنّ هذا يوصله إلى رد الأدلة الذي يتشكك في باب الإيمان بالقضاء والقدر أو يعترض على أحكام الله تعالى الكونية و الشرعية فيقول لماذا فلان يدخل النار وفلان يدخل الجنة، ولماذا فلان يؤمن وفلان لا يؤمن هذا من الاعتراض﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾.

وكما تقدم أن القدر علم الله تعالى علم من فلان أنه لا يصلح للإيمان فخلق الله فيه ذلك وعلم من فلان أنه يموت على الإسلام فيسر الله له ذلك فليس في المسألة جبر ولا إلزام إنما هو أمر شرعي أمر الله تعالى به عباده فمن كان يصلح للخير هيئه الله له وإنما وقع من وقع من أهل الضلال في باب القدر لأنهم لا يفرقون بين مراتب القدر الأربع ولا يفرقون بين الإرادة الكونية والشرعية.

فالكفر أراده الله لكن أراده كونا ولم يرده شرعا والذين لا يفرقون بين بين الإرادة الكونية والشرعية يقعون في الضلال قالوا كيف أراد الله الكفر ثم يعاقب العباد على الكفر الجواب أراد الله الكفر كونا لحكمة اقتضت ذلك ولكنه طلبهم وأمرهم شرعا أنهم لا يقعون في الكفر: ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال:﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧]

فمن عرف الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية سلم من الضلال والإنحراف ولكن المبتدعة لما تركوا التفصيل وأتوا بالإجمال وقعوا في الضلال والانحراف.

---

(١) برقم (٣٤).

قال الطحاوي رحمه الله:

فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ

الشرح

قال رحمه الله: «فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ»: هذا الاشارة يحتمل أنها إشارة إلى كل ما تقدم من مسائل الاعتقاد التي سردها ويحتمل أنه يريد ما كان في آخر الأبواب في الكلام على الإيمان بالقدر.

وقد ذكر جملة طيبة في باب القدر ولأهمية مسائل القدر وكثرت الاضطراب فيها والمخالفين فإنه ذكرها في مواضع متعددة من هذه العقيدة.

قوله رحمه الله: «عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ»: المراد به علم الشريعة أصولها وفروعها علم الكتاب والسنة ومسائل الاعتقاد وغير ذلك، وأما العلم المفقود فقال بعضهم المقصود به علم الغيب وقال بعضهم مسائل الإيمان بالقدر التي لا يطلع عليها البشر وهي من علم الغيب فمن أنكر العلم الموجود وهو علم الكتاب والسنة فهو كافر لأنه رد الشرع جملة وتفصيلا ومن ادعى علم الغيب فهو كافر أيضا: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [ص:١٠٥]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] (١).

---

(١) انظر شرح البراك (١٧٥ ـ ١٧٧)، من الرياض الندية (٦٧ ـ ٧٧).

فادعاء علم الغيب كفر بالله العلي العظيم.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: « وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ،....»: أي الإيمان والتسليم والانقياد لما جاء في الأدلة وعدم الخوض في ما لا يعلمه العبد ومما هو من خصائص الله تعالى.

فمن كان كذلك يؤمن بالشريعة ويترك الخوض في أمور الغيب والقدر التي نهي عن الخوض فيها فهذا من الراسخين في العلم وهذا ممن ثبت إيمانه وأما من خالف في هذين الأصلين العظيمين فهذا ممن زل بل ممن خرج من الإسلام.

الإيمان باللوح

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ - لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا - لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ

الشرح

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١]، اللوح المحفوظ هو الذي لا يعلم ما فيه إلا الله سبحانه وتعالى

وهو الذي كتب فيه مقادير العباد كما جاء في حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود وغيره أنه قال لابنه: قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُّ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ " يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

(١) أبو داود (٤٧٠٠).

والقلم هنا المقصود به القلم العام الشامل لجميع المخلوقات وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] ، وإلا فإن الأقلام أكثر من واحد كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفعت الأقلام وجفت الصحف وأهل العلم يذكرون أن الأقلام أربعة :

١_هو الذي كتب به مقادير الخلائق وهو القلم الشامل العام .

٢_قلم خاص ببني آدم عند خلق آدم ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

٣_قلم الأجنة وهو ما يكتب على العبد وهو في بطن أمه فيكتب شقي أو سعيد كما جاء عن

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: " أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى لاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا "(١).

ويسمى بقلم الأجنة.

---

(١) متفق عليه البخاري (٢٣٠٨)مسلم (٧٤٥٤).

٤ـ هو الذي يوضع على ابن آدم عند بلوغه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يبلغ وعن المعتوه حتى يعقل ". رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في المشكاة(١).

فإذا بلغ الصبي كتب عليه فهذه هي الأربعة لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفعت الأقلام وجفت الصحف والمقصود بالقلم الذي كتب في اللوح المحفوظ هو القلم العام الشامل لجميع المخلوقات وأن ما كتبه في ذلك اللوح لا يمكن أن يتغير ولا أن يتبدل: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩].

ولهذا جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: «كَنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؟ احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(٢). رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة(٣).

وقوله وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه هذا مذكور أيضا في حديث بن عباس وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١]، فاختلف أهل

---

(١) المشكاة (٣٢٨٧).

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٣٧٢ ـ ٣٧٤)، ومعارج القبول(٣/ ٩٢٠ ـ ٩٢٧)، ط: دار ابن القيم، وشرح البراك (١٨٠ ـ ١٨١).

(٣) المشكاة (٥٣٠٢).

العلم ما معنى في لوح محفوظ هل القرآن موجود في اللوح المحفوظ أم أن المراد ذكره في اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] أي ذكره في زبر الأولين.

والصحيح في هذه الآية كما نبه شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أن القرآن موجود كله في اللوح المحفوظ ولا تعارض بين هذا وبين القول بأن جبريل أخذ القرآن من الله تعالى فإن القول بأن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ قول باطل(١) وإنما هو تنزيل من رب العالمين، فجبريل أخذه من ربه ولامانع أن يكون القرآن موجود مكتوب في اللوح المحفوظ بكامله فإن اللوح المحفوظ قد كتب فيه كل شيء وقد اختلف العلماء عند ذكر اللوح والقلم والعرش أيها وجد قبل.

وقد جاء في الحديث عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ» ، قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ» ، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ» ، ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَايْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ»(٢). رواه البخاري

وهذا مما يؤيد أن العرش قبل القلم ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في النونية:

والناس مختلفون في القلم الذي	كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده	قولان عن أبي العلا الهمداني

---

(١) هذا القول تجده في كثير من كتب التجويد، وهو قول مردود.

(٢) البخاري (٧٤١٨).

والحق أن العـرش قبـل لأنه | قبل الكتابة كـان ذا أركـان
وكتابة القلم الشـريف تعقبت | إيجاده من غير فصل زمـان
لمـا براه الله قال اكتب كـذا | فغـدا بـأمر الله ذا جريـان

فجرى بما هو كائن أبدا إلى يوم المعاد بقدرة الرحمن وأما حديث أول ما خلق الله تعالى القلم فإنه بالنصب أول فيكون ظرف والعامل فيه قال أي أنه أول ما خلقه قال له أكتب وليس فيه دليل أنه أول المخلوقات.

وأما على رواية الرفع فيكون إعرابه مبتدأ والقلم خبر أول ما خلق الله تعالى القلم قال الهراس في شرح النونية: «فعلى الرفع المراد به أنه أول الأقلام وهذا الذي عليه أكثر أهل العلم أن العرش قبل القلم»[(١)].

واستدل الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما تقدم بهذا على أنّ القول عدم التسلسل في الحوادث في الماضي وقول الجمهور هو الصواب أنّ الله تعالى متصف أزلا وأبدا كما مر بنا في مامضى مازل بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا كما كان بصفاته أزليا فكذلك لايزال عليها أبديا.

ومر بنا من قال لايمكن دوامها لافي الماضي ولافي المستقبل وهذا قول الجهمية وقال بعضهم تدوم في المستقبل دون الماضي وهذا قول جماعة من أهل الكلام ووافقهم الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ استدلالا بهذا الحديث وقال بعضهم يمكن دوامها في الماضي والمستقبل وهو قول أئمة الحديث وأما فعل الله عزوجل فالله تعالى متصف بالخلق أزلا وأبدا لايجوز أن يقال بأنه لم يكن متصفا بالخلق ثم اتصف بل هو متصف بالخلق أزلا وأبدا.

ثم هذا الحديث الذي فيه أول ما خلق الله القلم لايصلح أن يكون دليلا صريحا على أن هذا أول مخلوق ولم يخلق قبله شيء فقد نبه بعضهم على أن كلام شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ

---

(١) شرح ابن أبي العز (٣٧١)، وشرح الهراس للنونية (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، ط: دار الشريعة.

تعالى في باب العرش والقلم أنه أيهما سبق هل هو القلم أم العرش وليس المراد أيها أول مخلوق وأيضا أن المقصود بأول الخلق من هذا العالم ولاعلم لنا بما وراء العالم وأيضا هذا لايلزم منه أنه الله تعالى لم يكن متصفا بصفة الخلق (١).

والذي يقرأ مثل هذه الأحاديث جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه يحمله على الإيمان بالقضاء والقدر وأنه لايفعل معصية ويحتج بالقدر بل عليه أن يؤمن بالقدر خيره وشره كما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينا أنه ركن من أركان الإيمان وكما تقدم أن هذا يربط بما تقدم من أن القدر سر الله تعالى في خلقه وأنه علم الله تعالى وليس فيه جبر وإنما القدر علم الله تعالى فإذا علم من العبد أن لايصلح للخير وليس محلا قابل للخير كتب الله ذلك في اللوح المحفوظ وما كتب في اللوح المحفوظ لايغير ولايبدل إذا علم الله عزوجل من العبد ذلك ولهذا قول أنس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» (٢). متفق عليه.

قال أهل العلم: معناه أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن وصل رحمه فعمره كذا وإن لم يصل رحمه فإن عمره سيكون كذا إذا فليس في هذا تعارض أن يقال يزاد ما في اللوح المحفوظ وإنما كما سمعت مقيد بما تقدم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١] والزيادة والنقص إنما تكون ما في أيدي الحفظة أما في اللوح المحفوظ فكما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة).

---

(١) انظر الرياض الندية (٧٢ـ ٧٣).

(٢) متفق عليه.

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ وَلَا مُحَوِّلٌ وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢] . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[الْأَحْزَابِ: ٣٨]، فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لَهُ فِي الْقَدَرِ قَلْبًا سَقِيمًا - وَفِي نُسْخَةٍ: فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ قَلْبُهُ فِي الْقَدَرِ قَلْبًا سَقِيمًا ، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

الشرح

وهذا فيه رد على غلاة المعتزلة الذين ينكرون علم الله ويقولون بأن الأمر أنف وأن الله لايعلم الأشياء إلا بعد حدوثها وهذا كفر منهم ولهذا يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تعالى وعمر بن عبد العزيز : (ناظروا القدرية بالعلم فإن هم أجابوا خصموا وإن هم أنكروا كفروا)، فهذا رد عليهم وكلامه في هذه الفقرات مرادف لما تقدم في أكثر من موطن لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه وإنما لأهمية هذا الباب وهو باب الإيمان بالقضاء والقدر فإن الطحاوي كرره أكثر من مرة ومعناه أن الله تعالى لايمكن أن تغير أحكامه بل أحكامه نافذة في خلقه سبحانه وتعالى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ : « من عقد الإيمان »: أي أصوله وأركانه ولهذا جاء في حديث جبريل فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» فهو أصل وركن من أركان الإيمان.

بل في آخر حديث قال: « ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل» ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» . رواه مسلم

إذا فهو من أصول الدين والإيمان، والإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية لأن هذا من أفعال الله تعالى[١] فمن جحد القضاء والقدر والإيمان به لم يكن مؤمنا بتوحيد الربوبية لأنه أنكر شيئا من أفعال الله تعالى.

يقول ابن أبي العز رَحِمَهُ الله في شرحه: (لا يتم التوحيد والاعتراف بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقا غير الله فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كل أحد يخلق فعله؟ ! ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة).

ومن خاض في باب القدر بقلب سقيم مريض ليس بسليم فإنه يضل لأنه يعترض على ماجاء في الأدلة بالأراء والأهواء ومعنى كتيما أي مكتوم فأمور الغيب والقدر لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ولهذا قال الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله ورعاه:

(فأمور القضاء والقدر وشؤون الله عز وجل لا يدركها النظر والتفكير والعقل، فلا تكلف عقلك شيئا لا يستطيعه، فالعقل محدود، لا يمكنه أن يدرك كل شيء، فلا تدخله في متاهات وأمور لا يطيقها)[٢].

و الله عزوجل جعل لهذا العقل مقدارا معلوما لايتجاوزه فإن تجاوزه وخاض في ما لا حق له فيه ضل عن سواء السبيل.

---

(١) شرح الفوزان ضمن التعليقات السلفية (١٢).

(٢) شرح الفوزان (١٢٣).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: « أَفَّاكًا أَثِيمًا»: بمعنى أي كاذبا متحمل للأثام لأنه زاغ عن الحق وعن العقيدة الصحيحة إنما الواجب على المسلم في مثل هذه الأبواب الإيمان والتسليم والرضى والانقياد.

العرش والكرسي

قَالَ الطَحَاوِي رَحِمَهُ الله:
وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَه، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ

الشرح

العرش هو مخلوق عظيم كما يقول أهل العلم بل هو أكبر المخلوقات وجاء في وصفه أنه أعلى المخلوقات أمّا أكبر المخلوقات فمن الأدلة على ذلك:

ماجاء عن جويرية أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة قال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ". رواه مسلم.

وأما أعلى المخلوقات ما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سهل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها» . قالوا: أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» . رواه البخاري.

وقد وصف العرش بأنه عظيم وكريم ومجيد وهو في اللغة السرير الذي يجلس عليه الملك وجاء من أوصافه أنه تحمله ثمانية ملائكة:﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحَاقَّة: ١٧].

ومن أوصافه أن له قوائم كما جاءعن أبي هريرة قال قال رجل من اليهود والذي اصطفى موسى على البشر فرفع المسلم يده فلطم وجه اليهودي فذهب اليهودي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش في جانب العرش(١) فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل»(٢).

وجاء "لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله عز وجل".

وفي طريق آخر عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وفيه: فغضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: "لا تفضلوا بين أنبياء الله" وفيه: "فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور أو بعث قبلي" وفي لفظ: "فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، فأكون أول من بعث "أو في أول من بعث" فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب" الحديث. متفق على ثبوته.

صحيح الجامع للألباني وصححه في مختصر العلو، وهذا فيه رد على المعطلة الذين يقولون العرش هو الملك.

---

(١) وفي رواية: « بقوائم العرش».

(٢) البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣)، وكذلك رواه البخاري (٢٤١٢)، مسلم (٢٣٧٤)، بنحوه عن أبي سعيد الخدري.

قال أهل العلم لو كان الملك لما فسر بأن له قوائم وأيضا مما وصف به العرش أن الملائكة تحف من حوله كما في الآية ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزُّمَرِ: ٧٥].

وقد ذكر أهل العلم أنه خلق عظيم لا كما يقول الفلاسفة أنه فلك مستدير ومما ذكر في شأنه أنه كان على الماء كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ "(١).

وتفسير هذه الآية:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة: ٦٤]، وهذا حديث قد روته الأئمة نؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم هكذا قال غير واحد من الأئمة منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا يقال كيف.

والمقصود من هذا إثبات العرش وإثبات إستواء الله تعالى على العرش وقد جائت الأدلة الكثيرة في إستوائه سبحانه وتعالى على عرشه إستواء يليق بجلاله وكماله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومعنى الاستواء في مثل هذه الأدلة معناه العلو والإرتفاع والصعود و الإستقرار وهذا الذي جاء عن جماهير السلف وأنكر الذهبي الإستقرار لكن جاء عن كثير من السلف ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

هَذَا وسادس عشرهَا إِجْمَاع أهـــ ـــل الْعلـــم أَعنِي حجَّة الْأَزْمَـان
من كل صَاحب سنة شهِـــدت لَهُ أهل الحَـدِيث وعسكر الْقُــرْآن

(١) البخاري (٧٤١١) ومسلم (٩٩٣).

لَا عِبْرَة بمخـــالف لَهُم وَ لَـــو كَانُـــوا عديد الشَّاء و البعـــران
إن الَّذِي فَوق السَّمَـوَات العـــلى وَالْعــــرش وَهُوَ مباين الأكـــوان
هُوَ رَبنَا سُبْحَــــــانَهُ وَبِحَمْـدِهِ حَقًّــا على الْعَرْش استوى الرَّحْمَن

ثم ذكر أقوال الأئمة إلى أن قال:

فَلَهُـمْ عِبَــارَاتٌ عَلَيْـــهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَـارِسِ الطَّعَّـانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلاَ وَكَـذلِكَ ارْ تَفَعَ الَّذِي مَا فِيــهِ مِن نُكْـرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُـوَ رَابعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَـاحِـبُ الشِّيبَـانِي
يَخْتَــارُ هَذَا القَـــوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِـــنَ الْجَهْـــمِيِّ بِـالْقُـرآنِ
والأشعري يَقُول تَفْسِيـــر اسْتَوَى بِحَقِيقَـة استــولى مـن الْبُهْتَـان
هُوَ قول أهل الاعتـــزال وَقَـول أَتبَاع لجهـــم وَهُوَ ذُو بطـــلَان
فِي كتبه قـد قَالَـــه من مـــوجـز وإبـانـــة ومقـالـة بِبَيَـــان
وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيّ أَيْضــا قد حكـــا ـــه عَنْـهُـم بمعـــالم الْقُـرْآن
وانظر كـــلام إمامـنا هو مـــالك قد صـــاح عن قول لذي إتقـان
في الاستـــواء بأنـــه المعلـــوم لكـن كيفه خاف على الأذهـــان
وروى ابن نافع الصدوق سماعـه منـــه على التحقيـــق والإتقان(١)

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات أن إستوى لها في لغة العرب أربع معاني وأما تفسير استوى بمعنى استولى فليس موجود في كلام العرب كما نقل ذلك ابن العربي وغيره بل يلزم منه لوازم باطله وهو تفسير المعتزلة والجهمية والأشاعرة الذين ينكرون علو الله تعالى وإستواءه على عرشه.

---

(١) شرح ابن مانع ضمن الرياض الندية (٨٨ ـ ٨٩).

قوله:«الكرسي»: قيل بأنه العلم: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، ولم يذكر في القرآن الكرسي إلا في هذه الآية ولهذا سميت به قال بعضهم العلم جاء عن مجاهد ورده أهل العلم وجاء عن بعضهم أنه العرش وهو أيضا بعيد والصحيح هو ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال الكرسي موضع القدمين موضع قدمي الرب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدِّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ»[(١)]. رواته ثقات.

والحديث له حكم الرفع وعليه جرى أهل العلم في كتب العقائد أنهم يقولون الكرسي موضع القدمين ومما صح فيه أيضا ما صححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "يا أبا ذر ما السموات عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة"[(٢)].

وهذا مما يدل على عظم العرش إذا كان الكرسي بهذا الوصف والكرسي قال الله تعالى عنه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فكيف سيكون العرش وهذا مما يدل على أن العرش هو أعظم وأكبر المخلوقات ثم عقب بعد ذلك بقوله وهو مستغني عن العرش عقب بهذه الفقرة لأنه قد يتوهم متوهم أن الله استوى على عرشه أنه بحاجة إليه.

وهذا ليس بصحيح الله مستغني عن العرش وما دونه وهو القائل في كتابه الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[ص:٣٦١]، فهو سبحانه غني عن العرش والكرسي والخلق وإنما أراد أن يبين لعباده هذه الصفة سبحانه وتعالى وهي الإستواء على عرشه عزوجل لحكمة اقتضت ذلك وإلا فإن

---

(١) صحيح موقوف ـ أخرجه في السنة لعبد الله بن أحمد (٥٨٦)، وابن خزيمة في "التوحيد" "ص٧١-٧٢".

(٢) شرح الألباني كما في الرياض الندية (٩٠ ـ ٩١).

الله تعالى هو العالي على خلقه المستغني عنهم وهم المفتقرون إليه المحتاجون إليه سبحانه وتعالى ولايلزم من استوائه على عرشه أن يكون كاستواء المخلوقين فالله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، بل عقب المؤلف بقوله: « محيط بكل شيء وفوقه»، لأنه قد يتوهم متوهم مادام أن العرش هو مستوي عليه إذن فهو يقله، وهذا باطل فإن الله محيط بالمخلوقات وعال عليها وهو العلي الأعلى ولكنه يفعل ما يشاء ويريد ويصنع ما يشاء.

قال رَحِمَهُ اللهُ : «وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ»: فالخلق وإن عرفوا هذه الصفات وعلموا مثل هذه الأمور التي ذكر الله تعالى عن صفته فإنهم لايستطيعون الإحاطة به ولهذا قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ،وقال ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

جاء عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ " فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي

خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلاَ أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: " ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "«متفق عليه».

وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١). رواه أبو داود.

فمهما بلغ وصف العبد وعلمه فإنه لايبلغ ثناء الله تعالى ولايدرك إحاطته وإنما ما علمه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأدلة.

فيجب عليه الإيمان بها ولهذا قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، بدأ بالنفي ثم ذكر الإثبات حتى لايتوهم المثبت للأسماء والصفات تشبيه ويدخل في عقله تمثيل.

أما المبتدعة فإنهم يتخيلون بأذهانهم التشبيه والتمثيل فلذلك يحملهم ذلك على تعطيل الأدلة وتعطيل الله تعالى من كماله المقدس وإنكار الصفات اللائقة به سبحانه وتعالى.

والواجب على العبد في هذا الباب التسليم والإنقياد وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى فصلا أو بابا خاصا في باب العرش وهو بحث طيب فيه

---

(١) صححه الألباني رحمه الله تعالى. في الشمكاة (١٢٧٦).

فوائد تتعلق بوصف العرش وكلام أهل العلم حول العرش والرد على المعطلة الذين أنكروا العرش وقالوا هو عبارة عن الملك فيكون المعنى فاسدا.

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، أي على الملك استوى هذا باطل هذا يؤدي إلى عقيدة الحلولية الذين يقولون الله مستوي على كل مخلوقاته إذا كان معنى الملك معناه ان الله مستوي على ملكه على كل شيء وهذه هي عقيدة الحلولية والاستواء خاص بالعرش والملك فهو ملكه سبحانه وتعالى.

الخلة والتكليم

قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا،
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا)

الشرح

قال تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، ولحديث جُنْدَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ». [(١)] رواه مسلم.

ولم تكن هذه الميزة والكرامة إلا لهذين النبيين من العالمين فلم يتخذ الله تعالى خليلا من عباده إلا إبراهيم ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا يدل على أن الرسل والأنبياء يتفاضلون ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وأفضل الرسل هم أولوا العزم وهم عند جماهير أهل العلم هم المذكورون في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى.

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٨].

---

(١) مسلم (٥٣٢).

وفي الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] ،فهؤلاء هم أولو العزم من الرسل الذين قال تعالى عنهم في كتابه ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [هود: ٤٩] .

وليس معنى هذا أن بقية الرسل والأنبياء ماعندهم عزم ولاحزم ولكن هؤلاء بلغوا درجة عظيمة في العزم والحزم وتحمل الرسالة والدعوة إلى الله تعالى والرسل كذلك جميعا وأفضلهم بالإجماع هو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو القائل كما في حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١) رواه مسلم.

وفي رواية عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ» (٢). رواه أحمد.

والخلة هي أعلى مراتب المحبة فالمحبة لها مراتب كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كثير من كتبه ومنها روضة المحبين ونزهة المشتاقين وهكذا غيره أن المحبة لها مراتب وبعضهم ذكرها عشرة ومن تلك المراتب الخلة وهي أعلاها.

تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) صححه الألباني رحمه الله تعالى في الصحيحة (١٥٧١).

قوله رَحِمَهُ اللهُ : « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » وهذا مما اصطفى الله عزوجل به موسى أن كلمه وصار كليم الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ وأراد المؤلف في هذا الموضع الرد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ينكرون صفات الله تعالى منهم من ينكرها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكر بعضها فينكرون أن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وينكرون أن الله تعالى كلم موسى تكليما فيقولون الله تعالى لايوصف بصفة المحبة فالخلة هي مرتبة من مراتب المحبة والله لايوصف بصفة الكلام وهذه طريقة التعطيل والمعطلة.

وكان أول من أنكر صفة التكليم وأن الله كلم موسى واتخذ إبراهيم خليلا الجعد بن درهم كما ذكر ذلك شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى ثم يسر الله تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبدالله القسري الأمير، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالدا خطب الناس فقال في خطبته تلك: (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما). تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، روى ذلك البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد) وهو مشهور في كتب التواريخ وذلك سنة أربع وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعد بدعته هذه من بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنزل الله تعالى في ذلك سورة المعوذتين. ثم تقلد هذا المذهب المخذول عن الجهم غياث بن أبي كريمة، المريسي المتكلم، شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون وجدد القول بخلق القرآن ويقال أن أباه كان يهوديا صباغا بالكوفة وروي عنه أقوال شنيعة في الدين من التجهم وغيره مات سنة ثماني عشرة ومائتان. ثم تقلد عن بشر ذلك المذهب الملعون قاضي المحنة أحمد بن أبي داود، وأعلن مذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن وعلى أن الله لا يرى في الآخرة وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك، وقد ابتلاه الله تعالى: بالفالج

قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى: سنة أربعين ومائتين. ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيله فليقرأ كتب التواريخ يرى العجب.

وهذه القصة أسانيدها ضعيفة وهي قصة -أي قصة الجعد بن درهم- مشهورة عند أهل العلم في كتبهم ثم أخذ هذه الفكرة عنه الجهم بن صفوان أخذها وإشتهرت عنه وقيل لأتباعه الجهمية حتى قتله أمير خراسان سلم بن أحوز وسلم أحسن حالا من خالد بن عبدالله القسري لأنه ناصبي ولكن هذا إن ثبت فهذه من حسناته أنه قتل الجعد بن درهم.

وهذه الصفة صفة المحبة والكلام ليس لأهل التعطيل حجة إلا أنهم يقولون المحبة هي ميل المحب لمن يحب وهذا لايليق بالله تعالى فيقال لهم على تعريفكم هذا وأنتم تثبتون الإرادة لله وخصوصا الأشاعرة فالإرادة ميل المريد إلى من يريد فعلى قولكم انكروا الإرادة لأنهم يقولون معنى المحبة في الأدلة إرادة الثواب والإحسان والإكرام فيقال لماذا لاتنكرون الإرادة فقولهم باطل وإنما نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أكثر الأحاديث والآيات التي فيها صفة المحبة لله تعالى.

وقد ثبت لله تعالى من مراتب المحبة مرتبة المحبة والخلة والإرادة و الود ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

وأما بلفظ المحبة فأدلتها أكثر من أن تحصر تجد كثيراً منها في كتاب روضة المحبين وأما صفة الكلام فهي صفة لله تعالى ثابتة بالقرآن والسنة وإجماع أهل العلم أن الله تعالى متصف بالكلام أزلا وأبدا ونوع الكلام قديم وآحاده حادث متجدد متعلق بإرادة الله تعالى.

جاءت الصوفية أو بعضهم فزادوا من مراتب المحبة مرتبة العشق فأثبتوا لله تعالى العشق وهذا قول باطل لأنها صفة نقص لأن العشق كما يقول بن القيم رحمه الله تعالى يصحبه غرام

وأمور باطلة فلهذا لايوصف الله تعالى بهذا ولأنه لم يثبت في هذا دليل إنما يثبت لله المحبة والخلة والإرادة والود إثباتا من غير تعطيل ولا تكييف ولاتمثيل ولاتشبيه ولا تحريف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب

قَالَ الطَّحَاوِي رَحِمَهُ اللهُ :

وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،
وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ

الشرح

وهذا يعتبر من أصول الإيمان وأركانه، الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله.

و جمهور أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة إنما قدمهم المؤلف في هذا الموضع أولا أنهم مقدمون في حديث جِبْرِيلُ :«أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ثانياً لأنه إنما يوحى للأنبياء والرسل بواسطة الملائكة فهذا جبريل عليه السلام هو الذي ينزل بالوحي ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣] (١).

والإيمان بالملائكة والنبيين والكتب كما يقول أهل العلم إيمانا مجملا وإيمانا مفصلا.

فأما الإيمان المجمل بالملائكة الإيمان أنهم من خلق الله عزوجل خلقوا من نور، لحديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» رواه مسلم.

﴿لَايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وأنهم خلقوا لطاعته سبحانه وتعالى وجعل منهم رسلا ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، فمنهم من أرسل للبشر كجبريل بإرسال الرسالة من الله تعالى إلى الأنبياء وأن لكل منهم عمل: ﴿ وَمَا مِنَّا

---

(١) شرح البابرتي (٩٧).

إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [الصافات: ١٦٤]، وأما الإيمان المفصل كما ذكر من أسماء بعضهم وأعمالهم وما وكلوا به كما جاء في الأدلة كجبريل عليه السلام موكل بالوحي وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي وهكذا ميكائيل موكل بالقطر مالك موكل بالنار خازن النار.

وجاء في الآثار التي ذكرها بن كثير في "البداية والنهاية" وحسنها بعض أهل العلم أن رضوان هو خازن الجنة كما ذكره بن القيم رحمه الله تعالى في "حادي الأرواح" وبعض أهل العلم يقول بضعفه فنؤمن به إجمالا وتفصيلا(١).

وأما الإيمان بالنبيين أنهم أنبياء الله تعالى ومنهم الرسل والأنبياء ومنهم من وصل لدرجة الرسالة ونالوا هذا الشرف وأنهم كثر كما أخبر تعالى في كتابه: ﴿ مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وأن الله أنزل عليهم الوحي والكتب منها ما علمنا وما لم نعلم وأنه يجب الإيمان بما جاءوا به وأنهم أنبياء الله ورسله حقا وأما الإيمان المفصل فنؤمن بهم على سبيل التفصيل سواء من ذكرهم الله تعالى في كتابه أو نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

وقد ذكر أهل العلم أن المذكورين في الأدلة يصلون خمس وعشرين نبيا ورسولا واختلف أهل العلم في بعضهم وهو ذو الكفل قال بعضهم هو من الخمس وعشرين وقال جمهور أهل العلم رحمهم الله تعالى هو من الصالحين وليس من الأنبياء وأن منهم أولوا العزم من الرسل وأن أولهم ـ أي الأنبياء، أما أول الرسل إلى أهل الأرض فنوح ـ إلى أهل الأرض آدم عليه السلام وأن آخرهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن من فرق وكفر ببعضهم فقد كفر بهم جميعا قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾، مع أنهم لم يكذبوا إلا هودا ولكن التكذيب بنبي واحد يعد تكذيبا بجميع الأنبياء.

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٥٠) ط: دار الفكر، وانظر حادي الأرواح (١/ ١٢٢)،ط: عالم الفوائد.

وأما الإيمان بالكتب نؤمن بها إيمانا مجملا أن الله تعالى أنزل على بعض أنبيائه ورسله كتبا من السماء ووحي منه سبحانه وتعالى ومنها ما نؤمن به على التفصيل صحف إبراهيم وموسى والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى والزبور الذي أنزل على داوود والقرآن الذي أنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان حاكما وناسخا لتلك الكتب الماضية ومهيمنا عليها.

ومن الإيمان بالكتب الماضية أن نؤمن بأنها منسوخة فلا يأتي أحد فيقول من الإيمان بالكتب أننا نعمل بالتورات والإنجيل لأن هذه الكتب منسوخة وأن أصحاب تلك الأديان بدلوها وحرفوها وغيروها فلايجوز الرجوع إليها ولا العمل بها ومابقي منها صحيح فقد نسخ حكمه

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ «أَتَاهُ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا، أَفْتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ ! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»[(١)]، رَوَاهُ أَحْمَدُ.

ولهذا لايجوز طبع الأناجيل ونحوها أو نشرها أو العمل بما فيها فإن هذا فيه رد لما جاء في كتاب الله تعالى من نسخ تلك الكتب.

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة (١٧٧).

أهل القبلة

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ الله :

وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ

الشرح

وهذا فيه أن الإسلام قد يطلق على الإيمان والإيمان قد يطلق على الإسلام.

وأصح ما قيل في هذه المسألة أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فعند الاجتماع فالإسلام يحمل على الشعائر والأعمال الظاهرة والإيمان يحمل على الأعمال الباطنة.

فمرتبة الإيمان أعلى من مرتبة الإسلام ومراتب الدين الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان كما في حديث عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ:

فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١) رواه مسلم.

وفي هذه الفقرة رد على الخوارج الذين يكفرون أهل القبلة بذنوبهم على الإطلاق فلا يكفر أهل القبلة بكل ذنوبهم مالم يستحلوها ومن الذنوب ما يكفر صاحبه فلا يقال لايكفر بذنب فمن الذنوب ما يكفر صاحبها ولكن لايكفر بكل ذنب مالم يستحله فإن إستحله صغيرا كان أو كبيرا فهو كافر وأما أن يكون من أهل الإسلام ويفعل معصية فيكفر بها، فهذا ليس بصحيح مادام أنه من أهل القبلة فينظر إلى حاله وإلى ذنبه، الذي وقع فيه ومعصيته التي ارتكبها فإن استحق بها الكفر كفر وإن لم يستحق فلا.

ثم إنه ينبغي أن يعلم أن هذه هذه المسائل من المسائل الخطيرة التي يجب على المسلم أن يكون عندها متورعا متوقفا عند الأدلة وأن لا يكون مجازفا ويأخذ بالشبهات ومجرد بعض الأقاويل قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في بعض كتبه: (لو وجدت العلماء اختلفوا في رجل ووجدت تسعة وتسعين منهم يقولون هو كافر وواحد منهم يقول هو ليس بكافر قال فلأن تأخذ بقول الواحد أحوط).

وليس معنى هذا أنك ترد الأدلة ولكن ليعلم أن هذه المسائل ليست يسيرة فإخراج مسلم من الإسلام إلى الكفر ليس باليسير معناه أنه تحكم له بالنار إن مات على ذلك وهذا أمر خطير ولهذا يجب التورع وسؤال أهل العلم والتثبت والنظر في الأدلة وفي الضوابط التي ذكرها أهل العلم ولايكون المسلم متعجلا وأيضا من الناس من ربما تطرأ عليه بعض شبه الخوارج فيكفر المسلمين من حيث لايشعر والسبب في ذلك أن الخوارج في أيامنا كثروا ومنهم من

(١) مسلم (١).

يتكلم بلسان أهل العلم والسنة ويظهر أنه من أهل السنة ويكتب الكتب والرسائل وينشر في الشبكات ويلقي الشبهات وهو في آخر المطاف يرجع إلى صف الخوارج والتكفيريين.

فينبغي للمسلم أن يحذر ولطالب العلم أيضا أن يكون على يقظة ويرجع لأهل العلم المعتبرين وإلى أصول أهل السنة المعتمدة وينظر ما أشكل عليه فلا يكن متعجلا فما أكثر الذين وقعوا في شباك الخوارج بسبب تلقفهم للشبهات وقراءتهم من هنا وهناك دون تثبت وتروي.

وأهل القبلة قد يقترفون ويقعون في المعاصي ومن ذا الذي لايسلم من المعاصي ولكن إذا كان هذا منهم مع الاعتراف والإقرار بما جاء به النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإقرار بالإسلام فلا يحق لنا أن نكفرهم وإنما هؤلاء عصاة مخالفون ويحكم عليهم بما يستحقون، وإنما ربما تأخذهم الشهوات أوالشبهات أو حب الدنيا أو مجاملة ومداهنة الآخرين فيقعون في معصية الله تعالى فمثل هؤلاء يحتاجون إلى دعوة لا إلى تكفيرهم بهذا لعلهم أن يرجعوا أما أننا نكفرهم ونخرجهم من الإسلام فهذا ليس بصحيح وإنما هذا غلو يكون سببا لتنفير الناس عن دين الله.

ومن جاءت الأدلة الواضحة بتكفيره وأفتى أهل العلم بذلك بناءا عليها فهنا يقول الإنسان بقول أهل العلم وهو مطمئن.

ولا ينبغي لطالب العلم في مثل هذه المسائل أن يتطاول ولا أن يسابق أهل العلم ويتقدم على كلامهم بل يقبل على شأنه ويجتهد في طلب العلم ويستنير بكلام أهل العلم ولايتعب نفسه في هذا الباب.

فأهل العلم أحرص وأعلم وأعرف بهذه المسائل فعنهم يؤخذ العلم ومنهم يستفاد وإليهم ترجع هذه المسائل المشكلة فيسألون عنها وأما الذين يتطاولون فسرعان ماتنقطع ركابهم وتتعثر أقدامهم وتضيق أحوالهم فتجده ربما هذا اليوم في درجة عالية من الغلو فلما ضاق به الحال انحدر في أسفل السافلين في باب التميع والتفلت وهذا بسبب المجاوزه والتباعد عن الحق والصواب.

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ الله:

وَلَا نَخُوضُ فِي اللَّهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللَّهِ

الشرح

أي لا نتكلم في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته بغير علم وإنما نرجع في ذلك كله إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كيفية ذات الله تعالى وصفاته لايدركها العقل فلايجوز الخوض في ذلك ونقول ما قال تعالى وما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذه الفقرة رد على المتكلمين ومن كان على شاكلتهم يخوضون في هذا الباب ويثبتون له ما لم يثبته لنفسه وينفون عنه ما لم ينف عن نفسه فقولهم باطل وإنما كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠]، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، فما أثبته نثبته وما نفاه ننفيه ونكف عن ما عدى ذلك مما لا علم لنا به.

قال رَحِمَهُ الله: «وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللَّهِ»: معناه لانجادل ولانخاصم أهل الحق بإلقاء الشبهات التي يصنعها أهل الباطل وقد جاء النهي في ذلك في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت: ٤٦]، وهكذا نهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»(١).

(١) أبو داود (٤٨٠٠)، الصحيحة (٢٧٣).

وهكذا المجادلة في دين الله تعالى وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تؤدي إلى قسوة القلوب والانحراف عن الحق وإلى رد الأدلة والبعد عنها، وإنما الواجب على المسلم التسليم والإنقياد والاستسلام لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأما من التبست عليه الأمور فيبين له ويجادل بالتي هي أحسن في إظهار الحق وإعلائه وإبطال الباطل وليس هذا من المنهي عنه.

الجدال في القرآن

قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

الشرح

وهذه المسألة قد تقدم الكلام عنها وعن بعضها في ما مضى والطحاوي رحمه الله تعالى لم يرتب بعض المواضيع مثل الكلام عن القرآن والقدر فيضم بعضه إلى بعض بل جعله متفرقا والأحسن أنه كان يجمعه في موضع واحد، والجدال في القرآن إما أن يكون في تحريفه أو تكذيبه فلا يجوز المجادلة في القرآن بمعنى أن يحرف في ألفاظه أو معانيه أوتكذيبه أو رده أو عدم التحاكم إليه وأيضا لانقول فيه كما قالت المبتدعة الذين قالوا القرآن مخلوق وليس هو من كلام الله تعالى أو الذين قالوا القرآن هو عبارة عن كلام الله تعالى أو حكاية عن كلام الله تعالى فلا نقول كما قالوا.

وقال بعضهم يحتمل أنه لانجادل في القرآن بمعنى أننا نقبل كل ما جاء من القراءات الصحيحة وأن لها معاني صحيحة فلا نأخذ بعضها ونرد الآخر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه كما جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤوها، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هكذا أنزلت» . ثم قال لي: «اقرأ» . فقرأت. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: «هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[(١)]. متفق عليه. واللفظ لمسلم

والمراد السبع اللغات وهذه السبع القراءات إنما هي من حرف واحد فما ثبت كونه قرآنا فإنه يجب الإيمان به ولا يجوز رده ولا الجدال بالباطل حوله وهو كلام رب العالمين ومعنى قوله أي أنه من كلام الله فليس القرآن هو كل كلام الله تعالى فالقرآن من كلام الله.

وإذا قال أهل العلم عن القرآن كلام الله تعالى فهذا مقصودهم فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

ومن كلام الله تعالى الكتب المنزلة على رسله فالقرآن من كلام الله تعالى، وفي هذا رد على كل المعطلة الذين خالفوا في مسألة القرآن وهم فرق كثيرة منهم من كفر بالله العلي العظيم وإن انتسب إلى الإسلام كما هو حال الجهمية الذين يقولون بأن القرآن مخلوق وأنه ليس من كلام الله تعالى.

وجاءت المعتزلة ووافقت الجهمية في هذا القول وجاءت الأشاعرة فقالوا القرآن عبارة عن كلام الله تعالى أي أن هذا الذي بين أيدينا ليس هو كلام الله تعالى فالله تعالى تكلم في الأزل وهذا عبارة عن كلام الله تعالى وأما الله تعالى فإنه يتكلم بكلام نفساني وقولهم باطل والكلابية يقولون القرآن حكاية عن كلام الله تعالى ومؤدى قول الأشاعرة والكلابية يرجع إلى قول الجهمية الذين يقولون بأن القرآن مخلوق.

وهكذا ممن خالف الفرقة القرآنية الذين يسمون بالقرآنيين الذين يقولون نؤمن بالقرآن وأما السنة فلا نؤمن بها وهذه فرقة كافرة لأن رد السنة يعتبر ردا للقرآن فالقرآن والسنة وحي

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٢، ومسلم (٨١٨).

من الله تعالى متلازمان فمن جحد القرآن فقد جحد السنة ومن جحد السنة الثابتة الصحيحة فقد جحد القرآن: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

وهذه الفرقة قولهم بعيد فما أكثر الأحكام الشرعية التي جاءت في القرآن مجملة ثم فصلتها السنة على قولهم كيف سيعملون في الأدلة التي جاءت في الزكاة والصلاة والصيام وغير ذلك من الأحكام العامة التي جاءت السنة مبينة لها ومن الذين خالفوا في القرآن بعض الصوفية الذين يقولون القرآن لايوصف بأنه عربي ولا عجمي وقولهم باطل وقال بهم بعض الصوفية ومنهم عمر بن حفيظ (الحضرمي المعاصر) هذا القول باطل فإن الله تعالى قال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقد رد هذه الفرية قديما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كما في كتابه الرسالة فلو أن هؤلاء الصوفية يعقلون فهم يدعون أنهم من أتباع الشافعي رحمه الله تعالى لرجعوا إلى كتابه الرسالة واستفادوا ما قاله عن القرآن.

وأيضا القرآن كما قال المؤلف نزل به الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام وإضافة القرآن إليه في قول الله تعالى :﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، باعتبار أنه الذي نزل به والذي جاء به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس هو كلامه فقد وصف بهذا وفي موضع آخر قيل عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، فالمراد أن جبريل أنزله على محمد ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغه للأمة، وإلا هو كلام الله تعالى وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر فالقرآن كلام الله تعالى، وهو كلامه حروفه ومعانيه ليست المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني بل هو كلام الله عزوجل حقيقة حروفه ومعانيه والأدلة في ذلك كثيرة:

قال تعالى:﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله:﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[القصص: ٣٠]، نداء بصوت مسموع.

وقوله: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] كلام مكتوب.

وقوله:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، كلام يسمع، وقوله: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧].

الدليل من السنة:

حديث احتجاج آدم وموسى وفيه: « قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بكلامه»(١).

حديث قصة الإفك وقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: « ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى»(٢).

حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟»(٣).

حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « بينما جبريل قاعد عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أبشر بنورين أوتيتهن لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما؛ إلا أعطيته»(٤).

و حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: « يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار»(٥).

---

(١) متفق عليه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) متفق عليه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) متفق عليه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٤) مسلم (٨٠٦).

(٥) متفق عليه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢).

وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ [الطلاق: ٥]، فالقرآن من أمر الله تعالى وليس من خلق الله تعالى وهناك فرق بين الأمر والخلق، ولهذا قال تعالى: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف: ٥٤]، ولما ناظر سفيان بن عيينة بسر المريسي حين قال القرآن مخلوق قال له سفيان يادويبة كيف تقول إن القرآن مخلوق والله تعالى يقول ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف: ٥٤]، فالأمر غير الخلق قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

ومما يعتقد في القرآن أنه منزل من الله تعالى وهذا يدل على علو الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢]،﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، والآيات في هذا كثيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ»: وهذا فيه رد على المشبهة الذين يثبتون لله تعالى من الصفات ماهي موجودة عند المخلوقات فيشبهون الله بخلقه فمادام أننا نثبت لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العلى فإنه يجب علينا أن ننزه الله تعالى أن يشابه أو يماثل المخلوقين فإنه كما قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فنثبت ما جاء في الأدلة إثباتا مع التنزيه وبغير تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

قال الطحاوي قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ»: أي كما تقول الجهمية والقول بخلق القرآن كفر لأنه رد لكثير من الأدلة من الكتاب والسنة وأما ما استدلوا به من قول الله تعالى (الله خالق كل شيء) فهذا ليس فيه دليل وإنما الآية المقصود بها المخلوقات وإلا فإن الله تعالى يقول:﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فأطلق على نفسه شيء فهل معناه أنه يدخل في قوله شيء فهذا ليس بصحيح وأيضا قوله:﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ

بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[الأحقاف: ٢٥]، فهل معناه أنه لم يبقى شيء ،وإنما معناه تدمر كل شيء ماهوصالح للتدمير لهذا قال تعالى:﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، المساكن مازالت موجودة.

وأيضا قوله تعالى عن ملكة سبأ :﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، ليس معناه أنها أوتيت السموات والأرض الجواب لا إنما أ تيت كل ما يصلح للملك، وأما القرآن فهو من صفات الله تعالى فلا يدخل في هذه الآية فليس هذا على الإطلاق.

والقول بخلق القرآن كفر وهناك فرق بين أن تقول فلان كافر لأنه قال بخلق القرآن وبين أن تقول القول بخلق القرآن كفر فرق بين العبارتين فهذا تكفير على التعميم وذلك تكفير على التعيين والأول ثبت به كلام السلف، فقد كفر الجهمية عدد كبير من العلماء، كما نقله ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية أنه نحو خمس مائة عالم والإمام أحمد رحمه الله تعالى في زمنه كان الواثق بالله يقول بخلق القرآن ويلزم الناس بذلك ومع ذلك ما كفره الإمام أحمد رحمه الله تعالى ولا حث بالخروج عليه، لأن التكفير في باب التعيين بابه آخر وإنما هذا بالعموم والوصف فالقول بخلق القرآن كفر وأما على التعيين فينظر في الشخص هل توفرت فيه الشروط وانتفت الموانع.

قوله رحمه الله تعالى: « وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ »: وهذا فيه أن من قال بخلق القرآن فقد خالف الإجماع فإن هذا الذي عليه إجماع السلف، وقد نقل أهل العلم كما ذكره ابن أبي العز رحمه الله تعالى نقلوا إجماع السلف على أن القرآن كلام الله تعالى، ولاتجد مؤلف في باب العقيدة للأئمة إلا ويذكرون هذه المسألة ويقولون والقرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود.

وهكذا تجد في الواسطية وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني ولمعة الاعتقاد لابن قدامة والطحاوية وفي سائر الكتب التي ألفت في العقائد ولم يخالف إلا أهل البدع ولهذا قال

الطحاوي ولانخالف جماعة المسلمين سواء في هذه المسألة أوغيرها من المسائل فإن مخالفة جماعة المسلمين ضلال فإن يد الله مع الجماعة.

جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ» .(١).

والبعد عن طريقتهم ضلال: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١٥].

قال بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ» وقال الْأَوْزَاعِيَّ: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ. وَإِيَّاكَ وَرَأْيَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ بِالْقَوْلِ. فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ» رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث.

فمخالفة الشرع ضلال وان ظهر للناس بعض الشبهات فلا بد أن يعرضها على مذهب السلف على طريقة الأئمة، وعلى كلام العلماء فإن من خرج عن جماعة المسلمين والسلف الصالح فإن هذا من علامات الضلال المبين سواء في القرآن أو في غيره من المسائل.

---

(١) الترمذي(٢١٦٦)، صححه الألباني في صحيح الترمذي.

أهل القبلة

قَالَ الطَّحَاوِيُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ،
وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ

الشرح

هذه الفقرة بعض أهل العلم إنتقدها على الإمام الطحاوي في قوله ولانكفر أحدا من أهل القبلة بذنب قالوا هذا ليس على إطلاقه فمن الذنوب ما يكفر صاحبها فتارك الصلاة جاحدا لها كافر وهو ذنب(١).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى في قول المؤلف «بِذَنْبٍ»: «هو ما دون الشرك»، ويفسر قوله ما لم يستحله والأحسن كما قال ابن ابي العز رحمه الله تعالى أن يقال: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بكل ذنب فأهل القبلة منهم من يكفر ببعض الذنوب ولايكفر بالذنوب كلها أما الإطلاق فليس بصحيح».

وأهل القبلة هم الذين تقدم ذكرهم في كلام المؤلف:« وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ»: فأهل القبلة هم الذين جمعوا بين الصلاة إلى القبلة والكعبة وأتوا بالتصديق بما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله :« وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا » يخرج من هذا الروافض غلاتهم فإنهم لايعدون من أهل القبلة وإن صلوا فإنهم لايعترفون بما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومراد المؤلف من هذه الفقرة

---

(١) وانظر شرح الفوزان (١٤٣).

الرد على الخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج يقولوا في مرتكب الكبيرة ومطلق المعصية يخرج من الإسلام ويدخل في الكفر والمعتزلة يقولون مرتكب الكبيرة يكفر ويخرج من الإسلام ولكن لايدخل الكفر وإنما يكون في منزلة بين منزلتين فأراد أن يرد عليهم بهذه الفقرة أن من معتقد السلف أنهم لايكفرون أهل القبلة بكل الذنوب بل من الذنوب من لايكفر صاحبها ويكون عاصيا ومنها ما يكون كافرا.

وأما الإطلاق فهو إطلاق الخوارج والناس في باب التكفير ثلاثة أقسام:

١_الوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة يتفقون في الحكم الأخروي يقولون من مات على كبيرة فهو خالد مخلد في النار وإنما يختلفون في الدنيا فيقول الخوارج يكفر ويقول المعتزلة هو في منزلة بين منزلتين وهؤلاء هم الذين غلوا بالتكفير بالمعصية[(١)].

٢_المرجئة وهم الذين لايكفرون أحدا من أهل القبلة ويقولون لايضر مع الإيمان ذنب فمن قال لاإله إلا الله وفعل ما فعل لايكفر وهذا تفريط وهذه بدعة بل غلاة المرجئة أشد من الخوارج كما سيأتي.

٣_أهل السنة والجماعة الذين يكفرون من كفره الله تعالى أو كفره رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأدلة والبراهين الواضحة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم وسط كما قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة: ١٤٣]، فالخوارج والمعتزلة أخذوا بأدلة الوعيد وجاء المرجئة وأخذوا بأدلة الوعد وجاء أهل السنة فجمعوا بين الطرفين[(٢)] بين الأدلة التي جاءت في الوعد والوعيد فسلموا من الضلال وهكذا في كثير من الأبواب من يجمل ربما يضل والذي يأخذ بالتفصيل الذي جاء في الأدلة يسلم وينجوا بإذن الله تعالى، وأهل السنة

(١) شرح البابرتي (١٠٤).

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٤٦٧ ـ ٤٦٨).

والجماعة لايكفرون أهل الكبائر لأصول عظيمة عندهم يعتقدونها وهذه الأصول تنقسم إلى ثلاثة أقسام

١ـ أن الإيمان يتجزأ ويتبعض في القلوب فقد يذهب بعضه ويبقى بعضه.

٢ـ أنهم يقولون قد يسلب الإيمان من العبد ويبقى معه الإسلام لقول الله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وهذا فيه دليل على أنه يبقى معهم الإسلام فالله تعالى نفى عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام.

٣ـ أنه قد يجتمع في العبد حسنات وسيئات طاعات ومعاصي ومن لم يعتقد هذا وقع في الخطأ، فلما كان عند أهل هذه السنة هذه الأصول سلموا من تكفير أصحاب المعاصي، والإستحلال كما ذكر أهل العلم ينقسم إلى قسمين :

١_الاستحلال القلبي الاعتقادي وهو أن يعتقد العبد في قلبه تحليل ما حرم الله تعالى جملة أو تحليل بعض ما حرم الله وهذا كفر بالإجماع وإن لم يفعل هذا المنكر مثلا رجل إعتقد أن الخمر حلال وإن لم يشربها فهو كافر لأنه استحل ما حرم الله هذا بالإجماع.

٢_الاستحلال العملي وبعضهم يسميه الكفر العملي هو الخوض في المعاصي والمحرمات والاسترسال فيها لكنه لايعتقد حلها هذا يقال له استحلال عملي يخوض في المعاصي والمحرمات لكن لايعتقد حلها سواء إستقل منها أو استكثر هذا لايكفر لكنه على خطر عظيم كما ذكر ذلك الحافظ بن حجر في فتح الباري رحمه الله تعالى[(١)].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في تعليقه: «يعني استحلالا قلبيا اعتقاديا وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عمليا أي مرتكب له ولذلك فلا بد من التفريق بين المستحل اعتقادا فهو كافر إجماعا وبين المستحل عملا لا اعتقادا فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن

(١) فتح الباري (١٠/ ٧٠)، وكذا انظر الصارم المسلول (٥٢١).

يغفر الله له ثم ينجيه إيمانه خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود في النار وإن اختلفوا في تسميته كافرا أو منافقا».

وقد نبتت نابتة جديدة اتبعوا هؤلاء في تكفيرهم جماهير المسلمين رؤوسا ومرؤوسين اجتمعت بطوائف منهم في سوريا ومكة وغيرها ولهم شبهات كشبهات الخوارج مثل النصوص التي فيها: من فعل كذا فقد كفر.

وقد ساق الشارح رحمه الله تعالى طائفة منها هنا، ونقل عن أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص - أن الذنب أي ذنب كان هو كفر عملي لا اعتقادي وأن الكفر عندهم على مراتب: كفر دون كفر كالإيمان عندهم، ثم ضرب على ذلك مثالا هاما طالما غفلت عن فهمه النابتة المشار إليها، فقال رحمه الله تعالى ص (٣٦٣):

وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة ويكون كفرا: إما مجازيا وإما كفرا أصغر على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله -: فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا أو كفرا أصغر. وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور).اهـ كلام الألباني رحمه الله.

ومن هنا وقع الخوارج في تكفير الحكام على الإطلاق لأنهم استحلوا ماحرم الله تعالى تركوا الشريعة جانبا وحكموا بغير ما أنزل الله تعالى ففعلهم هذا كفر وهذا القول على الاجمال باطل وإنما ينظر إلى هذا الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى.

فمن قدم الحكم بغير ما أنزل الله تقديما له ورغبة فيه وكراهية لحكم الله فهو كافر أو أنه حكم بهذا الحكم واعتقد انه مساوي لحكم الله فلافرق عنده فهذا كافر أو أنه يقول الأصل في الحكم هو الشريعة الإسلامية ولكن حمله على ذلك المعصية أو حب الرئاسة وإما الخوف من الكافرين وإما شهوة أو شبهة فهذا يكون عاصيا فاجرا ولايكون كافرا.

أما الخوارج فهم ينظرون بمنظار أن الحاكم بدل الشريعة ولم يفرقوا بهذه الفروق، وهذا الذي نبه عليه أهل العلم كشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وهكذا نقله بن ابي العز في الطحاوية[(١)].

قوله: «وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ»: هذا فيه رد على المرجئة وهم لايكفرون أحدا من أهل القبلة ثبت تكفيره بالدليل ويقولون من قال لا اله الا الله فهو مؤمن كامل الإيمان وإن فعل مافعل.

والمرجئة ينقسمون إلى أربعة أقسام:

منهم الغلاة وهم الجهمية فالجهمية في باب الإيمان يعتبرون غلاة المرجئة وهم الذين يقولون الايمان مجرد المعرفة بالقلب ولايحتاج إلى نطق وعمل وإنما معرفة بالقلب وعلى قولهم هذا إبليس مؤمن كامل الإيمان لأنه عرف بقلبه أن الله تعالى هو ربه بل انه صرح ونطق: قال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٣]، فقولهم كفر وزندقة حتى قال بعض العلماء قولهم في باب الإيمان أشر من الخوارج.

والثاني وهم الأشاعرة وهم الذين يقولون الإيمان مجرد التصديق بالقلب وهذا قول باطل

والثالث هم الكرامية أتباع محمد بن كرام وهم الذين يقولون الإيمان نطق باللسان ويكتفي بهذا وقولهم يلزم منه أن المنافقين الذين كانوا في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أهل الإيمان،

---

(١) شرح الطحاوية (٦٠).

لأنهم نطقوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فإن الله تعالى قد حكم عليهم بأنهم في الدرك الأسفل من النار؟

والرابع هم مرجئة الفقهاء كأبي حنيفة وحماد بن ابي سليمان ومن إليهم وهم الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان فيقولون الإيمان قول واعتقاد ويخرجون الأعمال وإنما يقولون الأعمال من ثمار الإيمان وقول أهل السنة والجماعة في باب الإيمان أن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الخوارج يقولون يذهب جملة واحدة لاينقص والمرجئة يقولون مادام أنه وجد فلا يذهب منه شيء يفعل ما يشاء مادام أنه قال لا إله إلا الله فهو كامل الإيمان وهذا قول باطل.

فأهل السنة والجماعة وسط بين هذه الفرق في باب الإيمان والتكفير بالمعصية، وأدلة ذلك في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة، وبسطها في شرح ابن أبي العز رحمه الله تعالى وفي غيرها من الكتب الموسعة.

قَالَ الطَّحَاوِيُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ

الشرح

المحسنون يرجى لهم الخير وأن الله يعفوا عنهم وقد ذكر تعالى في كتابه وهكذا نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسبابا كثيرة للعفوا والمغفرة لأهل الإحسان ذكرها شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في منهاج السنة النبوية، ونقل جملة منها ابن ابي العز رحمه الله تعالى في شرح الطحاوية ومنها التوبة النصوح[(١)]:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ۞ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزُّمَرِ: ٥٣]

ومنها الاستغفار :﴿ و إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]

ومنها المبادرة إلى الطاعات والحسنات:﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] .

---

(١) شرح ابن أبي العز (٤٨٤ ـ ٤٩٢).

ومن ذلك ما جاء في حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللهَّ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[(١)].

ومنها مصائب الدنيا التي يبتلي الله تعالى بها المؤمن فهي من مكفرات الذنوب ومن أسباب مغفرتها، جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُّ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[(٢)]. متفق عليه

وهكذا ذكر أهل العلم مايحصل له في عذاب القبر أو في القبر وأيضا إستغفار المؤمنين ودعائهم له وشفاعة من جعل الله له الشفاعة وغير ذلك هذا مما يعفوا الله تعالى به عن أهل الإيمان والإحسان ويكون سببا لمغفرة ذنوبهم، فصاحب الايمان والخير يرجى له الخير لكن لايجزم له بالجنة.

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة هل يشهد لأحد بالجنة أم لا فقال بعضهم لايشهد إلا للأنبياء وقال بعضهم بل نشهد للأنبياء ولمن جاءت الأدلة بالشهادة له أنه من أهل الجنة وهذا هو القول الصحيح الذي تدعمه الأدلة من الكتاب والسنة هذا على سبيل التعيين لا على سبيل الوصف وأما الوصف فالمؤمنون في الجنة والمتقون في الجنة والمحسنون والمخلصون في الجنة وهكذا على سائر الأوصاف.

ولكن على التعيين لايقال فلان في الجنة إلا بدليل قاطع من الكتاب والسنة وقال بعض أهل العلم نشهد لم شهد له الدليل ولمن شهد له أهل الإيمان واستدلوا بما جاءعن أنس قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا

---

(١) رواه أحمد، الترمذي(١٩٨٧)، حسنه العلامة الألباني.

(٢) البخاري (٥٦٤١)، مسلم (٢٥٧٣).

عليها شرا. فقال: «وجبت» فقال عمر: ما وجبت؟ فقال: «هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض» . وفي رواية: «المؤمنون شهداء الله في الأرض»[(١)]. متفق عليه

وهذا الحديث ليس صريحا في ما استدلوا به فإنه لو لا تنصيص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حكم على الرجل بمجرد شهادتهم وثنائهم ولكن كما تقدم يقال يرجى للمحسن والمؤمن أنه يسلم من عذاب الله تعالى.

وقوله: « وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ » لأنه مازال مسلما والمؤمنون إخوة وهذا من التعاون على الخير.

جاء: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى، قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»[(٢)]. رواه مسلم.

فيتعاون معه في حياته على البر والتقوى فإن مات دعى له واستغفر له وإنما نهي المؤمنون عن الاستغفار لأهل الشرك، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[التوبة: ١١٣].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ أُبَيٍّ دُعِيَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ تَحَوَّلْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي صَدْرِهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَعَلَى عَدُوِّ اللهَّ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أُبَيٍّ القَائِلِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ - يَعُدُّ أَيَّامَهُ

---

(١) متفق عليه، البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٥٨٠ ـ ٥٨١).

ـ قَالَ: وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: " أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ إِنِّي قَدْ خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠] لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ ".

قَالَ: ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَمَشَى مَعَهُ، فَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى فُرِغَ مِنْهُ.

قَالَ: فَعُجِبَ لِي وَجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الآيَتَانِ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [التوبة: ٨٤] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قَالَ: فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ وَلَا قَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في " فتح الباري "[(٢)]:

أَمَّا جَزْمُ عُمَرَ بِأَنَّهُ مُنَافِقٌ فَجَرَى عَلَى مَا كَانَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهِ وَإِنَّمَا لَمْ يَأْخُذِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ إِجْرَاءً لَهُ عَلَى ظَاهِرِ حُكْمِ الْإِسْلَامِ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ وَاسْتِصْحَابًا لِظَاهِرِ الْحُكْمِ وَلِمَا فِيهِ مِنْ إِكْرَامِ وَلَدِهِ الَّذِي تَحَقَّقَتْ صَلَاحِيَتُهُ وَمَصْلَحَةُ الِاسْتِئْلَافِ لِقَوْمِهِ وَدَفْعُ الْمَفْسَدَةِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يَصْبِرُ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ ثُمَّ أُمِرَ بِقِتَالِ الْمُشْركين فاستمر صفحه وعفوه عَمَّنْ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَلَوْ كَانَ بَاطِنُهُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ لِمَصْلَحَةِ الِاسْتِئْلَافِ وَعَدَمِ التَّنْفِيرِ عَنْهُ وَلِذَلِكَ قَالَ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ.

فَلَمَّا حَصَلَ الْفَتْحُ وَدَخَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَقَلَّ أَهْلُ الْكُفْرِ وَذَلُّوا أُمِرَ بِمُجَاهَرَةِ الْمُنَافِقِينَ وَحَمْلِهِمْ عَلَى حُكْمِ مُرِّ الْحَقِّ وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ النَّهْيِ الصَّرِيحِ عَن

(١) الترمذي (٣٠٩٧)، وهو في البخاري بنحوه (٤٦٧١).

(٢) " فتح الباري " (٨/ ٤٢٦).

الصَّلَاة عليالمنافقين وَغيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُمِرَ فِيهِ بِمُجَاهِرَتِهِمْ وَبِهَذَا التَّقْرِيرِ يَنْدَفِعُ الْإِشْكَالُ عَمَّا وَقَعَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى.

قلت: وإنما صلى عليه بعدها أدخل في حفرته وأخرج منها بأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وألبسه قميصه .

وعمه أبو طالب مع علمه أنه مشرك وأنه مات على الشرك قال: « لأستغفرن لك».

جاء عن الْمُسَيِّبِ بن حزَن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ الله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله ".

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا وَالله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[التوبة: ١١٣] ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١) .

فهذا يدل على أن الاستغفار للمؤمنين بعد موتهم أمر مطلوب والمقصود بهم من كان عندهم زلل وهم المسيئون فالإستغفار لهم مشروع، ومع ذلك فمن عصى الله تعالى أو وقع في المعصية فإنه لايقنط: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر: ٥٦].

---

(١) البخاري (٤٧٧٢)، مسلم(٢٤)..

وإنما يدعى إلى التوبة ويحذر من المعصية وأهل الإيمان هم الذين يقبلون على الطاعات ومع ذلك يخافون ألا يقبل منهم وألا يغفر لهم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وقد سألت عائشة عن هؤلاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «هم الذين يعملون الأعمال ويخافون ألا تقبل منهم». الحديث.

وروى ابن جرير الطبري عن الحسن أنه قال عند هذه الآية قال: « عملوا بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم إن المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع اسائة وأمنا»، وهكذا حال أهل الإيمان وحال أهل النفاق والكفر.

ذكر ابن الجوزي في كتابه "المدهش"، فقال: كَانَ عمر يخَاف مَعَ الْعدْل يَا من يَأْمَن مَعَ الْعُدُول.اهـ أي العدول عن الحق والطاعة، ومع ذلك يحصل الأمن والاسترسال في ذلك والغفلة.

وقال ابن الجوزي: إخوَانِي كَيفَ الْأَمْن وَهَذَا الْفَارُوق يَقُول لَو أَن لي طلاع الأَرْض ذَهَبا وَفِضة لافتديت بهَا كَيفَ الْأَمْن من هول مَا أَمَامِي قبل أَن أعلم مَا الْخَبَر لما طعن عمر قَالَ لِابْنِهِ ضع خدي على التُّرَاب فَوَضعه فبكى حَتَّى لصق الطين بِعَيْنَيْهِ وَجعل يَقُول ويلي وويل أُمِّي إِن لم يرحمني رَبِّي وَدخل عَلَيْهِ كَعْب وَكَانَ قد قَالَ لَهُ أَنَّك ميت إِلَى ثَلَاثَة أَيَّام فَلَمَّا رَآهُ أنْشد

وواعدني كَعْب ثَلَاثًا يعدها ... وَلَا شكّ أَن القَوْل مَا قَالَه كَعْب
وَمَا بِي حذار الْمَوْت أَنِّي لميت ... وَلَكِن حذار الذَّنب يتبعهُ الذَّنب

وَاعجَبا من خوف عمر مَعَ كَمَاله وأمنك مَعَ نقصانك قيل لِابْنِ عَبَّاس أَي رجل كَانَ عمر فَقَالَ كَانَ الطَّائِر الحذر الَّذِي كَانَ لَهُ بِكُل طَرِيق شركا.اهـ(١)

وأهل الإحسان نرجوا لهم المغفرة والثواب والسلامة من العقاب وهكذا يخاف على المسيء من العقوبة ومن العذاب ومن النار، وليس للعباد إلا ما ظهر وأما أعمال القلوب فهي إلى الله تعالى، فمن ظهر منه الخير والصلاح فيرجى له الخير ومن ظهر منه الشر فبحسبه.

(١) المدهش (١٩١).

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ

الشرح

والمراد بالأمن هنا الأمن من مكر الله تعالى والإياس هو الإياس من رحمة الله تعالى وهاتان كبيرتان من الكبائر قد عدهما المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في الكبائر وكذا الذهبي وغيرهما، قال الإمام النجدي رحمه الله تعالى في كتابه الكبائر:

(باب ذكر اليأس من روح الله، والأمن من مكر الله:

وقول الله تعالى:﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] وقوله تعالى :﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩].

٦ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ: " أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ " رواه عبد الرزاق وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه مرفوعا ولفظه: " وَسُئِلَ: مَا الْكَبَائِرُ؟ فقال: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ ".

(باب ذكر سوء الظن بالله) وقول الله تعالى:﴿ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، وقول الله تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ [فصلت : ٢٣] ، وقوله تعالى ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [الفتح : ٦].

روي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أكبر الكبائر سوء الظن بالله" رواه ابن مردويه.

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ» ، أخرجاه. وزاد ابن أبي الدنيا: " فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللهِ " فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣].

ولهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: " قَالَ: أَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي » (١)، و زاد أحمد وابن حبان: «إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ» اهـ.

ومعنى ذلك أن الواجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف والرجاء في سيره إلى الله تعالى

فمن ترك الخوف وعبد الله تعالى بالرجاء فهو مرجئ كما يقول العلماء ومن عبد الله بالخوف وترك الرجاء فهو خارجي حروري ،وركائز العبادة ثلاثة الخوف والرجاء والمحبة

ولهذا قال بعض السلف من عبد الله بالمحبة فقط فهو زنديق لأن هذا يحمله على الوقوع في الكفر ومن عبده بالخوف فهو خارجي ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ، ولكن يعبد الله تعالى بالخوف والرجاء والمحبة.

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين يجمعون في عبادتهم بين الخوف والرجاء في آيات كثيرة قال تعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزُّمَر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٥ـ ١٧].

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥).

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين عن أبي علي الروذباري أنه قال : الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه. وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص. وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

قول الطحاوي: « يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ » أي ينقل العبد من الإسلام إلى الكفر، لأن الله وعد بالرحمة وأوعد بالعذاب وهو قادر عليهما، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقوله:﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩]، وقول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤]، وقول الله تعالى: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ [فصلت : ٢٣] وقوله:﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [الفتح : ٦].

إلا أن أهل العلم يقولون أن العبد إذا كان في حالة المرض وخشي على نفس من الموت يغلب جانب الرجاء حتى يقبل على الطاعة والاستغفار، وإن كان في حالة الصحة والقوة والنشاط فإنه يغلب جانب الخوف ليكون رادعا له عن معصية الله.

ومراد المؤلف في هذا الموضع الرد على الخوارج والمعتزلة ومن كان على طريقتهم من أهل الأهواء

قول الطحاوي: « وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ» : أهل القبلة هم الذين يصلون إليها فخرج الذين لايصلون للقبلة وهم الكفار. فهم جمعوا بين الصلاة للقبلة والانقياد والاستسلام لما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأهل السنة وسط بين كل الفرق المخالفة للكتاب والسنة، والصواب الجمع بين الأمرين.

قال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعالى:

يجب أن يكون العبد خائفا راجيا فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله فإذا تجاوز ذلك خيف من اليأس والقنوط والرجاء المحمود رجاء رجل عمل

بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه أو رجل أذنب ذنبا ثم تاب منه إلى الله فهو راج لمغفرته. أما إذا كان الرجل متماديا في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب[(١)].

---

(١) من الرياض الندية (١١١).

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ الله :

وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ

الشرح

ومعنى هذه العبارة أن ينكر أن الله تعالى متفرد بالالهية فيصير بهذا مشركا أو ينكر رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيصير مكذبا وهذه العبارة أراد بها المؤلف رحمه الله تعالى أن يرد بها على الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون المسلم بارتكابه للكبائر ولكنه مع هذا أيضا وافق المرجئة في هذا القول أن يحصر الكفر في الجحود فقط.

والمؤلف يسير على طريقة أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى وأبو حنيفة مرجئ كما تعلمون من مرجئة الفقهاء ولهذا انتقد الطحاويَ في هذه الفقرة كثيرٌ من الشراح كالشيخ بن باز رحمه الله تعالى والفوزان والبراك وغيرهم حتى قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:

هذا الحصر فيه نظر فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما فإن كان ينطق بهما دخل في الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام أو في النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو استهزاؤه بالله ورسوله أو بكتابه أو بشيء من شرعه سبحانه لقوله سبحانه:﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] .

ومن ذلك عبادته الأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك فمن صرف منها شيئا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم

من المخلوقين فقد أشرك بالله ولم يحقق قول لا إله إلا الله وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهي لا تسمى جحودا وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد فراجعها إن شئت وبالله التوفيق(١).

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى نواقض الإسلام وليست كلها جحود فحصر الخروج من الإسلام بالجحود فقط هو مذهب المرجئة، فلا إفراط ولاتفريط فلاتكفير كما تقول المعتزلة والخوارج بمجرد ارتكاب الكبائر ولاإرجاء كإرجاء المرجئة بحيث أن المسلم يبقى مسلما ولو أتى بناقض من نواقض الإسلام فهذا مما ينتقد على المؤلف في هذا الموضع.

---

(١) من الرياض الندية (١١٣ـ ١١٥)، شرح ابن أبي العز (٤٩٦)، وشرح البراك (٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وشرح الفوزان ضمن كتاب التعليقات السلفية (١٤٨).

تعريف الإيمان

قَالَ الطَّحَاوِيُ رَحِمَهُ الله:

وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

الشرح

وهذا أيضا هو تعريف المرجئة مرجئة الفقهاء للإيمان وقد نقل أهل العلم إجماع السلف على أن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب.

وأما هذا التعريف فإنه يكتفي بالتصديق بالقلب والإقرار باللسان ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان ولهذا حكم على هذا التعريف بأنه تعريف المرجئة كثير من شراح الطحاوية كالشيخ بن مانع والشيخ بن باز و عبد الله بن حميد والألباني[(١)]، ولانحتاج أن نقول عمل بالجوارح والأركان كما يقول بعضهم لأن الجوارح هي الأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية على مامر بنا من إجماع السلف على تعريفه، ومن تمام تعريف الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقد حاول بن أبي العز الحنفي في شرحه أن يجعل الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين الحنفية كالطحاوي وأبي حنيفة حاول أن يجعله خلافا لفضيا صوريا وليس خلافا حقيقيا جوهريا وهذا قول مردود قد رده أهل العلم ولهذا قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

هذا مذهب الحنفية والماتريدية خلافا للسلف وجماهير الأئمة كمالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وغيرهم فإن هؤلاء زادوا على الإقرار والتصديق: العمل بالأركان. وليس الخلاف بين المذهبين اختلافا صوريا كما ذهب إليه الشارح رحمه الله تعالى بحجة

---

(١) من الرياض الندية (١١٦ ـ ١٢٠).

أنهم جميعا اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان وأنه في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. فإن هذا الاتفاق وإن كان صحيحا فإن الحنفية لو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقية في إنكارهم أن العمل من الإيمان لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته ونقصه بالمعصية مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية على ذلك.

وقد ذكر الشارح طائفة طيبة منها ، ولكن الحنفية أصروا على القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان وتكلفوا في تأويلها تكلفا ظاهرا بل باطلا ذكر الشارح نموذجا منها بل حكى عن أبي المعين النسفي أنه طعن في صحة الحديث " الإيمان بضع وسبعون شعبة ... " مع احتجاج كل أئمة الحديث به ومنهم البخاري ومسلم في (صحيحيهما) وهو مخرج في " الصحيحة " (١٧٦٩) وما ذلك إلا لأنه صريح في مخالفة مذهبهم.

ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صوريا، وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل علهم الصلاة والسلام كيف وهم بناء على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم - مهما كان فاسقا فاجرا أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى بل يقول: أنا مؤمن حقا والله عز وجل يقول:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال: ٢ ـ ٤]، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧].

وبناء على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم فذكروا أن من استثنى في إيمانه فقد كفر وفرعوا عليه أنه لا يجوز للحنفي أن يتزوج بالمرأة الشافعية وتسامح بعضهم - زعموا - فأجاز ذلك

دون العكس وعلل ذلك بقوله: تنزيلا لها منزلة أهل الكتاب وأعرف شخصا من شيوخ الحنفية خطب ابنته رجل من شيوخ الشافعية فأبى قائلا: ... لولا أنك شافعي فهل بعد هذا مجال للشك في أن الخلاف حقيقي؟ ومن شاء التوسع في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: " الإيمان " فإنه خير ما ألف في هذا الموضوع). (١)

والناس في تعريف الإيمان على أقسام:

١ـ قول الجهمية وهم الذين يقولون الإيمان هو المعرفة بالقلب وعلى قولهم ففرعون مؤمن وابليس مؤمن لأنهم عرفوا بقلوبهم أن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء:١٠٢ـ١٠٣].

وقال تعالى:﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى ـ حاكيا عن إبليس وأنه يعرف حق وقدرة الله تعالى ـ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣]. فعلى هذا القول ابليس من أهل الإيمان وفرعون كذلك.

٢ـ قول الأشاعرة قالوا الإيمان هو التصديق بالقلب قال بعض أهل العلم ومحصل القولين واحد الذين يقولون المعرفة ويقولون التصديق وقد يكون التصديق فيه زيادة على المعرفة معرفة مع تصديق.

٣ـ قول الكرامية أتباع محمد بن كرام وهم الذين يقولون الإيمان نطق باللسان وعلى قولهم المنافقون في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنون كاملو الايمان لأنهم نطقوا بألسنتهم ماليس في قلوبهم.

---

(١) من الرياض الندية (١٢٠).

وهذا القول هو الذي ذكره المؤلف هنا أعني به القول الثالث وهو قول مرجئة الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة ومن إليه.

وقولهم مردود فالأدلة ترد ذلك كله والإيمان يزيد وينقص ولهذا فإن المؤمن العاصي يقال فيه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أما عند الخوارج فهو كافر وأما عند المرجئة فهو مؤمن كامل الإيمان وأما عند السلف فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الإيمان المطلق ولايسلب عنه مطلق الإيمان أصل الإيمان عنده لايعطى الإيمان الكامل ولايسلب عنه الإيمان بالكلية إلا إذا أتى بما يخرجه من الإسلام والإيمان وأما زيادة الايمان ونقصانه فأدلته كثيرة وقد بوب البخاري بابا في زيادة الإيمان ونقصانه وذكر الأدلة:

قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤].

قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٧].

وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» متفق عليه.

بعض الحنفية يضعف هذا الحديث من جراء ما هم عليه من معتقدهم الفاسد كما ذكر ذلك الشيخ الألباني رحمه الله تعالى[١]، وأدلة زيادة الإيمان تدل على نقصانه كما ذكر البخاري رحمه الله تعالى.

---

(١) من الرياض الندية (١٢٠).

قَالَ الطَّحَاوِيُ رَحِمَهُ الله :

وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

الشرح

وهذا فيه رد على المعتزلة الذين يقسمون الأخبار عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى متواتر وآحاد فيردون أخبار الآحاد ويقولون لايعمل بها في باب العقائد والواجب على المسلم أن يؤمن وأن يقبل كل ما صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم العمل به بحسبه والتقسيم هذا ليس من تقسيم أهل السنة. والمعتزلة جاءوا بهذا التقسيم ليصلوا إلى ما يريدونه من رد الآحاديث في باب العقائد إذا كانت من باب الأحاد(١) وقولهم مردود.

ثم خبر الأحاد هل يفيد العلم أو الظن ،العلم اليقيني أو النظري قال شيخنا الوادعي رحمه الله تعالى هذه من المسائل التي لا طائل تحتها.

فما صح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب علينا العمل به بحسبه ويجب علينا قبوله سواء أفاد علما أو ظنا أو يقينا لأن كل ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق.

---

(١) انظر ماتقدم (١٦٩).

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالِفَةِ الْهَوَى، وَمُلَازِمَةِ الْأَوْلَى

الشرح

وهذا من تتمة المعتقد الذي جعله الطحاوي في باب الإيمان وقد رد عليه أهل العلم وقالوا الإيمان ليس واحدا وأهله ليسوا في أصله سواء بل يتفاوتون في الدرجات فمنهم من يكون في أعلى درجات الإيمان ومنهم من يكون دون ذلك وكل ذلك بحسب أعمالهم ولكن لما كان الإيمان عندهم مجرد اعتقاد ونطق باللسان جعلوا أهل الإيمان سواء وإنما الأعمال هي من ثمار الإيمان يتفاضلون فيها وهذا ليس بصحيح.

قال الشيخ الفوزان حفظه الله ورعاه:

هذا الكلام معناه إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وأنه إذا صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان، والناس لا يتفاضلون في ذلك. وهذا خطأ كبير؛ لأن التفاضل يحصل بما ذكره وبالأعمال الصالحة.اهـ(١)

وقال الشيخ بن حميد : بل الصحيح أنهم يتفاضلون تفاضلا كثيرا(٢) .اهـ

قوله: «وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ»: قال الشيخ بن باز: هذا فيه نظر بل هو باطل فليس أهل الإيمان فيه سواء بل هم متفاوتون تفاوتا عظيما فليس إيمان الرسل كإيمان

(١) التعليقات السلفية (١٥٤).

(٢) الرياض الندية الحاشية (١٢٢).

غيرهم كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم مثل إيمان غيرهم وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته وما شرعه لعباده وهو قول أهل السنة والجماعة خلافا للمرجئة ومن قال بقولهم والله المستعان.اهـ(١)

وقال الشيخ بن مانع: الحق الذي لا إشكال فيه أن الإيمان متفاوت في أصله فإيمان آحاد الناس ليس كإيمان جبريل ولا كإيمان رسول الله والقول بأن الناس بأصل الإيمان سواء ليس من عقائد أهل السنة.اهـ(٢)

وقال الشيخ الألباني: هذا على ما تقدم من قوله في الإيمان أنه إقرار وتصديق فقط وقد عرفت أن الصواب فيه أنه متفاوت في أصله، وأن إيمان الصالح ليس كإيمان الفاجر. فراجعه.اهـ(٣)

ولهذا فإن المرجئة يقولون العاصي إيمانه كإيمان أبي بكر حتى يقع في الجحود وهذا من أبطل الباطل لما أخطئوا في تعريف الإيمان حملهم ذلك على أن يقعوا في هذه الأقوال البعيدة الشاذة في هذه المسائل .

---

(١) الرياض الندية الحاشية (١٢٣).

(٢) الرياض الندية الحاشية (١٢٣).

(٣) الرياض الندية الحاشية (١٢٢).

قَالَ الطَحَاوِي رَحِمَهُ الله :
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ

الشرح

قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

فالولي هو المؤمن التقي وعلى قدر إيمانه وتقواه تكون ولايته فمن كان مؤمنا لله وبالله تقيا كان لله وليا، والله تعالى قد تولى أهل الإيمان وولايته لهم ولاية حفظ ونصرة وتأييد ولهذا قال تعالى:﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

قال تعالى:﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقال تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

فالمؤمنون هم أولياء الرحمن كما ذكر المؤلف وهو موجود في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإنما يتفاوتون في هذه الولاية فمنهم كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى منهم المقتصدون ومنهم السابقون المقربون.

فأما المقتصدون فهم الذين يقتصرون على أداء الفرائض وينتهون عن إرتكاب المحارم.

وأما السابقون المقربون فهم الذين يأتون ما أوجب الله عليهم ويتركون ماحرم الله عليهم ويسارعون إلى نوافل العبادات وكلهم أولياء الرحمن ولكن كما سمعت يتفاوتون من كان لله تعالى أكثر تقوى وأعظم طاعة وأتبع للقرآن فولايته أعظم ودرجته أرفع.

ولهذا قال تعالى في الحديث القدسي كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ". رواه البخاري(١).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وجاء عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: (انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله)أخرجه أحمد(٢). وسنده ضعيف ولكن يشهد له ويقويه حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ربكم واحد وإن أباكم واحد فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى».

وقال العلامة الألباني رحمه الله تعالى عن الحديث: " لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب".

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

(٢) حسنه الألباني في غاية المرام .

ثم قال الشيخ رحمه الله: صحيح لكن عزوه الى السنن وهم فانه لم يروه أحد منهم وانما هو في مسند الامام أحمد، وقد كنت توقفت فيه قبل سنين، ثم يسر الله تعالى لي جمع كثير من طرقه وحققت الكلام عليها فتبين لي أنه صحيح بمجموعها "(١).

والحديث في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لشيخنا الوادعي رحمه الله

فالمقربون والمكرمون هم من كانوا أقرب إلى الله تعالى في الطاعة والعبادة والإستقامة

وقد ألف شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى كتابا بعنوان:« الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» وهو في هذا المعنى.

قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

فقسمهم إلى هذه الأصناف المقصرون الذين يقع لهم شيء من الزلل فيظلمون أنفسهم بمعصية الله تعالى والقسم الثاني الذين يأتون بما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم والقسم الثالث المسارعون إلى الطاعات فرضها ونفلها ويبادرون إليها

يقول الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ـ عند هذه الفقرة ـ : فيه إشارة لطيفة إلى الرد على متعصبة المذاهب الذين يؤثرون اتباع المذهب على اتباع الكتاب والسنة ذلك لأنه لا تلازم بين اتباع المذاهب واتباع القرآن فإن المذاهب مختلفة والقرآن لا اختلاف فيه كما قال تعالى فيه:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

فالمسلم كلما كان أتبع للقرآن كان أكرم عند الله تعالى وكلما ازداد تقليدا ازداد بعدا وإليه أشار المصنف بقوله: " لا يقلد إلا عصبي أو غبي ". انظر " صفة الصلاة "(٢).

---

(١) وانظر صحيح الترغيب (٢٩٦٤) والصحيحة (٢٧٠٠) وغاية المرام (٣١٣).

(٢) الرياض الندية (١٢٤).

وهذا باطل سواء البدع أو المذاهب والأهواء وقد ذكر الطحاوي رحمه الله تعالى بقوله لايقلد إلا عصبي أو غبي وإنما المطلوب من العبد الاتباع والاستجابة والإنقياد فبذلك ينال الولاية بقدر طاعته واستقامته.

وهذه الفقرة من الطحاوي رحمه الله فيها رد على الذين ربما يعظمون الكافرين من اليهود والنصارى فإن الكفار لو ملئت بهم الأرض لايعدلون مسلما واحدا ولا مؤمنا واحدا وإن كان من أرباب الذنوب وأصحاب المعاصي فهذا يدل على فضل الإسلام وعظم أهله وأنهم لايقارنون بأعداء الله تعالى، فالكفار مهما اتصفوا بالصفات الدنيوية فإن مصيرهم إلى النار إن ماتوا على كفرهم وأهل الإسلام مصيرهم إلى الجنة بإذن الله تعالى.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:
وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ، مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

الشرح

وهذا مأخوذ من حديث جبريل الطويل الذي جاء عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١). رواه مسلم

وقد جاء الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أركان الإيمان بمعنى حديث جبريل ولكن اشتهر حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في صحيح مسلم.

قوله: «وَالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ»: هذا فيه رد على القدرية الذين يقولون بأن الله يخلق الخير ولايخلق الشر وقولهم باطل فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. فهو سبحانه وتعالى خلق الخير وخلق الشر لحكمة بالغة سبحانه وتعالى وأراد الشر كونا ولم يرده شرعا.

وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « والشر ليس إليك»: فالمراد ليس من أفعالك وصفاتك ولايتقرب به إليك وإنما هو من مفعولاته ومخلوقاته.

وأما الحديث الذي جاء بنص: «وحلوه ومره» حديث ضعيف، أظنه من طريق يزيد الرقاشي وقد مر بنا في العقيدة الواسطية وهو حديث ضعيف لكن هذا الذي تقتضيه الأدلة

وأما قول الله تعالى:﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾: أي بسبب نفسك وليس معناه أن الإنسان هو الذي يخلق الشر والله تعالى لايخلق الشر فإن الله تعالى

يقول :﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ويقول سبحانه:﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ

---

(١) مسلم (١).

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: ١٧]، وقال تعالى:﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٦ـ ٢٩]

والأدلة في هذا كثيرة في الرد على القدرية الذين يقولون إن الله يخلق الخير والعبد يخلق الشر، أو الذين يقولون العبد مجبور ليس له إرادة ولا مشيئة، وكلاهما قول باطل.

قَالَ الطَحَاوِيُ رَحِمَهُ الله :

وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ

الشرح

أي بالإيمان وأركانه وكل ماذكر من معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الكتاب، فلابد من الإيمان بما جاء عن الله تعالى، المؤمن هو الذي يؤمن بكل ماجاء عن الله تعالى وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»: التفريق بين الرسل والإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر كفر بالله تعالى، قال تعالى:﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: ١٢٤]، فهم كذبوا رسولهم مع هذا التكذيب برسول يعد تكذيبا لكل الرسل، فلابد من الإيمان بالرسل جميعا ولا يجوز تكذيبهم ولكن الإيمان بهم إيمان أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بشريعة نسخت ماكان من شرائعهم.

قوله: «وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ»: أي أنهم رسل من عند الله تعالى أرسلهم الله تعالى للناس لكن جاءت شريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدهم ونسخت ما جاءوا به، وما جاء من عندهم وصح سنده يعرض على الكتاب والسنة فإن وافق الكتاب والسنة أخذنا به وإن خالف ذلك فإنه لايؤخذ، وإن كان ليس مخالفا ولا موافقا فيكفينا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشرع من قبلنا شرع لنا إذا جاء في شرعنا ما يوافقه أو يؤيده.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ [مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ [مُؤْمِنِينَ]. وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨] وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ. وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكِرَتِهِ، الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ

الشرح

وهذه مسألة مهمة وهي مسألة أهل الكبائر من هذه الأمة وقوله من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحيح أن الحكم عام فأهل الكبائر عموما سواء من هذه الأمة أو من غيرها.

وقد نبه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى فقال: ما بين المعكوفتين لم ترد في المخطوطات الثلاث. ولا في مطبوعة (خ) وحذفها أصح لأن مفهوم هذه الزيادة أن أهل الكبائر من أمة غير أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نسخ تلك الشرائع به حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد. وفي ذلك نظر فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنه: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان " ولم يخص أمته بذلك بل ذكر الإيمان مطلقا فتأمله. واعلم أنهم اختلفوا في تعريف الكبائر على أقوال أمثلها أنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو

اللعنة أو الغضب. وراجع " شرح ابن أبي العز " و " مجموع الفتاوى " للشيخ ابن تيمية (١١/ ٦٥٠)[(١)].

وهذا فيه رد على الخوارج والمعتزلة والمرجئة الذين تقدم قولهم في ما مضى فمنهم الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بأن صاحب الكبيرة منزلة بين منزلتين والخوارج يكفرونه وأما في الآخرة فيحكمون له بالنار.

وأما المرجئة فيقولون صاحب الكبيرة كامل الإيمان مادام أنه لم يجحد والصحيح أن أهل الكبائر مؤمنون ناقصوا الإيمان وأما إذا ماتوا فأمرهم إلى الله تعالى ماداموا أنهم لم يقعوا في الأمور الكفرية[(٢)]، إن شاء غفر الله لهم وإن شاء عذبهم وقد اختلف أهل العلم في تحديد الكبيرة عددا وتعريفا فجعلها بعضهم سبعة وبعضهم جعلها سبعين، وبعضهم سبع مائة كبيرة ولا دليل على هذا التحديد وإنما تحدد بالوصف.

وأحسن ما وصفت به ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال به الإمام أحمد وغيره أن الكبيرة هي ماتوعد صاحبها بعذاب الله أو بالنار أو بالسخط أو بإقامة الحد في الدنيا ونحو ذلك.

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى هذا المبحث في تفسيره عند قول الله تعالى:﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ٣١].

وهكذا الذين كتبوا في الكبائر كالهيتمي والذهبي والإمام محمد بن عبد الوهاب

---

(١) الرياض الندية (١٢٥ ـ ١٢٦).

(٢) انظر شرح البابرتي (١١٩).

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ» لأنهم إن تابوا فقد أجمع أهل العلم بأن توبة التائب مقبولة فليس هذا الكلام في شأن التائب وإنما هو في من مات على كبيرة، أما من تاب منها فمن تاب تاب الله عليه[١].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ»: زيادة [مؤمنين] ليست في بعض النسخ وزيادتها مهمة كما نبه عليها الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، قال: زيادة من مخطوطة (أب غ) . وهي زيادة هامة لم تثبت في بعض النسخ منها نسخة الشارح فقد قال: " وقوله: (عارفين) لو قال: مؤمنين بدل (عارفين) كَانَ أَوْلَى لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَإِنَّمَا اكْتَفَى بالمعرفة وحدها الجهم وقوله مردود باطل ... "[٢].اهـ

لأن قوله عارفين هذا فيه إشارة إلى قول المرجئة أنهم إذا ماتوا وما عندهم إلا مجرد المعرفة فهم المذكورون في هذا الحكم، وهذا تعريف المرجئة بل لابد من التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح فلابد من إرداف مؤمنين ليبين مامعنى عارفين وأن المقصود به أهل الإيمان الذي ينطبق عليهم تعريف الإيمان الصحيح وليس مجرد المعرفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ...»: إلى آخر كلامه مأخوذ من قول الله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

فمن لم يكن عنده شرك فهو إلى مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وإذا عذبه على قدر ذنوبه ومعاصيه فإن مآله إلى الجنة فلا شك أنه سيخرج من النار بالشفاعة، كما في حديث الشفاعة جاء في رواية أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : " فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ

---

(١) شرح البراك (٢٥٦).

(٢) الرياض الندية (١٢٦).

فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا ".

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ

كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ". فَيُقَالُ لَهُمْ: «لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» ". متفق عليه.

وجاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يخرج من النار وقال شعبة أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة).

وهكذا أدلة الشفاعة الكثيرة التي فيها دلالة واضحة على أن من مات من أهل التوحيد وعنده كبائر فأدخله الله النار فإن مصيره إلى الجنة ومع ذلك قد يعفوا الله عنه فلا يدخل النار.

قوله: «تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ»: يكرر المؤلف هذه اللفظة معرفته وعارفين وهذا متصل بما تقدم من قول المرجئة الذين يعرفون الإيمان بأنه المعرفة ولكن كما سمعت أن المؤلف ليس على طريقة الجهمية والأشاعرة الذين يقولون أن الإيمان هو مجرد المعرفة أو التصديق وإنما هو من الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان فيحمل على أنه يريد بهذه المعرفة المعرفة الشرعية الصحيحة التي تقتضي إعتقادا وقولا وعملا

قوله «وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكِرَتِهِ»: أي كالذين ينكرون الإيمان بالله وينكرون معرفة الله والمراد بهم أهل الشرك الذين حكم الله عليهم في النار والخلود فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۞ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤ـ٦٨].

وأهل الإيمان أدلتهم رفيعه ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥]، وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [الْبَيِّنَة: ٧].

وقال في شأن الكافرين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

قوله: «خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ»: أي بسبب أعمالهم وإلا فإن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وأما الفقرة الأخيرة «اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ...» إلى آخر الكلام هذا قد جاء في الحديث، حديث مرفوع عند الطبراني من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ»(١). وهو في السلسلة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٨٢٣).

وهذا يدلك من تعقيب المؤلف لهذه المسائل المهمة الخطيرة أن العبد يتضرع إلى الله تعالى ويلجأ الى الله تعالى فإن هذا ليس بحوله ولا قوته إنما التوفيق من الله، هو الذي وفق أهل هدايته وجعلهم بهذه المثابة والدرجة، فالعبد يلجأ إلى الله تعالى بالسلامة والثبات على الحق ولا يوكل ذلك إلى ذكائه وحيلته وعلمه وماهو عليه، فإن التوفيق من الله والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن(٢).

---

(١) المعجم الأوسط رقم: (٦٦١).

(٢) انظر شرح الفوزان ضمن التعليقات السلفية (١٦٤).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ

الشرح

وهاتان مسألتان الأولى الصلاة خلف البر والفاجر والثانية الصلاة على من مات من أهل القبلة من الأبرار والفجار، وهذا أراد به الرد على الرافضة والخوارج ومن على شاكلتهم الذين يرون أنه لايصلى خلف أئمة المسلمين لا الجمع ولا الجماعات ولا الجهاد تحت رايتهم ولا الحج ولا العمرة وهذا خلاف ماعليه أهل الإسلام، وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم يصلون خلف أئمة الجور.

وقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»[(١)]. رواه البخاري

وأما الحديث الذي جاء على هذه الفقرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «صلوا خلف كل بر وفاجر وصلوا على كل بر وفاجر»: فهو ضعيف لأنه من طريق مكحول عن أبي هريرة ولم يسمع منه وقد ضعفه الألباني رحمه الله تعالى في الارواء برقم (٥٢٠).

لكن الأدلة الكثيرة تدل على ذلك ومنها فعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم فقد كان بعضهم يصلي خلف الحجاج مع ما كان عنده من الظلم والجور والفسق ومع ذلك كان يصلي خلفه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانوا يصلون خلف بعض الأئمة الذين كان أحدهم ربما

---

(١) البخاري (٦٩٤).

يشرب الخمر وعلى هذا فالصلاة خلف المبتدع جائزة ولكن يفصل في هذا فإن كان المبتدع ليس هو الوالي فالأولى أن تصلي خلف من كان حاله مستقيما من أهل السنة.

فلا ينبغي أن تترك الصلاة خلف السني ثم يذهب ويصلي خلف المبتدع فلا يكثر سواد أهل الباطل أما إن كان الإمام هو الأعظم و الخليفة أو من ينوبه، والتخلف عن الصلاة خلفه تؤدي إلى مفسدة فهذا يصلي ولاشيء عليه(١).

وقد ذكر ابن أبي العز عن أكثر أهل العلم أن من ترك الصلاة خلف المبتدع الجمعة والجماعة ورأى أنه لايجوز ذلك فهو مبتدع، قال بعضهم: «من قال الصلاة خلف المبتدع بدعة فهو مبتدع»(٢)، ولكن كما سمعت ينبغي تكثير سواد أهل الحق، فلا يكون مثلا هذا المسجد يصلي فيه سني والآخر يصلي فيه مبتدع فتجعلهما سواء ينبغي تكثير سواد أهل الحق مع الجواز.

وأيضا يقول أهل العلم إذا دخل المسلم مسجدا فالأصل فيه أنه مسلم وما وصل به الحال حد الكفر فلا تأتي تحقق وتذهب إلى الإمام وسؤال وجواب وأنت إيش تقول في كذا وكذا وكذا فالأصل السلامة إلا إن علم أنه عنده شركيات فهنا لايصلى خلفه، وكذلك المسجد فيه قبر فهنا يتحرى.

قوله: «وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ»: يعني من مات من أهل القبلة من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلى عليه والصلاة على الجنازة فرض كفاية ولايجوز أن يدفن المسلم بغير صلاة إلا إذا كان شهيدا قتل في المعركة فإن الصلاة عليه ليست بواجبة، ولكن كان أهل العلم من السلف ربما يتركون الصلاة على المبتدعة لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء عن ابن عمر قال: قال

---

(١) انظر شرح عبد العزيز بن مانع، وتعليق الألباني على الطحاوية، ضمن الرياض الندية (١٣٠ ـ ١٣٢).

(٢) شرح ابن أبي العز (٥٧٢ ـ ٥٧٥).

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم». رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة(١).

فلا بأس للزجر لكن إذا لم يوجد من يصلي على هذا المبتدع وربما يدفن بغير صلاة فهذا لايجوز وإن قام بعض الناس وصلوا عليه وترك صاحب الفضيلة وصاحب العلم الصلاة على هذا المبتدع هذا هو الأولى الذي كان عليه السلف رحمهم الله تعالى.

ثم أيضا العاصي من أهل القبلة والمبتدع من أهل القبلة هو من أحوج الناس إلى صلاة الجنازة فإن صلاة الجنازة هي عبارة عن دعاء، وهم أحوج من غيرهم إلى هذا الفعل، ولكن إن كان الميت من أصحاب الجرائم أو البدع فترك مثلا إمام المسجد أو صاحب العلم الصلاة عليه من باب الزجر لأمثاله لأنه مات على بدعة فهذا هو الأولى، وإلا فالصلاة على المسلم مهما كان حاله جائزة بل إذا كان لايصلي عليه أحد يأثم المسلمون ولو كان مبتدعا، فالصلاة عليه فرض كفاية، لكن إذا مات مبتدع مثلا في مكان بعيد ويحتاج أن تذهب إليه فمثل هذا لاتذهب ولا تصلي عليه مادام أنه في مكان بعيد سيصلي عليه من هو عنده من أتباعه وأصحابه أو من المسلمين في ذلك المكان فمن الخطأ أن يذهب السلفي إلى الصلاة على مبتدع في مكان كذا وكذا

هذا خطأ وهذا يعتبر من ضعف السلفية ومن ضعف المنهج السلفي الصحيح أنه يسمع بمبتدع قد حارب السنة حتى شبع ثم يذهب يصلي عليه.

(١) المشكاة (١٠٧).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ أَهْلُ الْقِبْلَةِ لَا يُكَفَّرُونَ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

الشرح

أي مالم يأت الدليل الصحيح الصريح من الكتاب والسنة أن هذا من أهل الجنة والشهادة لأهل الجنة قد اختلف فيها السلف على ثلاثة أقوال كما تقدم الإشارة إليه وقولنا اختلف فيها السلف معناه أن المخالف فيها لايبدع فقال بعضهم يشهد للأنبياء فقط وهذا قول محمد بن الحنفية والأوزاعي.

والقول الثاني وهو قول جمهور أهل العلم أننا نشهد من شهد له الدليل من الكتاب والسنة كالعشرة المبشرين بالجنة وثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن سلام ومن إليهم ممن جاءت الأدلة أنهم في الجنة ونشهد لمن شهد الله له بالنار أو شهد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأبي لهب وأبي طالب وعمرو بن لحي الخزاعي ومن كان على شاكلتهم ممن جاءت الأحاديث في البيان أنه في النار.

والقول الثالث قالوا نقول بقول الجمهور ونزيد على ذلك أن من شهد له المؤمنون بالجنة فهو في الجنة ومن شهد له بالنار فهو في النار واستدلوا بحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا. فقال: «وجبت» فقال عمر: ما وجبت؟ فقال: «هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض». وفي رواية: «المؤمنون شهداء الله في الأرض»[١]. متفق عليه

(١) البخاري (١٣٦٧) مسلم (٩٤٩).

وهذا القول فيه نظر والصحيح قول الجمهور فإنه لم يكن قول أولئك معتبر إلا بإقرار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أثنوا عليها خيرا قال وجبت لها الجنة فلو أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال وجبت لها الجنة ماكان كافيا ثنائهم، ولو لم يقل وجبت لها النار لم يكن كافيا لقدحهم في إثبات النار لصاحب النار، لهذا كان الصحيح ماعليه جمهور أهل العلم(١).

وأيضا في هذه الفقرة الحكم بالظاهر فإن السرائر حكمها إلى الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

وجاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال يا أيها الناس إنما كان يؤاخذ الناس في بالوحي في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا وإن الوحي قد انقطع من السماء فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه ومن أظهر لنا شرا لم نأمنه ولم نقربه، وإن قال إن سريرته حسنة.

وهذا هو الأصل الأصيل في الحكم على الناس أنه يحكم عليهم بالظاهر، وأما السرائر فهي إلى الله تعالى فإن ظهر منهم الكفر وانتفت عنهم موانع وتوفرت شروط حكم عليهم بذلك، وإن لم يظهر شيء من ذلك فيحكم عليهم بما يستحقون وأما أعمال القلوب فهو سبحانه وتعالى المطلع عليها(٢).

وينبغي الحذر من إطلاق الكفر أو التبديع أو التفسيق بغير دليل ولابرهان قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٥٨٠ ـ ٥٨١)، وحاشية الألباني ضمن الرياض الندية(١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٥٨١ ـ ٥٨٢).

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالقول على الله بغير علم في هذه الأبواب أمر خطير أن تخرج عبدا من الإسلام إلى الكفر أو من السنة إلى البدعة بمجرد ظنون أو أوهام بغير أدلة واضحة جلية.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ

الشرح

جاء في بعض النسخ: (ولا نرى القتل على أحد)، كلامه هذا لأدلة كثيرة في تحريم دماء المسلمين، منه ما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ".قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الحِجَّةِ» ، قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا» . قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ» . قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا» . قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» . قُلْنَا: بَلَى.

قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ "(١).

---

(١) البخاري (٤٤٠٦)، مسلم (١٦٧٩).

وجاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "(١).

فالأصل أن دماء المسلمين محرمة إلا إذا جاء دليل يستباح به دمائهم كالمفارق للجماعة والزاني المحصن والمرتد لما رواه البخاري عن عكرمة قال: أتي علي بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من بدل دينه فاقتلوه» . رواه البخاري(٢).

كذلك البغاة الذين لايدفع شرهم إلا بالقتل: روى مسلم رحمه الله عن عرفجة قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنه سيكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان»(٣) . رواه مسلم

وهكذا المفسدون في الأرض وقطاع الطرق والسبل لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

وكذلك من كان ساحرا ولم يتب من سحره وأفسد بسحره وربما قتل به فإن حكمه كذلك وهذا كله يكون للولي المسلم ولي الأمر وإلا فإن الأصل أنه لايجوز سل السيف ولا حمله على

(١) البخاري (٦٨٧٨)، مسلم (١٦٧٦).

(٢) البخاري (٣٠١٧).

(٣) مسلم (١٨٥٢).

أهل الإسلام ولاسفك دم أحد منهم، بل قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سل علينا السيف فليس منا».

الخروج على الأئمة

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

الشرح

وهذه مسألة مهمة وهي طاعة ولاة أمور المسلمين وعدم الخروج عليهم والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام:

١ـ فهم الذين بالغوا في طاعة ولي الأمر فداهنوه بالباطل وأطاعوه في تحليل ما حرم الله تعالى أو تحريم ما أحل الله تعالى سواء كان من جهلة الناس أو من ينسب إلى العلم فيصيرون قضاة للسوء ودعاة للباطل وقائلين بغير حق فيفتون الحاكم بما تهوى نفسه من المحرمات ويؤيدونه على ذلك ويرون أن هذا من طاعته المشروعة وهذا ليس من الطاعة المشروعة.

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»[(١)] . صححه الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة.

وهذا غالبا يكون من أرباب الشهوات ومن أهل البدع الذين يبتغون من وراء ذلك التزلف والكذب شيئا من حطام الدنيا أو الوصول إلى بعض مناصبها أو نحو ذلك.

٢ ـ فهم الذين يرون الخروج على الحاكم المسلم إن حصل منه ظلم أو حصل منه جور أو معاصي فيبدءون أولا بتكفيره فإذا كفروه وأخرجوه من الإسلام بعد ذلك أجازوا الخروج

(١) رَوَاهُ البغوي فِي شَرْحِ السّنة، المشكاة (٣٦٩٦).

عليه والثورات والانقلاب وسفك الدماء وهذا رأي الخوارج عموما ومنهم الإخوان المفلسون فإنهم على هذا المبدأ على مبدأ الخروج على الحكام وهم إن وجدوا الفرصة فهم على هذا المبدأ.

٣ـ أهل السنة والجماعة وهم وسط في هذا ينصحون لولي الأمر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعونه في طاعة الله تعالى عملا بأدلة الكتاب والسنة[(١)]. قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وجاء عند ابن ماجة (٢٦٧٦) عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[(٢)].

وجاء في مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدع الأطراف»[(٣)] رواه مسلم.

وهكذا ما جاء عند البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ»[(٤)].

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٥٨٢ ـ ٥٨٦)، تعليق الألباني ضمن الرياض الندية (١٣٤ ـ ١٣٦).

(٢) الترمذي (٢٦٧٦).

(٣) مسلم (١٨٣٧).

(٤) البخاري (٧٠٥٢).

وأدلة ذلك كثيرة التي فيها الأمر بالصبر على الوالي المسلم مع عدم طاعة في معصية الله تعالى والباطل والمحرم مع بذل النصح والتوجيه مع عدم الإثارة والتثوير، جاء عند النسائي من حديث طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[١].

والحديث يستدل به الخوارج ومن إليهم وهذا دليل عليهم وليس دليلا لهم فإن الحديث فيه أن كلمة الحق تكون عنده عند الحاكم من باب النصيحة لاتكون في الشوارع ولا في تثوير الناس ولا في المظاهرات ولا في الإنقلابات وإنما تقول الحق عنده، فهذا فيه رد على الذين يرون الخروج على حكام المسلمين العصاة الذين يقعون في الظلم.

ولا شك حكام المسلمين لايسلمون من ذلك فيقعون في البدع والظلم والمعاصي لكن هذا لايمنع طاعتهم في طاعة الله تعالى ولا يمنع من التعاون معهم على البر والتقوى وبذل النصح لهم والصبر بل هذا الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم.

وبالمقابل لا يطاع الحاكم في معصية الله تعالى يصبر ويبتعد عن المعاصي والمخالفات التي ربما يدعون إليها وصلاح وفساد الحكام مبني على فساد الرعية فإنه إن صلحت الرعية صلح الحاكم لكن بسبب ذنوب العباد يأتي لهم من أنفسهم من يقوم على شؤونهم وكيف ما تكونوا يولى عليكم.

ولهذا أهل السنة والجماعة يدعون دائما وأبدا إلى التصفية والتربية وإلى تعليم التوحيد وإلى نشر السنة فإذا صلحت المجتمعات فإن حكامها لايكونون إلا منها، وأما أننا نقع في معصية الله تعالى وينتشر في أوساطنا الشرك والبدع والخرافات والحزبيات والبلايا والرزايا ثم نبتغي من هذا الحاكم أن يكون على الصراط المستقيم فإن هذا من المستحيل، فلهذا ينبغي للمسلمين

---

(١) النسائي (٤٢٠٩)، وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٥١٨).

أن يرجعوا إلى الله تعالى وأن يتوبوا إلى الله وأن يستقيموا على دينه سبحانه وتعالى فإذا استقامت المجتمعات حصل الخير في الراعي والرعية.

والناس في هذا الباب بين مُفَرِّط ومُفْرِط؛ مُفَرِّط بمعنى أنه يترك طاعة ولي الأمر ويرى الخروج عليه ويرى تكفيره وإثارة البلابل والفتن والثورات، ومُفْرِط في طاعته في غير طاعة الله تعالى بل ربما يؤزه على الشر ويعينه على ذلك كما هو حال بعض أهل البدع وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة طاعة لولي الأمر واحترام وإجلال مع النصح والتوجيه والتحذير من الباطل وهكذا عدم الرضى بالشر والبدع والخرافات والشركيات ونحو ذلك.

قوله: « وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً»: فإن الله تعالى أمر بها والله لا يأمر إلا بالمعروف والخير والطاعة، مالم يأمروا بمعصية لأنه قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق).

وجاء عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» ، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»(١).

فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بطاعة الأمير لكن في المعروف وفي طاعة الله تعالى وكل هذا في الأمير والخليفة والحاكم المسلم وأما الحاكم الكافر فإنه لا طاعة له ولاسمع وهناك فرق بين عدم الطاعة والخروج فإنه إن كان لا طاعة له ولا سمع وأما بالنسبة للخروج عليه ولو كان كافرا فلابد في النظر في المصالح والمفاسد وما يعود على الأمة بعد ذلك من وراء الخروج فإنه كما يقول أهل العلم ماجنى المسلمون بالخروج على حكامهم سواء كان الحاكم مسلما أو

---

(١) البخاري(٧٢٥٧)، مسلم (١٨٤٠).

وصل به الحال إلى الكفر إن لم ينظروا إلى المصالح والمفاسد ما جنوا من وراء ذلك إلا الشر ولايكون المسلمون بعد خروجهم أفضل من قبل خروجهم، وهذا ملاحظ كما ذكر ذلك المعلمي في كتابه "التنكيل"[١] ذكر أنه ما جنى المسلمون إلا الويلات على مر التاريخ من الخروج على الحكام.

وقول الطحاوي رحمه الله «وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ»: لأن في صلاح الأمير صلاح الرعية وصلاح الأمة وفي فساده فسادهم ولهذا كان يقول القاضي عياض رحمه الله تعالى والإمام أحمد رحمه الله تعالى (لو علمت أن لي دعوة مستجابة لجعلتها لولي الأمر)، لأن الدعاء عليهم تشهير بهم والسب لهم فيه تثوير للناس وفيه دفع بالجهلة إلى أن يقعوا في مذهب الخوارج.

فالناس أصحاب دنيا خاصة العامة أصحاب دنيا لوتكلمت معه في أقل وأسهل الأمور ماتدري إلا وهو على مذهب الخوارج، فكيف إذا رأى أهل الصلاح والخير يحثونه على ذلك على السمع والطاعة في المعروف، والناس إذا نقص من دنياهم شيء ربما خرجوا في الشوارع وصار يقودهم الخوارج في الخروج على الحكام وفي إثارة الفوضى ولكن بالدعاء لهم بالصلاح والمعافاة وأن يرزقهم الله تعالى البطانة الحسنة الصالحة، وأن يجنبهم البطانة السيئة وأن يصلح الله تعالى بهم العباد والبلاد وغير ذلك مما ينبغي أن يدعى به لولي أمر المسلمين وهذا الذي كان عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

---

(١) "التنكيل" (١/ ١٩٩).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ. الِالْتِزَامُ بِالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ

الشرح

والمراد بالسنة هنا طريقة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس المراد به فقط مجرد المستحب بل ماجاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولا وعملا وإعتقادا فكل ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجب إتباعه والعمل به، فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فوعظنا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه إلا أنهما لم يذكرا الصلاة والحديث صححه الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة.

وقال تعال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النُّور: ٥٤]،

---

(١) أبو داود (٤٦٠٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١٥].

فاتباع ماكان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر محتوم أدلته كثيرة في الكتاب والسنة، وهكذا ماكان عليه السلف الصالح من المهاجرين والأنصار، والمراد بهم الجماعة في هذا الموضع الصحابة والتابعون والقرون الثلاثة المفضلة(١).

قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣١]،

وقد قرن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير ما موضع السنة مع الجماعة والجماعة مع السنة لأن السنة لاتكون إلا مع الجماعة والسلف الصالح ومن سار على طريقهم والجماعة هم الذين على السنة.

جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» متفق عليه(٢).

فحذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مخالفة الجماعة أي جماعة المسلمين السواد الأعظم الذي هو الحق المبين وما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس المراد به كثرة

(١) انظر حاشية الألباني ضمن الرياض الندية (١٣٦).

(٢) البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

الناس ولو على باطل وإنما المراد به الحق فالجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، كما جاء ذلك عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس المقصود قوله والجماعة كما يقول بعضهم أننا نأخذ بقول جمهور العلماء ونقلدهم وإنما يؤخذ بما وافق الدليل في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

فالواجب اتباع ما أنزل من الذكر وما جاء من الوحي وترك ما خالف ذلك ثم عدم الشقاق ومخالفة جماعة المسلمين والبعد عن طريقتهم واختراع الآراء والأهواء والأفكار المخالفة والآراء الردية.

قوله: «وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ»: والشذوذ والخلاف والفرقة نهى الله تعالى عنه في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠ – ٣٢]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وهكذا جاءت الأدلة من الكتاب والسنة بالإعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبعد عن أسباب الفرقة والبعد عن الأقوال الشاذة والأقوال البعيدة، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله

جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» رواه مسلم، وأحمد.

والشاذ هو من خالف الحق والأمة لاتجتمع على ضلالة،[(١)] وكما قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يعني يخالف الرسول، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني غير دين المؤمنين ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ من الآلهة ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١٥].

استدل الشافعي رحمه الله تعالى[(٢)] وغيره بهذه الآية على حجية الإجماع وأن الأمة لايمكن أن تجتمع على ضلالة وهكذا بحديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: " لا تجتمع أمتي على ضلالة " والحديث عند أحمد وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين وهذا الواجب على المسلم اتباع السنة وموافقة الجماعة، والبعد عن الخلاف والفرقة والشذوذ وليس معنى هذا أنك لاتخالف أهل الباطل فأهل الباطل يخالفون ويدعى إلى مخالفتهم ويحذر من طريقتهم ولكن المقصود أن تخالف الحق، وأن تضاد أهل الحق فهذا هو المنهي عنه.

---

(١) انظر تعليقات الألباني ضمن الرياض الندية (١٣٨).

(٢) انظر المسودة (٢/ ٦١٥)، وتفسير ابن كثير عند الآية، من الرياض الندية (١٣٦).

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.
وَنَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ

الشرح

قد يتبادر إلى الأذهان لما ذكر أئمة الجور وأنه يطاعون ويصلى خلفهم وأن من مات من أهل الكبائر يصلى عليه قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس أن الناس سيكونون سواسية فأراد أن ينبه أن الناس ليسوا سواء في باب الولاء والبراء فأهل العدل والأمانة والإستقامة والسنة هؤلاء يحبون لما عندهم من السنة والخير والاستقامة وأهل البدع والمعاصي يبغضون بقدر ماعندهم من البدع والمخالفات وهذا الأصل هو يعتبر من أعظم أصول الإسلام الولاء والبراء.

جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل» (١).

فهذا أمر لابد منه أما إذا كان العبد ماعنده ولاء وبراء فهذا يدل على ضعف منهجه وعلى رقة دينه، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) راجع الصحيحة (١٧٢٨).

فلابد من الولاء لأهل الحق والبراء من أهل الباطل بحسبهم أما أن يكون صاحب سنة وصاحب حق وتجده يخالط أهل البدع والأهواء أو ربما يحبهم أو يقدمهم على غيرهم فهذا أخل بأمر عظيم.

فالمخالف يبغض على قدر ماعنده ولا يحمل هذا البغض صاحبه على أن يخرج على الحاكم المسلم يبغض ماهو فيه من البدع والجور لكن لايحمله على الثورة والتكفير والخروج وهكذا بغض أهل البدع إنما شفقة عليهم حتى يسلموا من أن يحملوا أوزار الناس، قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

فتحذير أهل السنة من أهل البدع إنما للتخفيف عليهم شفقة، كما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى أن الكلام في أهل البدع إنما من باب التعاون معهم كما قال يوسف ابن أسباط وغيره: «أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم» فإنا إذا نهينا الناس عن إتباعهم بمعنى كلامه أنهم يسلمون من الآثام الكثيرة التي يتحملونها، ولو تركوا على باطلهم وأتبعهم كثير من الناس فإن هذا يضرهم أكثر وأكثر.

قوله: « وَنَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ»: وهذا أمر مهم أن العبد ما يقول إلا بعلم وإلا فإنه ينبغي له أن يصمت، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولو سكت الجهلة لذهب كثير من الخلاف والنزاع والاضطراب والفتن ولكن لما تكلم من لا يحسن وتصدر من ليس بأهل في باب الفقه والفتوى والنوازل وفي غير ذلك حصلت الاضطرابات ولو رجع الناس إلى الفقه في دين الله تعالى وسؤال أهل العلم عن ما أشكل عليهم لحصل خير عظيم.

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ،»[(١)]. وهذا في الصحيحين.

والقول على الله تعالى بغير علم أمره خطير فإن المشرك يقول على الله بغير علم والمبتدع والعاص قولا أو عملا أو اعتقادا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عند هذه الآية: (ذكر الله تعالى المحرمات تدريجيا من الأدنى إلى الأعلى فجعل في أعلى المراتب القول على الله بغير علم)، وهذا يدخل فيه كما تقدم الشرك والكفر فإن المشرك والكافر قائل على الله بغير علم[(٢)].

فما أحوج المسلم إلى أنه يتأدب في هذا الباب وخاصة في الأمور المهمة والمسائل العقدية وغير ذلك وهذا هو التفويض الواجب الذي يجب على المؤمن أنه إذا سئل عن شيء لا يعلمه أن يقول الله أعلم هذا هو التفويض الواجب وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم مع ما أوتوا من العلم ومع ما عايشوا من الوحي ومع ذلك كان يسألهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكثيرا مانجد في أجوبتهم يقولون الله ورسوله أعلم

وهذا ليس بنقيصة أن يجيب المجيب بهذا الجواب إن لم يكن عنده علم بل هذه رفعة ولهذا لما جاء بعضهم إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى يستفتيه فسأله فكلما سأله سؤال قال الله أعلم حتى وصل إلى نحو أربعين مسألة لا يجيب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلا على شيء يسير منها فقال يا إمام ماذا أقول للناس أقول لهم قال الإمام مالك الله أعلم فقال نعم إذهب واصعد على جبل عال وقل لهم قال الإمام مالك الله أعلم، هكذا كان العلماء.

---

(١) البخاري (٤٨٠٩)، مسلم (٢٧٩٨).

(٢) انظر بدائع التفسير (١/ ٣٨٧ـ ٣٨٨)..

المسح على الخفين

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ

الشرح

هذه المسأله الأصل أنها من مسائل الفقه فهي تذكر في مسائل الفقه في باب الطهارة ولكن المؤلف جعلها في باب العقيدة هو وغيره للرد على المبتدعة وكم من مسألة خالف فيها أهل البدع فجعلها أهل العلم من أبواب الاعتقاد، فقد خالف في هذه المسألة الرافضة فقالوا بتحريم المسح على الخفين، والرافضة عقولهم معكوسة وفطرهم منكوسه ولهذا تجد أنهم يقولون يمسح على القدمين ولايمسح على الخفين، وأما الخف فلا يمسح عليه.

وقد تواترت أحاديث المسح على الخفين فرويت عن عدد كبير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ذكر بعضهم كابن المنذر في الأوسط عن سبعين من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاء عن بعضهم أنه أوصلها إلى الأربعين وعدها السيوطي من الأحاديث المتواترة

مما تــواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتــا واحتسب

ورؤية شفاعــة والحــوض ... ومسح خفيــن وهذي بعض

البيتان ليسا للسيوطي لكنه ذكرها في كتابه المتواتر فأحاديثه من الأحاديث المتواترة، وقد ثبت في كتاب الله تعالى المسح.

مما استدل به على المسح على الخفين من القرآن قوله تعالى في آية الوضوء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

في هذا الموضع جاء الشيعة والرافضة فقالوا إذا هذه الآية تدل على المسح على الرجل وما جاء من الأحاديث في المسح على الخفين فالمراد بها المسح على الرجلين، هذه قراءة صحيحة ولكن القراءة المشهورة والتي عليها الأكثر: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ بالنصب على أنها معطوفة على الوجه ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ ثم قال بعدها وأرجلكم كما أن الوجه يغسل فالأرجل تغسل.

وأما قراءة الجر فقد أجاب عنها أهل العلم بأجوبة كثيرة منها أولا أن المراد بالمسح الغسل الخفيف وقد وجد في كلام العرب أنهم يقولون امسح بالماء بمعنى اغسل غسلا خفيفا أو أن قراءة الجر إنما كانت لمجاورة وقد جاء في كلام العرب أنهم يجرون ماليس بمجرور لمجاورته للمجرور فيقولون: « هذا جحرُ ضبٍ خربٍ»، وأصلها:« جحرُ ضبٍ خربٌ» بتنوين الباء مع ضمها ، لما جاور المجرور جر.

وأيضا من الأجوبة التي أجابوا بها أن القرآة المشهورة هي قراءة النصب والمعتمد عليها والمعول عليها ومن الأجوبة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يثبت عنه في حديث واحد أنه مسح على قدميه على أن المراد بالأرجل هنا الغسل أي وأرجلكم اغسلوها، بل ثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:" ويل للأعقاب من النار"، كما جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رجعنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر فتوضؤوا وهم عجال فانتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء»(١) . رواه مسلم

فلو كان المقصود بذلك المسح لما حصل التشديد على ذلك الموضع الصغير فإن المسح ربما يحصل فيه نقص ويحصل فيه قصور ولايكون المسح على كل مكان في القدم لكن هذا يدل على

(١) مسلم (٢٤١).

الاستقصاء وأنه غسل وليس بمسح ولكن الرافضة كما سمعت لايرون المسح على الخفين ويرون المسح على القدمين فيخالفون الأدلة من الكتاب والسنة.

وكما سمعت أن بعض المسائل التي خالف فيها أهل البدع يدخلها أهل العلم في كتب العقائد فربما تجد هذا المؤلف زاد مسائل كثيرة وذلك المؤلف الآخر لم يزد فتتفاوت كتب العقائد في مثل هذه المسائل[(١)]، وكان كتاب الطحاوية من حيث ذكر عدد المسائل يعتبر أوسع من كتاب الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ثم أيضا الناظر في كتب الشيعة يجد أن بعض أئمتهم يرون المسح على الخفين ولكن كثير منهم صار دينهم وفقههم هو ما أخذ عن ساداتهم في إيران وإلا فإن بعض أئمتهم المتقدمين يقولون بذلك ويوافقون أهل السنة في ذلك وفي مسائل كثيرة.

فالمسح على الخفين موجود في كتب الهادي وأنه مما هو موجود في كتبهم ومع ذلك يخالفون وإذا رأوا شخصا لبس الجورب ومسح عليه ربما قالوا صلاتك باطلة، ولهذا تجدهم يتعمدون في مساجدهم أن يجعلوا بركا عند دخول المسجد مليئة بالماء لماذا !؟من أجل غسل الأرجل ومن أجل من عنده خف أو جورب ما يستطيع يدخل لابد يخلع من أجل يدخل رجله في الماء فهذا وهذا وفعلهم ذاك لا دليل عليه.

---

(١) انظر حاشية ابن مانع ضمن الرياض الندية (١٤٠)، وحاشية الألباني (١٤١) وشرح ابن أبي العز (٥٩٣ ـ ٥٩٦).

قال الطحاوي رحمه الله :

وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا

الشرح

وقد جمع المؤلف رحمه الله تعالى بين الحج والجهاد في هذا الموضع لأنّ هاتين الشعيرتين لابد لهما من أمير وقائد فالحجاج لابد لهم من قائد وأمير يحتاجون إليه في سفرهم ومناسكهم وهكذا الجهاد لابد له من أمير وقائد فلهذا قرن بينهما ثم لما تقدم في الدروس الماضية أنه الصلاة خلف البر والفاجر والصلاة على البر والفاجر وأنه لا يجوز الخروج على ولي الأمر المسلم بين هنا أن هذا الوالي المسلم إذا دعى إلى الجهاد أو خرج إلى الحج فإنه يخرج معه ويطاع في ذلك ولو كان عنده شيء من الفجور والمعاصي، وهذا فيه رد على الرافضة الذين لايرون الجهاد حتى يخرج الرضى من آل محمد فيجاهدون معه[١]، أو حتى يخرج المهدي فيجاهدون معه وكما قال بعضهم.

أيضا فيه رد على بعض أولئك الذين يقولون لا يجاهدون إلا إذا خرج نبي فيجاهدون مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحب هذا الكلام محمد الإمام صاحب معبر[٢] أنه ما سيجاهد إلا مع نبي أو معنى هذا فهذا رد على الرافضة ورد عليه.

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٥٩٧).

(٢) عند مسجد في مدينة معبر في محافظة ذمار، وهو ممن ثار على دار الحديث بدماج بعد موت الشيخ مقبل، وله أقوال باطلة وقواعد خلفية بينت في مواضعها.

والحج فريضة على أهل الإسلام في كل عام فرض كفاية الحج على أهل الإسلام عموما فرض كفاية في كل عام إذا قام به بعضهم سقط الإثم عن الآخرين وأما على سبيل التعيين فإنه فرض عين على كل مسلم مستطيع في العمر مرة.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال: " لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم " ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه "[(١)]. رواه مسلم

وأما في كل عام فهو فرض كفاية ولابد من إقامة شعيرة الحج فإذا تخلف المسلمون كلهم عن شعيرة الحج أثموا جميعا والجهاد ماض مع ولاة أمر المسلمين من زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ماشاء الله تبارك وتعالى[(٢)].

وهو كما يقول أهل العلم ينقسم إلى قسمين فرض كفاية وفرض عين ففرض العين في بعض أحواله لا يحتاج إلى أنه لا يقوم به المسلم حتى يدعوا إليه الوالي بل يتحتم على المسلمين القيام به وإن لم يدعوا إليه الوالي كأن يهجم العدو على بلد أهل الإسلام فإنه يجب عليهم أن يقوموا بالدفاع عن أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وبلدانهم.

وأما جهاد الطلب فإذا دعى إليه الوالي قد يصير عند ذلك فرض عين، جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»[(٣)] متفق عليه.

---

(١) مسلم (١٣٣٧).

(٢) وانظر رسالتنا: القول الأنيق في حج بيت الله العتيق.

(٣) البخاري (٣٠٧٧)، ومسلم (١٣٥٣).

وقد كان الجهاد كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مراحل أربع:

المرحلة الأولى: أن الله تعالى نهاهم عن القتال وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهذا في العهد المكي لضعفهم وعدم قدرتهم، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]

فهذا في المرحلة المكية وفي العهد المكي نهاهم الله تعالى عن القتال وأمرهم بالصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العبادات فلما هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة في أول الهجرة فإن الله تعالى أذن لهم في الجهاد إذن عام دون أمر ولا تحتم، قال الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ولما بدءوا يكونون دولة الإسلام في أول أمرها أمرهم الله تعالى وهذه المرحلة الثالثة أمرهم الله تعالى بقتال من قاتلهم والكف عن من كف عنهم قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

فلما قويت شوكتهم وأقيمت دولتهم جاءت المرحلة الرابعة وهي الأمر بالجهاد مطلقا وبغزو الكافرين، وأذن الله تعالى لهم بذلك بل أمرهم به فخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تلك الغزوات وبعث تلك السرايا كغزوة بدر وغيرها من الغزوات فكان الجهاد على هذه المراحل الأربع[١].

---

(١) انظر شرح الفوزان (١٨٨).

ثم إن الحج والجهاد ماضيان إلى قيام الساعة لاينقضهما شيء ولا يبطلهما وإن وجدت المعاصي والمخالفات في ولي الأمر أو في من يقوم بالجهاد فإن هذا لايمنع القيام بهذه الشعيرة العظيمة والذي يريد جهادا مع أناس ليس عندهم مخالفات شرعية هذا قد يصعب عليه في هذا الزمان ولا يجد ولكن يتحرى أما أنه لايريد إلا أناس على الصراط المستقيم يجاهدون فيجاهد معهم وإلا ترك هذه الشعيرة وترك الجهاد في سبيل الله تعالى فهذا مخالف لما هو هاهنا أعني ما ذكره الطحاوي رحمه الله تعالى بقوله: « وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ،إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا ».

وهذا فيه إشارة أيضا إلى أن ولاة أمر المسلمين هم الذين يقومون بالجهاد في سبيل الله تعالى، جهاد أعداء الله تعالى وللأسف أنهم تخلوا عن هذه الشعيرة أو تخلى كثير منهم عن هذه الشعيرة العظيمة وهي الجهاد في سبيل الله تعالى وصاروا يخضعون لأعداء الإسلام خضوعا شبه كلي بل ربما لايتحدثون في أنفسهم عن جهاد الكافرين إلا ما شاء الله.

وقد أساء الفهم في هذه المسألة أناس كثيرون أناس فرطوا فتركوا هذا الأمر العظيم وأناس أفرطوا وبالغوا حتى وقعوا في المخالفات الشرعية فجاهدوا من لايستحق جهاده وكفروا من لايستحق ويستوجب الكفر فسفكوا الدماء ووقعوا في المخالفة لكتاب الله تعالى

وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحق أنه كما سمعت الجهاد ماضي لكن المقصود به الجهاد الشرعي القائم على أدلة الكتاب والسنة لا على الهوى والعاطفة.

قال الطحاوي رحمه الله :

وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ
وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ

الشرح

وَكَّلَ الله تعالى بالعباد ملائكة يحفظون أعمالهم ويكتبونها ويقيدون صغيرها وكبيرها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرَّعْدِ: ١١] . قوله :﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾، أي بأمر الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وجاء في الحديث المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ".(١)

وجاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ"(٢). رواه مسلم

---

(١) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) مسلم (٢٨١٤).

إذن فالله تعالى قد وكل بالعباد الكرام الكاتبين وجعلهم عليهم حافظين يقيدون الصغير والكبير والنقير والقطمير وهؤلاء صنف من الملائكة هذا عملهم ووظيفتهم ويجب الإيمان بذلك

والملائكة أصناف ومنهم من جعله الله تعالى لهذا العمل ومنهم من جعله لغيره كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٦]، وهكذا قال الله تعالى عنهم ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[الصافات: ١٦٤]

فالله تعالى جعل لهم من الأعمال الكثيرة ومنهم من جعله في هذا العمل وهو كتابة أعمال العباد صغيرها وكبيرها.

وقوله: « وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ»: وملك الموت لم يثبت في الأحاديث أن اسمه عزرائيل وإنما هذه من الآثار الإسرائيلية التي لم تثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]، نص على ذلك الأئمة، ومنهم العلامة الألباني رحمه الله تعالى قال رحمه الله تعالى: (هذا هو اسمه في القرآن وأما تسميته بـ(عزرائيل) كما هو الشائع بين الناس فلا أصل له وإنما هو من الإسرائيليات)، قاله في تعليقه على الطحاوية[(٢)].

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى لم يثبت من أسماء الملائكة إلا خمسة أسماء وهي جبريل الموكل بالوحي وميكائيل الموكل بالقطر وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة هذا على إثبات الحديث وقد حسنه ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية وهكذا ابن القيم رحمه الله تعالى في حادي الأرواح.

---

(١) انظر حاشية العلامة الألباني ضمن الرياض الندية (١٤٤)، والشرح الممتع للعلامة العثيمين (٢/ ٤٤٣)، ومعجم المناهي اللفظية (٣٩٠)، للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.

(٢) ص (١٤٤) ضمن الرياض الندية.

فهؤلاء هم الخمسة الذين ثبتت أسمائهم في الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهكذا في القرآن الكريم، واختلف في منكر ونكير فقال بعضهم هما وصفان والصحيح أنهما إسمان وقد ثبت الحديث بهما كما عند ابن حبان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الْإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ:

فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ محمد عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ إنك لتقول ذلك ثم يفسخ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَكُنْتُ أَقُولُهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذلك"(١).

والحديث في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى.

وقول المؤلف (الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ) ماجاء في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]

والجمع بين هذه الآية: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، قال أهل العلم كما جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ملك الموت هو الموكل بقبض الروح واستخراجها فإذا أخذها لم تدعها الملائكة في يده

---

(١) ابن حبان (٣١١٧)، ((الصحيحة)) (١٣٩١).

طرفة عين أي فتقبضها الملائكة من ملك الموت، فيكون قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ باعتبار أنه هو الذي يقبض الروح ويستخرجها من الجسد.

قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: باعتبار أنهم شاركوا في ذلك حيث أخذوا الروح من ملك الموت، وهكذا جمع الشنقيطي في كتابه دفع إيهام الاظطراب وغيره من أهل العلم، فيكون الملائكة مشتركون وكل الله تعالى بعض الملائكة بأخذ الروح من ملك الموت وهو الذي يستخرجها كما في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٦٠٢)، ودفع إيهام الاضطراب (١٨٩)، ط: المكتبة التوقيفية.

عذاب القبر

قال الطحاوي رحمه الله:

وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ

الشرح

قوله: «وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ»: أي نؤمن بعذاب القبر لمن كان أهلا وعذاب القبر ونعيمه أدلته متواترة وأجمع عليه أهل السنة والجماعة علمائهم وغيرهم على إثبات عذاب القبر لمن كان له أهلا.

وقوله: « لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا»: هذا يشمل الكفار ويشمل من شاء الله عزوجل من عصاة الموحدين فإنهم يعذبون في قبورهم بسبب ذنوبهم إذا شاء الله تعالى

وقد جاءت أدلة عذاب القبر المتواترة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله تعالى في "كتاب الجنائز" لعذاب القبر، فقال: باب ما جاء في عذاب القبر، وساق في الترجمة قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ [الْأَنْعَام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ، أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

استدل جمهور أهل العلم بهذه الآية على إثبات عذاب القبر وقال الله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٦]، عقيب إغراقهم دخلوا النار مع أنهم يذهبون إلى القبور، وهذا يدل على أنهم يعذبون في قبورهم وهكذا.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾[طه: ٤٦] ، وهذا عام في الدنيا والآخرة ويشمل القبور.

واستدل بعض أهل العلم بقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، ولكن قوله في آخر الآية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يدل على أن المراد به ما يصابون به في الدنيا.

وأما الآحاديث فهي كثيرة متواترة منها ما لاتصح صلاة المسلم إلا به، وهو حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ "[(١)]. رواه مسلم، بل إن من ترك ذلك عمدا بطلت صلاته.

ومنها حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] " وفي رواية أخرى: وَزَادَ - ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [إبراهيم: ٢٧] نَزَلَتْ فِي عَذَابِ القَبْرِ [(٢)].

وأيضا حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) مسلم (٤١٢).

(٢) البخاري(١٣٦٩).

«يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» . ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» (١) متفق عليه.

وجاء أيضا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ [ص:٢٧٠]: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " » (٢) .

ومنها حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا، فَقَالَا: اصْعَدْ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أُطِيقُهُ، فَقَالَا: إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ، فَصَعِدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالُوا: هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ، فَقَالَ: خَابَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ سُلَيْمَانُ: مَا أَدْرِي أَسَمِعَهُ أَبُو أُمَامَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ شَيْءٌ مِنْ رَأْيِهِ؟ ثُمَّ انْطَلَقَ، فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْءٍ انْتِفَاخًا وَأَنْتَنِهِ رِيحًا، وَأَسْوَئِهِ مَنْظَرًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ قَتْلَى الْكُفَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْءٍ انْتِفَاخًا، وَأَنْتَنِهِ رِيحًا، كَأَنَّ رِيحَهُمُ الْمَرَاحِيضُ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزَّانُونَ وَالزَّوَانِي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الْحَيَّاتُ، قُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِالْغِلْمَانِ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذَرَارِي الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شَرَفَ شَرَفًا، فَإِذَا أَنَا بِنَفَرٍ ثَلَاثَةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ

---

(١) البخاري (٢١٦) مسلم (٢٩٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٧٨)، الصحيحة: (٥٣٣).

خَمْرٍ لَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ جَعْفَرٌ، وَزِيدٌ، وَابْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ شَرَفَنِي شَرَفًا آخَرَ، فَإِذَا أَنَا بِنَفَرٍ ثَلَاثَةٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَهُمْ يَنْظُرُونِي "(١).

و أدلة ذلك كثيرة في عذاب القبر لمن كان مستحقا له.

وعذاب القبر نؤمن بإثباته لمن كان مقبورا ولمن لم يقبر لأن بعض الناس ربما لايدخل للقبور يحرق أو تأكله السباع أو يغرق في البحر وتأكله الحيتان فهذا نؤمن أنه يمر عليه نعيم القبر أو عذابه فإن كان ممن يستحق العذاب عذب وإن كان ممن يستحق النعيم نعم ولو لم يدفن في قبره

وهذا الذي قرره شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وغيره(٢).

وأيضا عذاب القبر ونعيمه يكون على الروح والبدن ليس على الروح فحسب أو البدن فحسب بل الروح والبدن والروح لها تعلق بالبدن في الحياة البرزخية فعند العذاب أو النعيم أو السؤال يكون ذلك كله على الروح والبدن(٣).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره أن الروح مع البدن لها تعلقات تختلف باختلاف الزمان والمكان فذكروا أن:

المرحلة الأولى: تعلق الروح بالبدن والإنسان في بطن أمه في حال كونه جنين.

والحالة الثانية: تعلق الروح بالبدن في حال الدنيا عند خروجه إلى الدنيا وهذا يختلف عن تعلقها به وهو في بطن أمه.

---

(١) ابن خزيمة (١٩٨٦)، صحيح ـ ((التعليق الرغيب)(٢/ ٧٤) .

(٢) شرح ابن أبي العز: (٦١٨).

(٣) شرح ابن أبي العز (٦١٧ـ٦١٨).

الحالة الثالثة: تعلق الروح بالبدن والإنسان في المنام هذا يختلف عن تعلق الروح بالبدن في حال اليقضة.

الحالة الرابعة: تعلق الروح بالبدن في الحياة البرزخية فقد تلاقي البدن وقد تخرج منه.

ولهذا جاء في حديث عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَوْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، حَتَّى يَجْلِسُونَ مِنْهُ، مَدَّ الْبَصَرِ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَإِذَا أَخَذُوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَسْتَقْبِلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولَانِ: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، وَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ بِهِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ

الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا، وَرَوْحِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتُ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي.

وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، حَتَّى يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللهِ وَغَضَبِهِ قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ فَيَنْقَطِعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ كَمَا تُنْزَعُ السَّفُّودَ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُوهَا، فَإِذَا أَخَذُوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ، طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ، وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى " قَالَ: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ الْمَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟، فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا،

وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، وَقَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتُ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ". رواه أحمد وهو في الصحيح المسند للامام الوادعي رحمه الله تعالى(١).

والشاهد معناه أنها تخرج وترجع وهكذا الحالة الخامسة وهي تعلق الروح بالبدن بأرض المحشر وفي الدار الآخرة(٢).

وأيضا مما يذكر في هذا الموضع أن عذاب القبر يختلف صاحبه فقد يكون متصلا وقد يكون منقطعا كالمؤمن العاصي إذا شاء الله تعالى أن يعذبه فإن عذابه منقطع بحسب ذنوبه ثم يبعث ويحاسب وأما الكافر فإنه عذابه في القبر من جنس عذاب الآخرة ومن جنس عذاب النار وهو عذاب متصل لاينقطع عنه(٣).

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما مر بنا في الإسراء والمعراج أن أرواحهم في السموات، تخالف في مسألة عذاب القبر وإثباته الخوارج وبعض المعتزلة وليس المعتزلة كلهم وبعض المعتزلة أيضا يقول العذاب إنما هو على الكفار فقط والصحيح أنه عام لمن كان له أهلا من الكفار وغيرهم، وممن سار على طريقة الخوارج والمعتزلة الرافضة والشيعة فإنهم ينكرون عذاب القبر.

قوله: «وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ....إلخ»: كلامه وهذا هو الذي يسمى فتنة القبر سؤال منكر ونكير يقال له فتنة القبر وقد ثبت ذلك الحديث الذي أشار إليه المؤلف.

---

(١) (١/ ١٢١)، ط: دار الآثار.

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٦١٧ ـ ٦١٨)، وانظر كتاب الروح لابن قيم رحمه الله تعالى.

(٣) انظر شرح ابن أبي العز (٦٢٠).

عند ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الْإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ:

فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَّ وَأَنَّ محمد عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لِنَعْلَمُ إنك لتقول ذلك ثم يفسخ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهَّ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَكُنْتُ أَقُولُهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهَّ مِنْ مَضْجَعِهِ ذلك"(١).

وأما إثبات السؤال بدون ذكر الملكين فهو ثابت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللهَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

تمام الآية: ﴿يُثَبِّتُ اللهَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللهَّ الظَّالِمِينَ، وَيَفْعَلُ اللهَّ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال هي في المؤمن إذا قيل له من ربك ما دينك ومن نبيك قال ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الكافر كما جاء في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإن الكافر فذكر موته قال: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ

(١) ابن حبان (٣١١٧)، حسن صحيح - ((الصحيحة)) (١٣٩١).

رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا»، قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(١).

ثم إن هذه الفتنة التي هي فتنة القبر هي عامة عند جماهير أهل العلم في هذه الأمة وفي سائر الأمم لا ينجوا منها أحد إلا من جاء الدليل أنه ينجوا وقد ذكر أهل العلم ممن ينجوا في فتنة القبر أربعة أصناف:

الأول فهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لما جاء في الحديث عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ. فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟

---

(١) أبو داود (٤٧٥٣).

فَيقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُعَذَّبُ "(١)، فالأنبياء يسأل عنهم ولا يسألون.

النوع الثاني الشهداء، للحديث الذي جاء عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي(٢).

وهكذا الصديقون قال أهل العلم لأنهم أرفع من الشهداء، قال الله تعالى:﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٧٠].

ومن الذين لايفتنون في قبورهم المرابطون في سبيل الله قال أهل العلم المراد إذا ماتوا في الرباط ليس مثلا من رابط يكون داخلا في الحكم ولو كان قد ترك الرباط لا الذي يموت في رباطه، لما جاء عَنْ سَلْمَانَ الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»(٣). رواه مسلم

ثم اختلف أهل العلم في غير المكلفين، هل يفتنون في قبورهم أولا يفتنون فذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الروح وغيره من أهل العلم أن الذي عليه الأكثر أن غير المكلفين يفتنون في قبورهم كالأطفال والمجانين وقال بعضهم بل لا يفتنون لأنهم غير مكلفين قال

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٤٠).

(٢) صحيح أحكام الجنائز (٣٦)، والتعليق الرغيب (٢/ ١٩٧).

(٣) رواه مسلم (١٩١٣).

الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: وإذا فتنوا أي سئلوا وهم غير مكلفين فنحن نؤمن أنهم سيجيبون على الصواب لأنهم غير مكلفين.

ومن الأدلة التي ترجح فتنتهم الصلاة على الطفل فإن صلاة الجنازة على الطفل شفاعة يدعى له في تلك الصلاة ولو كان لايفتن في قبره ما الفائدة من هذه الصلاة ولماذا يدعى له لكنه يسأل ويجيب على الصواب[(١)].

ثم إن أهل العلم قد ذكروا أن العبد في قبره تمر به ثلاثة أشياء:

الأول: العذاب أو النعيم وهذا قد تقدم.

الثاني:الفتنة وهو السؤال والسؤال يكون من الملكين يقال لأحدهما منكر والآخر نكير ولايسلم إلا من تقدم ذكره .

الثالث:الضمة ضمة القبر وهذه لاينجوا منها أحد، لحديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»[(٢)].

قال بعض أهل العلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلاشك أنه سينجوا من هذه الضمة وسائر الأنبياء لأنه عليه السلام يتحدث عن غير الأنبياء وقال بعضهم بل هذا الحديث يدل على أنه لاينجوا أحد حتى الأنبياء.

ولكن الناس يختلفون في هذه الضمة فمنهم من يضم عليه في قبره حتى تختلف عليه أضلاعه وأما أهل الإيمان فيخفف عليهم في هذه الضمة فليست الضمة كالضمة في حال المؤمن وفي حال الكافر.

---

(١) انظر الروح لابن قيم (٢٠٥ ـ ٢٠٧)، ط: دار إحياء العلوم، وشرح السفارينية للعثيمين (٤٣٣ ـ ٤٣٤) ط: المؤسسة.

(٢) ((الصحيحة)) (١٦٩٥)..

قوله رَحِمَهُ اللهُ : «وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ»: وهذا كلام صحيح فهو روضة لأهل الإيمان وحفرة لأهل النيران.

ولهذا جاء في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عليه الصلاة والسلام: " فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ» [(١)].

وجاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ،

---

(١) تقدم.

فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ "[1]. ولفظه للبخاري.

وهذا يدل على أن الناس في قبورهم إما في روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

وأما الحديث الذي جاء بهذا النص القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فهو حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي[2] وقد ضعفه العلامة الألباني رحمه الله تعالى وإن كان معناه صحيحا[3].

وجاء عن عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ» ، وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين[4].

وعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى، حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»[5].

---

(١) البخاري (١٣٧٤).

(٢) الترمذي (٢٤٦٠).

(٣) في سنده عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف، وبعضهم تركه.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي هذا حديث غريب وحسنه الألباني في المشكاة، انظر الصحيح المسند (٢/ ١٠).

(٥) حسنه الألباني في الصحيحة (١٧٥١).

فالقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وأمور القبر تعتبر من الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان لأنّ أمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا فلا تعقلها العقول فيجب الإيمان بها.

لهذا قد يقول قائل ربما نحفر قبورا فلا نرى فرقا بين المؤمن والفاجر فيقال هذه أمور يعلمها الله تعالى وأمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا فنؤمن هذا القبر أن صاحبه إذا شاء الله أن يعذبه وهذا إذا شاء الله أن ينعمه، وربما يكونان في قبر واحد فهذه أمور يعلمها الله سبحانه وتعالى لا تدركها عقول البشر لأنها من أمور الغيب وإنما نؤمن بما جاء من الأدلة أن هذا ينعم وهذا يعذب وهذه الأدلة التي تقدمت تدل على ذلك.

البعث والنشور

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ

الشرح

وهذه كلها من أمور الآخرة التي هي داخلة في الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان لايصح إيمان المؤمن إلا بها والبعث قد جاءت أدلته في القرآن والسنة متواترة كثيرة جدا، ولم ينكر البعث إلا الكفار الزنادقة حتى ابليس ذكر الله تعالى عنه أنه يعترف بالبعث.

قال الله تعالى:﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٣].

وإنما أنكر البعث الكفار والزنادقة والملاحدة، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التَّغَابُنِ: ٧].

وقد ذكر أهل العلم أن الذين ينكرون البعث هم الدهرية الملاحدة الذين يقولون ما يهلكنا إلا الدهر أو من تشبه بهم ممن ينتسب إلى هذه الأمة من ملاحدة الجهمية الذين لايؤمنون بمعاد كما هو في القرآن الكريم وإنما يقولون إما بتناسخ الأرواح وإما أنه كل ستة وثلاثين عاما يرجع الخلق من جديد[١].

(١) انظر معارج القبول (٢، ٧٧٦ ـ ٧٨٠)، ط: دار ابن القيم.

وقد جاءت الأدلة كما سمعت في القرآن والسنة الكثيرة التي تبين البعث وأنه ليس ذلك على الله تعالى بعسير، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة: ٣٦ـ ٤٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التَّغَابُن: ٧]، وَقَالَ تعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣]، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾. [الإسراء: ٤٩ ـ ٥٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[يس: ٧٧ – ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[الروم: ٢٧] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾[مريم: ٦٦ – ٦٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[المؤمنون: ١٣ – ١٦].

. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق: ٥ – ٩].

قوله رحمه الله تعالى: « وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »: قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ـ ٨]. ، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١١١].

فجزاء الأعمال إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما بين ذلك الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا، وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ، هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

وجاء في حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً "[١].

وجاء أيضا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[٢] متفق عليه.

قوله رحمه الله تعالى :« وَالْعَرْضِ» عرض العباد وعرض أعمالهم على الله تعالى وحسابهم على القليل والكثير والنقير والقطمير، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ❁ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ❁ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ❁ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ❁ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:١٨ـ٢٢].

---

(١) مسلم (٢٦٨٧).

(٢) البخاري (٦٤٩١)، مسلم (١٣١).

فالعباد يعرضون على الله ويحاسبون على القليل والكثير ويقرأون الكتب وتتطاير الصحف فآخذ كتابه بيمينه وهو فرح مسرور وآخذ كتابه بشماله وهو في ثبور، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧ـ١٥]

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٣].

وقد بين الله تعالى أن الكتب تؤخذ بالأيمان والشمائل ومن الناس من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٥]، وجاء في آية أخرى بشماله قال أهل العلم رحمهم الله تعالى بشماله من وراء ظهره ليزداد توبيخه وتقريعه وتزداد حسرته وندامته.

قوله رحمه الله تعالى :«وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ»: وقد تقدم الحديث عن الصراط والميزان في "شرح الواسطية"[(١)] فأما الصراط فالمقصود به هنا ما ينصب على متن جهنم وهو الجسر الحسي الذي يمر عليه العباد الذي جاء وصفه في الحديث أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف.

---

(١) أي درسنا لشرح كتاب محمد خليل الهراس في شرح الواسطية، نسال الله أن ييسر بكتابته، وطبعه.

جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه موقوفا وجاء عن سلمان الفارسي وابن مسعود وله حكم الرفع ويمر العباد عليه على قدر أعمالهم بحسب طاعاتهم في السرعة والبطء.

كما في حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه مرفوعا: « فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ "، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا " قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

" فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ

اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"[(١)]. متفق عليه

وما جاء في كتب أهل العلم أنهم يقولون الصراط بين الجنة والنار فهذا ليس عليه دليل صحيح وإنما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسند ضعيف لايصح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الواسطية أنه منصوب بين الجنة والنار بهذا التحديد لادليل عليه ولكنهم يقولون منصوب على متن جهنم وهذه من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، وأنت تقرأ الجنة في السماء السابعة والنار في الأرض السفلى والجسر منصوب على متن جهنم، والناس يمرون عليه إلى الجنة فمن هنا تعلم أن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا فهي أمور يجب الإيمان بها ليست كأمور الدنيا.

وأيضا بعد مرور الناس على الصراط يقفون على قنطرة بين الجنة والنار وهذه القنطرة يهذب عليها أهل الإيمان الذين نجوا وسلموا من السقوط على الصراط فينقون ويهذبون ويقتص لبعضهم من بعض من المظالم التي تبقى في النفوس بعد الحساب والجزاء ثم يؤذن لهم في الدخول في الجنة وهذه القنطرة قال الحافظ بن حجر هي من تتمة الصراط.

وقال القرطبي بل هي صراط جديد وقال بعض أهل العلم هي قنطرة نؤمن أن المؤمنين يقفون عليها ولا يعنينا أهي صراط جديد أم من الصراط، إنما الواجب علينا أن نؤمن أنهم يقفون على هذه القنطرة[(٢)].

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) انظر الفتح (٥/ ١٢٠)، والتذكرة (١/ ٤١٠ ـ ٤١١)، وشرح الواسطية للعثيمين (٢/ ١٦٣).

وحديث القنطرة رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصراط لم يذكر في كتاب الله تعالى إلا في آية واحدة على اختلاف في تفسيرها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

فسر جمهور أهل العلم هذه الآية بأن المراد بها المرور على الصراط وأما ما ذكر من الصراط في الآيات في القرآن الكريم فالمراد به الصراط المعنوي في الدنيا الذي هو الإسلام والإيمان، قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٥٣].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: من ثبت على الصراط المعنوي في الدنيا ثبت على الصراط الحسي في الآخرة وأما الميزان فهو ما ينصبه الله تعالى يوم القيامة لوزن أعمال العباد وهو ميزان حقيقي خلافا للمعتزلة الذين يقولون بأنه عبارة عن العدل وأن الله تعالى لايحتاج إلى ميزان وهذا قول باطل فإن فيه رد للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة في إثبات الميزان(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٤٧].

وهكذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ " متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢). والميزان له كفتان كما في حديث البطاقة كفة وضعت فيها السيئات وكفة وضعت فيها البطاقة.

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز ٠٦٤٩ ـ ٦٥٠)..

(٢) البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

جاء عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[(١)]. رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في المشكاة.

وله لسان بإجماع أهل العلم كما نقل ذلك الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى في "فتح الباري" اعتمادا على بعض الآثار عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما فله لسان وهو الذي يكون في الوسط شوكة يقال لها لسان الميزان، وله كفتان توزن بهما أعمال العباد، وهو ميزان واحد لجميع الخلق وأما ماجاء من الجمع في الأحاديث والآيات فالمراد بها الموزونات.

قال تعالى:﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠٢]، والمراد موازينه أي أي مايوزن في ذلك الميزان من الأعمال ثم إن الأصل في ذلك الميزان أنه يوزن به أعمال العباد ولا مانع أن توزن أجسامهم ، لحديث عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ». والحديث في الصحيح المسند لشيخنا الوادعي رحمه الله تعالى[(٢)].

(١) الترمذي (٢٦٣٩).

(٢) رواه أحمد ، وهو في الصحيح المسند، برقم: (١/ ٦٤٥).

ولا مانع أن توزن الصحائف لحديث البطاقه لأنها وزنت الصحيفة وإلا فإن الأصل الذي يوزن العمل، وأعمال الكفار كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا. ﴾ [الفرقان: ٢٤]. فلهذا قال بعض أهل العلم الكفار لاتوزن أعمالهم لأنهم ليس لهم أعمال وقال بعضهم بل توزن فإذا كان المعنى أنها توزن ويقارن بينها وبين الحسنات فهذا ليس بوارد في حق الكافرين، فإنهم لا حسنات لهم وإن كان المراد أنها توزن بمعنى تعرض عليهم ليزداد ندمهم وحسرتهم وتوبيخهم وتعذيبهم فهذا وارد(١).

ولهذا جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥]. متفق عليه(٢).

فإذا كان كما سمعت من باب أن يعرض عليهم ما عملوه في الدنيا فلا بأس وإلا وزن حسنات وسيئات، والنظر في ماهو الأرجح هذا ليس بوارد لأن الكفار لاحسنات لهم.

---

(١) انظر شرح الواسطية للهراس (٢٤٢)، والفتح (١٣/ ٦٦٠)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٤٧٦ـ ٤٧٧)، والتذكرة (١/ ٣٧٩ـ ٣٨٣٢)، والصحيحة للألباني (١/ ٨٢).

(٢) البخاري (٤٧٢٩)، مسلم (٢٧٨٥).

الجنة والنار مخلوقتان

قال الطحاوي رحمه الله :

"وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، و أنَّ اللَّه تَعالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا. فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْه، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا "قَدْ" فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ".

الشرح

الجنة والنار أجمع أهل العلم على أنهما مخلوقتان موجودتان الآن وأدلة ذلك كثيرة منها قول الله تعالى في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٣] . وقال في النار:﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وأيضا الآحاديث الكثيرة التي فيها أن آدم عليه السلام أهبط من الجنة وأيضا الآيات.

ومن الأدلة أيضا على هذه المسألة، وقد رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى. كما في (الصحيحين)، من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الإسراء، وفي آخره: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤَ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ " [(١)] .

وفي (الصحيحين) من حديث عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ

(١) رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ " (١).

وحديث عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا» (٢).

وفي (صحيح مسلم)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قالت: ((خسفت الشمس على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أقدم. ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت)) (٣).

وفي (الصحيحين) واللفظ للبخاري، عن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ((انخسفت الشمس على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك كعكعت؟ فقال: إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم، يا رسول الله؟ قال: بكفرهن قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت خيرا قط)) (٤).

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦)..

(٢) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١/ ٣٠٠).
وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): صحيح..

(٣) رواه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٩٠١).

(٤) رواه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧) .

وفي (صحيح مسلم) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السابق أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته بعد الصلاة: ((لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا)) (١).

وفي (الموطأ) و (السنن)، من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة)) (٢).

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة. وفي (صحيح مسلم) و (السنن) و (المسند)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضا، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها)) (٣).

---

(١) رواه مسلم (٩٠١). والحديث رواه البخاري (٦٦٣١).

(٢) رواه النسائي (٤/ ١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٧١)، ومالك (١/ ٢٤٠). وقال الشيخ الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): صحيح.

(٣) رواه مسلم مختصرا (٢٨٢٢)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٢) (٨٣٧٩)، والحاكم (١/ ٧٩). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.

ونظائر ذلك في السنة كثيرة وقد عقد البخاري في (صحيحه) بابا قال فيه: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة وساق في هذا الباب أحاديث كثيرة تدل على أن الجنة مخلوقة، منها الحديث الذي ينص على أن الله يري الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجنة والنار(١).

وحديث اطلاع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجنة والنار.(٢)

وحديث رؤية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقصر عمر بن الخطاب في الجنة.(٣)

وأدلة وجود النار فقال عزوجل: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾[الفرقان: ١١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وأ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾[الملك: ٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[غافر: ٤٦].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل

---

(١) الحديث رواه البخاري (٣٢٤٠) من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الحديث رواه البخاري (٣٢٤١). من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الحديث رواه البخاري (٣٢٤٢). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة))[(١)].

وفيهما أيضا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رأى في صلاة الكسوف النار فلم ير منظر أفظع من ذلك))[(٢)].

وفي البخاري عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء))[(٣)]. وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه، ورواه الترمذي والنسائي أيضا.

وفي الصحيح (باب صفة النار وأنها مخلوقة الآن) وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم)) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير))[(٤)] رواه البخاري أي من ذلك التنفس.

وهذا مما يدل على وجودها خلافا للمعتزلة وبعض الخوارج والقدرية الذين يقولون وجود الجنة الآن عبث وقولهم هو العبث، وإلا فهذه الأدلة كلها تدل على وجود الجنة والنار وعلى إثباتهما وعلى أنهما مخلوقتان.

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢) حديث الكسوف رواه البخاري (٥١٠٩٧)، ومسلم (٩٠٧). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٥١٩٨).

(٤) رواه البخاري (٣٢٥٨).

قوله: «لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ»: هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة وخالف الجهم ابن صفوان ومن سار على طريقه فقال بأن الجنة والنار تفنيان وهذا قول باطل فأما الجنة فقد أجمع أهل العلم أنها لاتفنى و لا تبيد.

وأما النار فالذي عليه جمهور أهل العلم وجمهور السلف الصالح أن النار أيضا لا تفنى . ونقل عن شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وتلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى أنهما يقولان بفناء النار وهذا ليس بصحيح وإنما الذي قرره ابن القيم رحمه الله تعالى أنه يقول بفناء نار الموحدين، الذين يخرجون منها ويكون مآلهم إلى الجنة وهذا الذي اختاره الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (اعلم أن النار في الآخرة ناران: نار تفنى ونار تبقى أبدا لا تفنى فالأولى هي نار العصاة المذنبين من المسلمين والأخرى نار الكفار والمشركين هذا خلاصة ما حرره ابن القيم في " الوابل الصيب " وهو الحق الذي لا ريب فيه وبه تجتمع الأدلة.

فلا تغتر بما ذكره الشارح هنا وابن القيم في " شفاء العليل " و " حادي الأرواح " مما قد ينافي هذا الذي لخصته فإنهما لم يتبنيا ذلك وليس فيه أي دليل صريح صحيح يدل على فناء نار الكافرين والله تعالى كما قال في أهل الجنة: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]، قال مثله في الكافرين: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[البقرة: ١٦٧].

وما روي عن عمر وغيره لا يصح إسناده كما بينته في تعليقي على " الشرح " فتنبه ثم في " الأحاديث الضعيفة " المجلد الثاني [٦٠٦ - ٦٠٧] ، وسيصدر قريبا بإذن الله [(١)].

وقولهم تفنى هذا يحتاج إلى دليل فنحن نؤمن أن العصاة من المحدين إن دخلوا النار فإنهم خارجون منها لا محالة، طيب والنار التي كانوا فيها هل تفنى هذا يحتاج إلى دليل ولهذا يقول بعض أهل العلم ينزوي بعضها إلى بعض ولكن هذا القول وإن قيل فهو ليس كالقول بأن النار تفنى مطلقا فإن القول بأن النار تفنى مطلقا قول باطل من أقوال أهل البدع كالجهمية وغيرهم فالجنة والنار لا تفنيان أبدا ولا تبيدان.

ولو ثبت عن شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وتلميذه بن القيم رحمه الله تعالى أنهما يقولان بهذا القول فهو قول مردود يخالف ما عليه سلف الأمة ولكن كما سمعت هكذا يكون مراد شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم أنهم يقصدون نار الموحدين

حتى أن ابن القيم رحمه الله تعالى في حادي الأرواح بعد أن ذكر الأقوال والأدلة وناقشها قال إن قيل إلى أين انتهى قدمك في هذه المسألة العظيمة قال قيل إلى قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧].

هكذا في "حادي الأرواح" ولكن في "الوابل الصيب" صرح بأن الجنة والنار لاتفنيان وأن الذي يفنى هو نار عصاة الموحدين وكما سمعت بأنه حتى وإن ثبت هذا فإنه قول مرجوح ومما استدل به ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله تعالى ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، إلا أنه في شفاء العليل إستدل بهذه الآية في حق أهل النار وقد نبه أهل العلم أن هذا وهم منه فإنها في حق أهل الجنة.

---

(١) [وما أشار إليه الشيخ الألباني هو" شرح العقيدة الطحاوية" الصفحة ٤٢٤، ثم قام بالتعليق على رسالة " رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار " للعلامة الأمير الصنعاني وقد طبعت بعناية المكتب الإسلامي].

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود :١٠٨]، قاله سبحانه في حق أهل الجنة وفي حق أهل النار فهذا يدل على أنهم فيها يخلدون ويؤتى بالموت فيذبح بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت هذا مما يدل على دوامها وعدم فنائها الجنة وهكذا النار (١).

والذي ينبغي أن يعلم أن الجنة في أعلى عليين في السماء السابعة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وأما النار فهي في أسفل سافلين في الأرض السفلى. ، كما جاء في حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: « اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ". ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

قال الله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾، وهذا هو أحسن الأقوال في بيان مكان الجنة والنار وماعدى ذلك من الأقوال فإنه لادليل عليه (٢).

---

(١) انظر شرح ابن مانع على الطحاوية (١٤٧ ـ ١٥١)، وتعليق الألباني (١٥١ ـ ١٥٣)، ضمن الرياض الندية، وشرح ابن أبي العز (٦٥٣ ـ ٦٦٠).

(٢) انظر حادي الأرواح(١/ ٥٦-٦٥).ط. دار عالم الفوائد.

وفي هذه الفقرة و«و أنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا»:

لما جاء من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا». متفق عليه[(١)].

فهذا يدل على أنه خلق للجنة خلقا فضلا منه وإحسانا وجعل منهم إلى النار عدلا منهم ليس ظلما ولا جبرا وإنما بسبب أعمالهم وكفرهم وجاء عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِيَدِهِ عُودٌ، فَنَكَتَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا، اعْمَلُوا وَلَا تَتَّكِلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» . ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾،[الليل: ٦].رواه ابن ماجة[(٢)].

والحديث متفق عليه عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء عن جماعة آخرين كسراقة بن مالك وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

---

(١) البخاري(٤٨٥٠)،مسلم(٢٨٤٦).

(٢) ابن ماجة (٧٨) ، وأصله في البخاري (٤٩٤٥).

وأما قوله: «وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا "قَدْ" فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ»: هذا هو لفظ حديث صححه الألباني رحمه الله تعالى، لما جاء عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَرَغَ اللهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَأَثَرِهِ وَمَضْجَعِهِ» [(١)].

وهذا متعلق بباب القدر وقد تقدم لنا في مامضى أن المؤلف رحمه الله تعالى كرر الكلام على القدر في غير ما موضع ولم يجعله في مكان واحد ولا تنافي بين هذا وبين ماعليه أهل السنة والجماعة أن العباد لهم مشيئة وإرادة فإن مشيئتهم خاضعة لمشيئة الله تعالى وأن القدر علم الله تعالى.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ : « وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ"»: وهذه الفقرة أراد المؤلف فيها الرد على المعتزلة القدرية النفاة نفاة الأفعال والرد على الجبرية الذين هم الجهمية والأشاعرة فإن المعتزلة هم الذين يخرجون أفعال العباد عن مشيئة الله تعالى وعن خلق الله تعالى فمنهم من يقول الله لا يخلق أفعال العباد ومنهم من يقول الله يخلق الخير والعبد يخلق الشر [(٢)].

وأما الجبرية فهم الذين أنكروا الأسباب أثبتوا القدر وقالوا العبد مجبور ليس له إرادة ولا مشيئة فبين هنا وقال الخير والشر مقدران على العباد كما أن الله تعالى خلق الخير فهو الذي خلق الشر ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]، وإنما الشر من العباد بسبب أنفسهم قال الله تعالى ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾، [النساء: ٧٩] .

---

(١) ابن حبان (٦١٥٠)، صحيح لغيره ـ (الظلال(٣٠٤) .

(٢) انظر شرح الفوزان (٢٠٦ ـ ٢٠٧)، التعليقات المختصرة، وشرح البراك (٣٢٥).

قوله ﴿ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ أي بسبب نفسك وإلا فإن الله تعالى هو خالق العباد وأفعالهم، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]، قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأنفال: ١٧].

فالله تعالى خلق الخير والشر لحكمة إقتضت ذلك ولهذا قال تعالى:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فالله تعالى خلق الخير والشر.

وما جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» ، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي» ، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» ، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» [(١)]. رواه مسلم

---

(١) مسلم (٧٧١).

قوله: " والشر ليس إليك " فمعناه أن الشر ليس من أفعال الله تعالى، ولكنه من مخلوقاته ومفعولاته ومعناه أيضا أن الشر لا يتقرب به إلى الله تعالى ولا يصعد إلى الله تعالى، وليس معناه أن الله تعالى لا يخلق الشر فإن إبليس الرجيم هو رأس الشر ومع ذلك خلقه الله تعالى، لكن لحكمة عظيمة خلق الله تعالى إبليس وخلق الكفرة وأفعالهم.

الاستطاعة

قال الطحاوي رحمه الله :

وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يُوصَفُ الْمَخْلُوقُ بِهِ وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لا يجوز أن يُوصَفُ الْمَخْلُوقُ بِهِ - تَكُونُ مَعَ الْفِعْلِ. وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ، وَالتَّمْكِينِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ - فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[البقرة: ٢٨٦].

الشرح

هذه الفقرة ذكر المؤلف رحمه الله تعالى فيها الإستطاعتين فهناك إستطاعتان والمبتدعة منهم من أخذ بالاستطاعة الأولى وترك الثانية ومنهم من أخذ بالثانية وترك الأولى فالإستطاعة الأولى هي التي تكون قبل الفعل والإستطاعة الثانية هي التي تكون مع الفعل، والفرق بينهما من وجوه :

١ـ أن هذه قبل الفعل يعني انسان يكون عنده صحة وتمكن وآلاته سليمه وجوارحه صحيحة إذا هذا عنده إستطاعة قبل أن يكلف بشيء من الأفعال.

٢ ـ تكون مع الفعل بعد أن يقدر الله تعالى له ذلك كونا ويؤمر به شرعا فالإستطاعة التي يقوم بها بالفعل مع الفعل هي النوع الثاني.

٣ ـ أن الإستطاعة التي قبل الفعل المراد بها صحة الجوارح وإرتفاع الموانع وأما التي تكون مع الفعل فالمراد بها التوفيق إلى الطاعة والخذلان عن المعصية.

٤ ـ أن المقصود بالاستطاعة قبل الفعل هي الإستطاعة الصحيحة وضدها العجز فلو أن إنسان أبكم أصم أعرج مريض هذا ليس عنده استطاعة لاقبل الفعل ولا مع الفعل في كثير

من العبادات إذا فهي الإستطاعة الصحيحة ضدها العجز وأما التي مع الفعل فتسمى الاستطاعة الحقيقية وضدها الخذلان.

٥ ـ أنه لايلزم من وجودها وجود الفعل التي قبل الفعل وأما التي مع الفعل فإنه يلزم من وجودها وجود الفعل

٦ ـ أن الاستطاعة قبل الفعل بها يتعلق الخطاب وصاحبها هو صاحب التكليف فالعاقل المسلم البالغ السليم هو الذي يكلف بكثير من التكاليف هذه هي الإستطاعة التي تكون قبل الفعل.

وأما النوع الثاني التي بعد الفعل أو مع الفعل فهي مناط القضاء والقدر وهي صفة تعود إلى الله تعالى فهو الذي يوفق من يشاء الاستطاعة بمعنى التوفيق يوفق من يشاء لأداء هذا الواجب ولترك هذه المعصية هذه هي الاستطاعة الثانية.

فالنوع الأول: الذي هو الاستطاعة قبل الفعل هذه قال بها المعتزلة والقدرية، بمعنى أنّ العبد يخلق فعله وهو المستطيع والله تعالى لاعلاقة له بأفعال العباد.

والنوع الثاني: قال به الأشاعرة وهي الاستطاعة مع الفعل فالعبد إذا قام وصلى فهذا شيء خلقه الله تعالى فيه لكن هو ما عنده استطاعة.

والحق بينهما لأهل القبلة فالاستطاعة تكون قبل الفعل وتكون مع الفعل بمعناه العبد له استطاعة والموفق هو الله تعالى، هذا معنى هذا الكلام، العبد له استطاعة وقدرة ومشيئة والله عزوجل هو الذي يوفقه لأداء الواجبات هذا معناه أما أن يقال عنده استطاعة قبل الفعل فقط وأما بعد الفعل فلا علاقة له بذلك هذا قول المعتزلة والقدرية.

وأما الذين يقولون ليس عنده استطاعة قبل الفعل إنما جاءت الاستطاعة عند الفعل فهم الأشاعرة الجبرية الذين يقولون مثلا لو أن إنسانا ذبح كبشا إذا الإنسان ماهو الذي ذبح الكبش إنما لما التقى السكين مع رقبة الكبش انقطعت الرقبة أما الإنسان ماله إرادة في هذا.

إذن الاستطاعة تكون مع الفعل فقط عندهم بمعنى أن الإنسان مجبور، ولهذا يقول هنا والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل يعني معناه التوفيق والإعانة من الله تعالى وليست إلى العبد.

وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب يعني مثلا لو أن إنسانا مستطيع قادر ليس عنده أمراض ولا أسقام نقول هنا هو مستطيع للحج لكن إذا جاء الحج ما وفقه الله تعالى لأداء الحج نقول هنا ذهبت عنه الاستطاعة مع الفعل، وإن كان قبل الفعل هو مستطيع و مكلف و مخاطب وأيضا.

مثلا في باب الصلاة المسلم إذا دخل وقت الصلاة وجب على المكلف أن يصلي لأن عنده الاستطاعة لكن عند الأداء الصلاة ووقت التنفيذ يكون بحسبه فمن استطاع أن يصلي قائما صلى ومن لم يستطع فقاعدا ومن لم يستطع فعلى جنب.

إذن فالنوع الثاني الاستطاعة مع الفعل مردها إلى الله تعالى والاستطاعة قبل الفعل قد تكون عند العبد فيوجه إليه الخطاب(١).

وقد بين شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى هذه المسألة بيانا شافيا كافيا كما في مجموع الفتاوى ولعلنا نقرأه في الدرس القادم إن شاء الله حتى لايطول علينا الدرس، هناك كلام طويل يوضح هذه المسألة وهي مسألة الإستطاعة وهي مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، ﴾[آل عمران: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التَّغَابُنِ: ١٦].

وأيضا لحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا» ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا

---

(١) انظر شرح الفوزان (٢٠٧).

ثلاثًا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»[(١)]. رواه مسلم

نعم هذه المسألة مأخوذة من هذه الأدلة والباقي نجعله في الدرس القادم بإذن الله تعالى، وعدنا بالأمس أننا سنقرأ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في شرح هذا المعنى يقول رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧١ - ٣٧٦):

قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ فِي " اسْتِطَاعَةِ الْعَبْدِ " هَلْ هِيَ مَعَ فِعْلِهِ أَمْ قَبْلَهُ؟ وَجَعَلُوهَا قَوْلَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ فَقَوْمٌ جَعَلُوا الِاسْتِطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ فَقَطْ وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَى مُثْبِتَةِ الْقَدَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَصْحَابِنَا ـ (قلت أي من الحنابلة) ـ وَغَيْرِهِمْ. ـ (قلت هؤلاء هم الجبرية وهم لا يثبتون للعبد إرادة ولا مشيئة) ـ.

وَقَوْمٌ جَعَلُوا الِاسْتِطَاعَةَ قَبْلَ الْفِعْلِ وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى النُّفَاةِ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَالشِّيعَةِ ـ (قلت فقالوا هو له إرادة ومشيئة ولا دخل لمشيئة الله وإرادته في إرادة العبد) ـ وَجَعَلَ الْأَوَّلُونَ الْقُدْرَةَ لَا تَصْلُحُ إلَّا لِفِعْلٍ وَاحِدٍ إذْ هِيَ مُقَارِنَةٌ لَهُ لَا تَنْفَكُّ عَنْهُ وَجَعَلَ الْآخَرُونَ الِاسْتِطَاعَةَ لَا تَكُونُ إلَّا صَالِحَةً لِلضِّدَّيْنِ وَلَا تُقَارِنُ الْفِعْلَ أَبَدًا وَالْقَدَرِيَّةُ أَكْثَرُ انْحِرَافًا؛ فَإِنَّهُمْ يَمْنَعُونَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْفِعْلِ قُدْرَةٌ بِحَالِ فَإِنَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمُؤَثِّرَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْأَثَرِ لَا يُقَارِنُهُ بِحَالِ سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْأَمْرُ.

وَالصَّوَابُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ: أَنَّ الِاسْتِطَاعَةَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْفِعْلِ وَمُقَارِنَةٌ لَهُ أَيْضًا وَتُقَارِنُهُ أَيْضًا اسْتِطَاعَةٌ أُخْرَى لَا تَصْلُحُ لِغَيْرِهِ. فَالِاسْتِطَاعَةُ " نَوْعَانِ ": مُتَقَدِّمَةٌ صَالِحَةٌ لِلضِّدَّيْنِ، وَمُقَارِنَةٌ لَا تَكُونُ إلَّا مَعَ الْفِعْلِ فَتِلْكَ هِيَ الْمُصَحِّحَةُ لِلْفِعْلِ الْمُجَوِّزَةُ لَهُ وَهَذِهِ هِيَ الْمُوجِبَةُ لِلْفِعْلِ الْمُحَقِّقَةُ لَهُ.

---

(١) مسلم (١٣٣٧).

(قلت: فالذي عنده استطاعة يتوجه إليه الخطاب فيكون في حقه التكليف فإذا وجب الفعل فالذي عنده الاستطاعة يقوم به والذي لايستطيع يسقط عنه كما تقدم في الصلاة المكلف مخاطب بالصلاة فإذا حان وقت الصلاة وجبت الصلاة على هذا المكلف فمن الناس من يستطيع أن يقوم بها على أكمل وجه ومن الناس من يكون معذورا فيصلي قاعدا أو على جنب أو بتيمم بدل الطهارة أو فاقد الطهورين وهكذا).

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْأُولَى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]. (قلت: إذا هذه الإستطاعة متى هي قبل الحج الحج هذا لايكون واجبا إلا على من وجدت عنده الاستطاعة).

وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الِاسْتِطَاعَةُ لَا تَكُونُ إلَّا مَعَ الْفِعْلِ لَمَا وَجَبَ الْحَجُّ إلَّا عَلَى مَنْ حَجَّ(قلت فتكون المسألة فيها دوران)، وَلَمَا عَصَى أَحَدٌ بِتَرْكِ الْحَجِّ (قلت: يعني معناه قلنا هذه الإستطاعة مع الفعل إذا لايجب الحج إلا على من كان في أيام الحج في الحج أما قبل أن يذهب للحج فلا يجب عليه)، وَلَا كَانَ الْحَجُّ وَاجِبًا عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ الْإِحْرَامِ بِهِ؛ بَلْ قَبْلَ فَرَاغِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[التَّغَابُنِ: ١٦] فَأَمَرَ بِالتَّقْوَى بِمِقْدَارِ الِاسْتِطَاعَةِ وَلَوْ أَرَادَ الِاسْتِطَاعَةَ الْمُقَارِنَةَ لَمَا وَجَبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ التَّقْوَى إلَّا مَا فَعَلَ فَقَطْ إذْ هُوَ الَّذِي قَارَنَتْهُ تِلْكَ الِاسْتِطَاعَةُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا ﴾و " الْوُسْعُ " الْمَوْسُوعُ وَهُوَ الَّذِي تَسَعُهُ وَتُطِيقُهُ فَلَوْ أُرِيدَ بِهِ الْمُقَارِنُ لَمَا كُلِّفَ أَحَدٌ إلَّا الْفِعْلَ الَّذِي أَتَى بِهِ فَقَطْ دُونَ مَا تَرَكَهُ مِنْ الْوَاجِبَاتِ. ....وَنَظَائِرُ هَذَا مُتَعَدِّدَةٌ فَإِنَّ كُلَّ أَمْرٍ عُلِّقَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وُجُوبُهُ بِالِاسْتِطَاعَةِ، وَعَدَمُهُ بِعَدَمِهَا لَمْ يُرِدْ بِهِ الْمُقَارَنَةُ وَإِلَّا لَمَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَوْجَبَ الْوَاجِبَاتِ إلَّا عَلَى مَنْ فَعَلَهَا وَقَدْ أَسْقَطَهَا عَمَّنْ لَمْ يَفْعَلْهَا فَلَا يَأْثَمُ أَحَدٌ بِتَرْكِ الْوَاجِبِ الْمَذْكُورِ.

وَأَمَّا " الِاسْتِطَاعَةُ الْمُقَارِنَةُ الْمُوجِبَةُ " فَمِثْلُ قَوْله تعالَى ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾، فَهَذِهِ الِاسْتِطَاعَةُ هِيَ الْمُقَارِنَةُ الْمُوجِبَةُ إذْ الْأُخْرَى لَا بُدَّ مِنْهَا فِي التَّكْلِيفِ. " فَالْأُولَى " هِيَ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَعَلَيْهَا يَتَكَلَّمُ الْفُقَهَاءُ وَهِيَ الْغَالِبَةُ فِي عُرْفِ النَّاسِ.

(قلت: هذا من الفوارق أيضا أن التي قبل الفعل هي الشرعية الإستطاعة الشرعية والتي مع الفعل هي الاستطاعة الكونية القدرية)

وَ " الثَّانِيَةُ ": هِيَ الْكَوْنِيَّةُ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَبِهَا يَتَحَقَّقُ وُجُودُ الْفِعْلِ فَالْأُولَى لِلْكَلِمَاتِ الْأَمْرِيَّاتِ الشَّرْعِيَّاتِ وَ " الثَّانِيَةُ " لِلْكَلِمَاتِ الْخَلْقِيَّاتِ الْكَوْنِيَّاتِ. كَمَا قَالَ: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾[التحريم: ١٢].

وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي قُدْرَةِ الْعَبْدِ عَلَى خِلَافِ مَعْلُومِ الْحَقِّ أَوْ مُرَادِهِ

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ قَادِرًا بِالْقُدْرَةِ الْأُولَى الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْفِعْلِ فَإِنَّ اللهَّ قَادِرٌ أَيْضًا عَلَى خِلَافِ الْمَعْلُومِ وَالْمُرَادِ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ قَادِرًا إلَّا عَلَى مَا فَعَلَهُ وَلَيْسَ الْعَبْدُ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ ـ (قلت: فقد يكون العبد قادرا مستطيعا قبل الفعل فإذا فرض عليه الفعل لم يستطع معناه لم يقدر الله له ذلك) ـ بِالْقُدْرَةِ الْمُقَارِنَةِ لِلْفِعْلِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إلَّا مَا عَلِمَ اللهَّ كَوْنَهُ وَأَرَادَ كَوْنَهُ فَإِنَّهُ مَا شَاءَ اللهَّ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحَوَارِيِّينَ: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾[المائدة: ١١٢].

إنَّمَا اسْتَفْهَمُوا عَنْ هَذِهِ الْقُدْرَةِ وَكَذَلِكَ ظَنَّ يُونُسُ ﴿ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾[الأنبياء: ٨٧].[أَيْ فُسِّرَ] بِالْقُدْرَةِ كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ؛ هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا؟ أَيْ هَلْ تَفْعَلُهُ؟ وَهُوَ مَشْهُورٌ فِي كَلَامِ النَّاسِ.

وَلَمَّا اعْتَقَدَتْ الْقَدَرِيَّةُ أَنَّ الْأُولَى ـ (قلت الاستطاعة قبل الفعل) ـ كَافِيَةٌ فِي حُصُولِ الْفِعْلِ وَأَنَّ الْعَبْدَ يُحْدِثُ مَشِيئَتَهُ جَعَلَهُ مُسْتَغْنِيًا عَنْ اللَّهِ حِينَ الْفِعْلِ كَمَا أَنَّ الْجَبْرِيَّةَ لَمَّا اعْتَقَدَتْ أَنَّ الثَّانِيَةَ مُوجِبَةٌ لِلْفِعْلِ وَهِيَ مِنْ غَيْرِهِ رَأَوْهُ مَجْبُورًا عَلَى الْفِعْلِ وَكِلَاهُمَا خَطَأٌ قَبِيحٌ.

(قلت: وخلاصة هذا أن الجبرية هم الذين يرون الاستطاعة مع الفعل أي أن الانسان مجبور على فعله والمعتزلة القدرية هم الذين أثبتوا الاستطاعة قبل الفعل فقط أي أنهم جعلوا الأمور موكولة إلى مشيئة العبد وأن الله لا دخل له في أفعال العباد هذا خلاصته).

فَإِنَّ الْعَبْدَ لَهُ مَشِيئَةٌ وَهِيَ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، (قلت: والحق بين هذا وهذا أن العبد له مشيئة وهي قبل الفعل وبعد الفعل وله إرادة ولكن خاضعة لمراد الله تعالى).

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْعَبْدَ مُرِيدًا مُخْتَارًا شَائِيًا امْتَنَعَ أَنْ يُقَالَ هُوَ مَجْبُورٌ مَقْهُورٌ مَعَ كَوْنِهِ قَدْ جُعِلَ مُرِيدًا. وَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ لِنَفْسِهِ الْمَشِيئَةَ فَإِذَا قِيلَ هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ مُضْطَرٌّ إلَى أَنْ يَشَاءَ فَهَذَا لَا نَظِيرَ لَهُ

وَلَيْسَ هُوَ الْمَفْهُومَ مِنْ الْجَبْرِ بِالِاضْطِرَارِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إلَّا اللَّهُ. وَلِهَذَا افْتَرَقَ الْقَدَرِيَّةُ وَالْجَبْرِيَّةُ عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ وَكِلَاهُمَا مُصِيبٌ فِيمَا أَثْبَتَهُ دُونَ مَا نَفَاهُ فَأَبُو الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيُّ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ يَزْعُمُونَ: أَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يُحْدِثُ أَفْعَالَهُ وَتَصَرُّفَاتِهِ: عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ وَأَنْ جَحْدَ ذَلِكَ سَفْسَطَةٌ. وَابْنُ الْخَطِيبِ (قلت هو الفخر الرازي)ـ وَنَحْوُهُ مِنْ الْجَبْرِيَّةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِلْمَ بِافْتِقَارِ رُجْحَانِ فِعْلِ الْعَبْدِ عَلَى تَرْكِهِ إلَى مُرَجِّحٍ مِنْ غَيْرِ الْعَبْدِ ضَرُورِيٌّ؛ لِأَنَّ الْمُمْكِنَ الْمُتَسَاوِيَ الطَّرَفَيْنِ لَا يَتَرَجَّحُ أَحَدُ طَرَفَيْهِ عَلَى الْآخَرِ إلَّا بِمُرَجِّحٍ وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ صَحِيحٌ؛ لَكِنَّ دَعْوَى اسْتِلْزَامِ أَحَدِهِمَا نَفْيَ الْآخَرِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

(قلت يعني الجبرية يثبتون الإستطاعة بعد الفعل وينفون ما عداها والمعتزلة يثبتون الاستطاعة قبل الفعل وينفون ما عداها ويقولون إثباتنا يلزم منه نفي ضده والصحيح إثبات الأمرين وأنه لا تناقض) .

فَإِنَّ الْعَبْدَ مُحْدِثٌ لِأَفْعَالِهِ كَاسِبٌ لَهَا وَهَذَا الْإِحْدَاثُ مُفْتَقِرٌ إلَى مُحْدِثٍ فَالْعَبْدُ فَاعِلٌ صَانِعٌ مُحْدِثٌ وَكَوْنُهُ فَاعِلًا صَانِعًا مُحْدِثًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَاعِلٍ كَمَا قَالَ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[التكوير: ٢٨] فَإِذَا شَاءَ الِاسْتِقَامَةَ صَارَ مُسْتَقِيمًا ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩] .

فَمَا عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ كُلُّهُ حَقٌّ؛ وَلِهَذَا كَانَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ وَالْعَبْدُ فَقِيرٌ إلَى اللَّهِ فَقْرًا ذَاتِيًّا لَهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ مَعَ أَنَّ لَهُ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَأَفْعَالًا فَنَفْيُ أَفْعَالِهِ كَنَفْيِ صِفَاتِهِ وَذَاتِهِ وَهُوَ جَحْدٌ لِلْحَقِّ شَبِيهٌ بِغُلُوِّ غَالِيَةِ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ هُوَ الْحَقَّ أَوْ جَعْلُ شَيْءٍ مِنْهُ مُسْتَغْنِيًا عَنْ اللَّهِ أَوْ كَائِنًا بِدُونِهِ جحد لِلْحَقِّ شَبِيهٌ بِغُلُوِّ الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وَقَالَ إنَّهُ خَلَقَ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا الْحَقُّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. انتهى كلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وهذا خلاصة ما تقدم[١] .

(١) وانظر حاشية الألباني (١٥٤ ـ ١٦٠) ضمن الرياض الندية.

أفعال العباد

قال الطحاوي رحمه الله :

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللَّهِ وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ

الشرح

وهذه العبارة أيضا هي رد على الطائفتين رد على الذين يقولون أفعال العباد يخلقها العباد وهم المعتزلة القدرية الذين يثبتون الاستطاعة قبل الفعل فيقولون العبد يخلق فعله فأفعال العباد خلق الله رد عليهم قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]

« وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ»: هذا أيضا فيه رد على الجبرية الذين يقولون العبد مجبور ليس له إرادة ولا مشيئة إنما هو كالريشة في مهب الرياح والصحيح أن العبد يثبت له فعل وأما ما استدلوا به من قول الله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا رد عليهم فإن الله أثبت لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رمى أثبت له الفعل وإنما الذي ما حصل هو الإصابة فالتوفيق من الله تعالى.

ثم إن أفعال العباد كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره تنقسم إلى قسمين :

١ ـ أفعال اختارية وهي التي تتعلق بمشيئة العبد وهي الاستطاعة المتقدمة من القيام بالعبادات وترك المنكرات وهكذا من فعل المعاصي والسيئات فهذه كلها من الأفعال الاختيارية التي يختارها العبد.

٢ ـ أفعال اضطرارية ليس للعبد دخل فيها قالوا كحركة المرتعش ونبضات القلب وغير ذلك لا يجد العبد من نفسه قدرة على الإتيان بها أو منعها والكلام في هذا الموضع على الأفعال الاختيارية[١].

والأفعال الاختيارية هي خلق من الله وكسب من العباد إلا أن هذه العبارة (وكسب من العباد)شبيهة بقول الأشاعرة فإن الكسب إشتهر أنه من عبارات الأشاعرة التي أنكرها عليهم أهل العلم[٢].

فالجبرية انقسموا إلى قسمين غلاة وهم الجهمية الذين يقولون العبد مجبور ليس له إرادة ظاهرا ولا باطنا.

والقسم الثاني الأشاعرة وهم الذين يقولون العبد في الظاهر له إرادة وفي الحقيقة والباطن ليس له إرادة وإنما هو محل الكسب، ومعنى محل الكسب كما تقدم في درس ماضي قالوا كما لو أنك أخذت سكينا وأردت أن تقطع لحما إذا اللحم انقطع عند أن إلتقى بالسكين السكين ما قطع اللحم إنما هو محل الكسب، لكنه قطع اللحم عند إلتقائه بالسكين بإرادة الله عزوجل أما أنت والسكين فلا دخل لذلك فيه، وهذا معنى الكسب.

وهكذا إذا فعل الإنسان طاعة إنما عند أن حصل الاقتران حصل حصلت الطاعة أو عندما فعل معصية عندما حصل الاقتران بها حصلت تلك المعصية إذا فالإنسان إنما هو محل للكسب ليس له إرادة ولا مشيئة في الحقيقة وقولهم باطل يرجع إلى قول الجبرية الغلاة وإنما كان الخلاف في الظاهر فلهذا قال أهل العلم الأولى لمن كتب في العقيدة أن يبتعد عن مثل هذا اللفظ لأن هذا اللفظ من ألفاظ الأشاعرة أي لفظة الكسب ولهذا يقولون من الأشياء التي لا

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٦٧٩) مع الحاشية، وانظر شرح صالح آل الشيخ على الطحاوية (٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥)، ط:مكتبة دار الحجاز.

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٦٧٩)، وشرح البراك (٣٣٠).

معنى لها طفرة النظام وكسب الأشعري وقد عبر بمثل هذه العبارة ابن قدامة في اللمعة حيث قال: (فدل على أن للعبد فعلا وكسبا) [١].

وتقدم الكلام عند ذلك الموضع ولكن مراد الطحاوي رحمه الله تعالى في هذا الموضع ليس مراده مراد الأشاعرة، وإن كان هذا اللفظ منتقد وإنما يقال أفعال العباد مخلوقة لله عزوجل ولهم إرادة ومشيئة وهي خاضعة لمشيئة الله تعالى وإرادة الله تعالى.

---

(١) (١١٢) ط: دار عمر بن الخطاب، مع شرح العثيمين.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ. وَهُوَ تَفْسِيرُ"لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ". نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ.

الشرح

قال رَحِمَهُ اللهُ : «وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ»: هذا صحيح أن الله تعالى ماكلف العباد فوق طاقتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الْحَجِّ: ٧٨]. وجاء من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(١). رواه البخاري.

وكل أدلة رفع الحرج تدل على أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون ولهذا قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

بل إن الله عزوجل أمر العباد بكثير من العبادات وهي دون طاقتهم فإنهم يطيقون أكثر من ذلك.

(١) البخاري (٣٩).

قوله: « وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ»: هذا مما انتقد على المؤلف، فإن العباد كما سمعت يطيقون أكثر مما كلفهم فعلى سبيل المثال في الصلاة كلف الله تعالى العباد بخمس صلوات مع أنهم قادرون أن يصلوا عشرا أو أكثر أو أقل والعباد يطيقون أكثر مما كلفهم ولكن من رحمته سبحانه وتعالى أن كان تكليفه لهم على سبيل اليسر والتخفيف.

وكثير من الشراح إنتقد هذه العبارة كابن أبي العز في شرحه والشيخ ابن مانع وأيضا نبه على هذه الفقرة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى فقال: (هذا غير صحيح بل المكلفون يطيقون أكثر مما كلفهم به سبحانه ولكنه عز وجل لطف بعباده ويسر عليهم ولم يجعل عليهم في دينهم حرجا فضلا منه وإحسانا والله ولي التوفيق).

وهكذا نبه على ذلك الشيخ الألباني رحمه الله تعالى والشيخ الفوزان حفظه الله تعالى قال الشيخ الفوزان : (هذا فيه نظر؛ بل يطيقون أكثر مما كلفهم، ولكن الله يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فالله وضع عنهم المشقة، وشرع لهم الدين اليسر، ونهاهم عن الزيادة على الاعتدال، فلا يجوز للإنسان أن يصلي كل الليل، وكذلك لا يجوز له ترك الزواج، قال عليه الصلاة والسلام: "أما أنا فأصلي وأنام وأتزوج النساء وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني" ، فالله لا يكلف ما يشق عليهم، والله لو كلفهم لأطاقوا، ولكن لا يرضى لهم المشقة والعسر)

والطاقة هنا المقصودة في هذا الموضع هي التي تكون بمعنى التوفيق ليست التي من جهة الصحة وسلامة الآلات وإنما التي تكون من باب التوفيق[(١)].

وقوله رحمه الله تعالى :«وَهُوَ تَفْسِيرُ"لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ". نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٦٩٦) والرياض الندية (١٦١ ـ ١٦٣) ، وشرح البراك (٣٣١) وشرح الفوزان (٢١١)..

إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ.»: وفي هذا إرجاع الأمور إلى الله تعالى سبحانه وتعالى وأن الأمور بيده سبحانه وتعالى فهو الذي يوفق من يشاء وهو الذي يهدي من يشاء وهو الذي يعصم من يشاء ويخذل من يشاء سبحانه وتعالى.

فلا قوة للعبد في قيام طاعة الله تعالى إلا بالله ولا قوة للعبد بالبعد عن معصيته إلا بالله العلي العظيم، فالأمر كله له أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وإذا علم العبد ذلك كان الواجب عليه أن يتضرع إلى ربه ويلجأ إليه في السراء والضراء والشدة والرخاء وأن يتبرأ من حوله وقوته يتبرأ من حوله وقوته ويظهر ضعفه ويعترف بعجزه ويكل أموره إلى الله تعالى.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا. يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا. [تقدس عن كل سوء وحين وتنزه عن كل عيب وشين] ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٣] .

الشرح

وهذا رجوع من المؤلف رحمه الله تعالى إلى مسألة الإيمان بالقدر وقد أكثر الطحاوي من الكلام على هذه المسألة في كتابه ولكنه لم يرتب هذا الباب في مكان واحد أو هذا الموضوع في باب واحد وإنما كرره في مواضع متعددة ولو جعله في باب واحد لكان أحسن كما صنع شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في الواسطية.

وكلام المؤلف عند هذه الفقرة المراد بالقضاء الكوني وليس القضاء الشرعي والحكم الكوني أيضا وليس الشرعي فهو الذي ينفذ في العباد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه كما تقدم في كلام المؤلف، وأما القضاء الشرعي والإرادة الشرعية فإن العباد منهم من يقوم بها ومنهم من يتمرد ويعرض ويترك ما أراد الله منه شرعا.

قوله: «غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا»: المراد هنا الكونية

قوله: «وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا» ومعنى ذلك مهما فعل واحتال وقدم أو أخر فإنه لايمكن أن يخرج عن قضاء الله تعالى وقدره الكوني.

قوله [تقدس عن كل سوء وحين وتنزه عن كل عيب وشين] ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٣] . وقد جاءت الأدلة الكثيرة التي بين الله تعالى أنه لايظلم

عباده ومنها ما جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١). رواه مسلم

ولهذا لا يجوز أن يقول العبد في دعائه اللهم أظلم فلانا كما ظلمني فإن الله تعالى حرم على نفسه الظلم، قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، أي وماربك بذي ظلم فليست على ظاهرها صيغة مبالغة، وهكذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[غافر: ١٧]، وقال تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۞ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٢٨-٣٠].

وقال تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(١) مسلم (٢٥٧٧).

ولو أن الله تعالى عذب أهل السموات والأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم كما جاء في الحديث[١] بسبب ذنوبهم ،وهو يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى فمن هداه ووفقه فضلا منه واحسانا ومن أضله سبحانه فعدلا منه كما تقدم معنا في كلام الطحاوي بقوله: «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا».

فمن وفق فبفضل الله ومن خذل فبعدله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا وليس بظلام للعبيد كما هو مذكور في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يوصف الله تعالى به فإنه صفة ذميمة حرمها الله تعالى على نفسه.

قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٣]: وقد تقدم الكلام على هذا وأنه يترك الخوض ولا يجوز الخوض في علم الغيب وفي باب القدر كما تقدم فمن سأل لما فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين وإنما على العباد العمل بما جاء في شرع الله تعالى والتطبيق لأوامره سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر صحيح الجامع (٥٢٤٤).

الصدقة و الدعاء للأموات

قال الطحاوي رحمه الله :

وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ

الشرح

نقل شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وهكذا النووي الإجماع وهكذا نقله ابن ابي العز في شرحه على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

الأول :ماتسبب إليه الميت في حياته.

والثاني:دعاء المسلمين وإستغفارهم وهو المذكور في هذا الموضع والصدقة والحج عند جمهورهم وإن كان بعضهم خالف في ذلك[١].

ولكن كما قال الطحاوي رحمه الله تعالى في كلامه، وهو من سعي الأحياء أو ماكان سببا أي السبب فيه ماكان ذلك الميت قال تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النَّجْمِ: ٣٩]، كأمر يكون هو السبب فيه.

وقوله: «وَصَدَقَاتِهِمْ»: هذا عام على الصحيح وإن كان بعضهم يخصه بالأبناء بل هو عام في الأبناء وغيرهم ،في صدقات الأحياء منفعة للأموات وما عدا ذلك حصل فيه خلاف بين الفقهاء كالصلاة والصيام وغير ذلك والصحيح أنه لا يصل شيء من ذلك وهكذا قرآءة

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٧٠٣)، وانظر أحكام الجنائز للألباني (١٧٣)، وتعليقه على الطحاوية (١٦٦ - ١٦٧)، من الرياض الندية.

القرآن الصحيح لا شيء يصل من ذلك وهو قول جماهير أهل العلم بل إنه صار من ديدن أهل البدع القرآءة للأموات ونحو ذلك.

وأما الصلاة فلا يصلي أحد عن أحد وأما الصيام فكذلك إلا ما كان من قضاء ينوب عنه من مات وعليه صوم صام عنه وليه كما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»[(١)] متفق عليه.

وإنما في الدعاء والصدقات ومن ذلك الحج كما جاء في حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: «اقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»[(٢)].

رواه الدارمي وأحمد، إلا أنهما قالا: " أن امرأة نذرت أن تحج فماتت، فأتى أخوها النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأل عن ذلك، فقال: أرأيت.. "[(٣)].

وفى أخرى لأحمد (١/ ٣٤٥): " جاء رجل إلى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن أختى نذرت أن تحج وقد ماتت.. "[(٤)].

وقد نقل ابن المبارك أيضا على أن الصدقة ليس فيها خلاف والقول بأنها عامة هو الأقرب الصدقة عن الأموات لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "

(١) البخاري (١٩٥٢)، مسلم (١١٤٧).

(٢) البخاري (٧٣١٥).

(٣) الدارمى (٢/ ٢٤) وأحمد (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٤) المسند (١/ ٣٤٥).

إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ". رواه مسلم(١).

ووهم النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين، وكذا ابن كثير في تفسيره في أواخر سورة الفرقان، فقال إذا مات ابن آدم والصواب إذا مات الإنسان وليس هذا كما سمعت خاص بالأولاد الدعاء وغيره والصدقة بل هو عام.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قَالَتْ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَالِكٌ بِسُوءٍ فَقَالَ: «لَا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ»(٢).

وقال الله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة: ١١٤].

فإنما نهي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الاستغفار للكفار وهكذا جاءت الآيات في الاستغفار لأهل الإيمان، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح: ٢٨]، وغير ذلك من الأدلة التي فيها جواز الدعاء للأموات والصدقة عنهم وما عدى ذلك فلا دليل عليه.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ : وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ: وقد أمر الله تعالى عباده بدعائه وبين أنه عبادة عظيمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

---

(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) رواه النسائي (١٩٣٥)، وهو في صحيح الجامع (٧٢٧١).

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، فجعل الدعاء هو العبادة، كما في حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]– إِلَى قَوْلِهِ – ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠][(١)] .

ويقول الله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦].

وأدلة ذلك كثيرة التي فيها إجابة دعاء العبد من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ، أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ، قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وإنما أراد المؤلف رحمه الله هنا أن يرد على بعض المبتدعة كبعض الصوفية وغيرهم الذين يقولون إنما شرع الدعاء تعبدا وليس له أثر في حصول المطلوب ولادفع المكروب ويقولون بذلك الحديث الموضوع الذي فيه (علمه بحالي يغني عن سؤالي)، قالوا لأن المطلوب إن كان حاصلا فلا فائدة في الدعاء وإن كان ممنوعا فلا فائدة في الدعاء وهذا قول باطل فالله يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ويرد عليهم ببقية الأسباب فيقال لهم لو أراد الإنسان أن يبذر في مزرعته وكل شيء بقضاء الله وقدره فيقال له لماذا تبذر فإذا أراد الله أن تنبت ستنبت ولو لم تبذر وإذا ما أراد الله أن ينبت لك زرع ما سينبت إذا لماذا تذهب وتحرث الأرض وتزرع إذا كان هذا هو الحجة سيترك الناس العمل بالأسباب في الأمور الدنيوية كلها وهذا باطل فالله تعالى أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة وبين لنا أن للإجابة أسباب ولها موانع وجعل الدعاء هو العبادة.

---

(١) الترمذي (٢٩٦٩)، وهو في المشكاة (٢٣٣٠) ، صحيح أبي داود (١٣٢٩)، وهو في الصحيح المسند .

ومن أعظم أنواع العبادة قد إستجاب الله عزوجل لأنبيائه ورسله كما هو مذكور في كتابه الكريم تجد كثير من الأنبياء دعوا ربهم في كثير من المواطن فاستجاب الله تعالى دعائهم ودافع عنهم ونصرهم ومكن لهم وهزم أعدائهم كما هو مذكور في كتابه الكريم

وهذا يرد هذا القول الباطل الذي فيه أن الدعاء لايحتاج إليه وأنه يكتفى بما هو عليه الحال وهذا باطل (١)

قوله :«وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ....إلى آخر كلامه»: وفي بعض النسخ ومن زعم أنه استغنى عن الله ،وهذا أدلته كثيرة قال الله تعالى: (له ملك السموات والأرض)،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فهو يملك الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾[الليل: ١٣]، فهو يملك كل شيء ولا يملكه شيءولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، فالناس مفتقرون إليه وبحاجة إلى رحمته وحفظه وكلايته، قال تعالى:﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١]، قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[يونس: ٢٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾[الأنبياء: ٤٢]، و قَالَ تَعَالَى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٧١٧)، وشرح البراك (٣٤١).

فالعباد بحاجة إلى ربهم سبحانه وتعالى فهو الغني الحميد وهم الفقراء الضعفاء، ومن أظهر أو زعم أنه مستغني عن الله تعالى فقد خرج عن شريعة الإسلام وكفر بالله العلي العظيم

،وقوله: «مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ»: أي من أهل الكفر وهذا ربما يحمل بعض الناس حب الدنيا والحصول عليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[العلق: ٧]، فإذا ماملك شيء من الدنيا ربما حمله ذلك على الطغيان والكبر على الله تعالى وهذا هو الكفر بعينه الذي يخرجه من دائرة الإسلام[١].

---

(١) انظر شرح الفوزان (٢٢١).

صفة الغضب

قال الطحاوي رحمه الله:

وَاللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى

الشرح

وأراد المؤلف بهذه الفقرة أن يثبت أن الله عزوجل أسماء وصفات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٨٠].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وهذه العقيدة ليست محصورة في باب من أبواب التوحيد بل هي شاملة لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات بل هي أوسع من ذلك كما مر معنا في مسائل تذكر في العقيدة، وليست من مسائل التوحيد فأراد أن يشير هنا إلى بعض صفات الله تعالى وأراد بهذا أيضا الرد على المعطلة سواء كان من الجهمية أو من المعتزلة أو من الأشاعرة الذين ينكرون صفات الله تعالى الفعلية ولايؤمنون بها فينكرون صفة الغضب والرضى والله تعالى يغضب ويرضى كما يليق بجلاله وكماله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

وأدلة ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

حديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعا: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ »(١). رواه مسلم.

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه مرفوعا: « إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا»(٢). رواه مسلم.

قال أبو إسماعيل الصابوني: وكذلك يقولون (أي: الإثبات) في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح؛ من: السمع، والبصر، والعين والرضى، والسخط، والحياة.

وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية في (الواسطية)، و (التدمرية) ببعض ما مضى على إثبات صفة الرضى لله تعالى على ما يليق به.

وهكذا بين سبحانة في كتابه في صفة الغضب قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهَّ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[النور: ٩]، وقوله قَالَ تَعَالَى:﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾[طه: ٨١]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُّ عَلَيْهِمْ ﴾[الممتحنة: ١٣].

وحديث:« إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي »(٣) متفق عليه واللفظ للبخاري.

وحديث الشفاعة الطويل، وفيه: « إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»(٤) متفق عليه.

---

(١) مسلم (٤٨٦).

(٢) مسلم (١٧١٥).

(٣) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٤) البخاري (٤٧١٢)، مسلم (١٩٤).

وقال تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[الفاتحة: ٧]، وقال تعالى:﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

وجاء في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(١). متفق عليه.

وهكذا جاءت الأدلة في إثبات صفة الغضب والرضى لله عزوجل(٢)، وهي صفة فعلية كما تليق بجلاله وكماله أما المبتدعة فالمعتزلة يقولون المراد بالغضب الانتقام والمراد بالرضى الإحسان.

وأما الأشاعرة فهم وقعوا في الحيلة فقالوا المراد بالغضب إرادة الانتقام فمعنى يغضب يريد أن ينتقم، ومعنى يرضى يريد أن يحسن فهي عندهم إرادة الإحسان، وقولهم باطل فإن الانتقام من لوازم الغضب والإحسان من لوازم الرضى وتفسير الصفة بلازمها ليس بصحيح عند أهل العلم ولكن تثبت الصفة كما يليق بجلاله وكماله، وهم يقولون في ظاهر قولهم أنهم ما أنكروا هذه الصفات إلا لتنزيه الله تعالى قالوا لأن الذي يغضب يلزم منه أن يحمر وجهه وتنتفخ أو داجه ويحصل له كما يحصل للمخلوق عند غضبه فيقال لهم إنما قلتم ذلك لعقولكم القاصرة وآرائكم الكاسدة وإلا فإن الله تعالى يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

من الذي أخبركم أن الله إذا غضب سيكون غضبه مثل المخلوق فهو يغضب غضبا كما يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى ويرضى رضى كما يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى على

---

(١) البخاري (٤٠٧٣)، مسلم (١٧٩٣).

(٢) انظر شرح ابن أبي العز (٧٢٢ ـ ٧٢٤).

من شاء من خلقه سبحانه وتعالى، فقولهم باطل فمنهم كما سمعت المعطلة الذين أنكروا هذه الصفات وسائر الصفات ولايثبتون إلا كما يسمى بالصفات العقلية التي تثبت بالعقل والأشاعرة لايثبتون إلا سبعا وهي:

حي مـريد قـــادر علام له السمع والبصر والكلام

وزادت الماتريدية صفة التكوين وقولهم باطل فقول الأشاعرة يغضب أي يريد أن ينتقم يقال لهم من أين لكم إثبات صفة الإرادة فقولكم يريد أن ينتقم معناه تثبتون له الإرادة إذا كيف تثبتون الإرادة وهي صفة فعلية وكيف تنكرون الغضب وهو صفة فعلية وتثبتون إرادة الإحسان وتنكرون الرضى فما الفرق بين الصفتين، فإن إثباتكم لصفة الإرادة يلزمكم بإثبات بقية الصفات الفعلية ولكن كما هو الحق أنه يثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تعطيل ولا تكييف ولاتمثيل ولا تشبيه.

أما المشبهة في هذا الباب والممثلة فإنهم يثبتون لكن ليس كإثبات السلف الصالح رحمهم الله وإنما يقولون يغضب كما يغضب المخلوق ويرضى كما يرضى المخلوق فيشبهون الله تعالى بخلقه تعالى الله عن قولهم علو كبيرا[١].

---

(١) انظر شرح الألباني (١٦٨)، ضمن الرياض الندية، وشرح ابن أبي العز (٧٢٢ـ٧٢٦)..

محبة الصحابة

قال الطحاوي رحمه الله :

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ

الشرح

حب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادة أمر الله تعالى بها في كتابه وأمر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته لما لهم من السابقية ولما عندهم من الأعمال الصالحة ولما بذلوا في نصرة دين الله تعالى، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في اللامية

حب الصحابة كلهم لي مذهب ومـــودة القربى بها أتوسـل

وهذا واجب المؤمن تجاه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد جاء في مواضع كثيرة من كتابه (كالفتح) أي سورة (الفتح) من أولها إلى آخرها (و) سورة (الحديد) كقوله تعالى فيها: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ - إلى قوله ـ لَا يَسْتَوِي مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾[الحديد:١٠] الآيات.

و سورة (القتال) كقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد:٣].

و سورة (الحشر) إلى آخرها، وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨ـ ١٠].

أخرج الله بهذه الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين في قلوبهم غل لهم إلى يوم القيامة، ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفيء وحرموه عليهم.

و في سورة (التوبة) وسورة (الأنفال) بكمالها تارة في الثناء عليهم وتارة في تحذيرهم من عدوهم ووصف المشركين والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم، وتارة في حثهم على الطاعة والجماعة والجهاد في سبيل الله والإثخان في الكفار والثبات لهم عند لقائهم إياهم وعدم فرارهم منهم، ووعده تعالى إياهم بالنصر على عدوهم، وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أن هداهم للإسلام وجنبهم السبل المضلة. وألف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة.

وتارة يخبرهم ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم في الدار الآخرة على قيامهم بطاعته تعالى وطاعة رسوله، وجهادهم بأموالهم في سبيله وله الحمد والمنة، وغير ذلك من سور القرآن وآياته، كما أخبر الله تعالى بقوله عز وجل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾[الفتح:٢٩].

و قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:٢٩].

وجاء في السنة عَنْ أَبِي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[(١)].

وفيها عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ "[(٢)].

---

(١) مسلم (٢٥٣١).

(٢) رواه مسلم (٢٥٣٢).

وعَنْ عَبْدِ الله مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَتَبْدُرُ يَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا، قَالَ: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا» (٢) .

وعِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» (٣) . زاد في رواية «ويحلفون ولا يستحلفون» (٤) .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ» (٥).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٩)، و مسلم (٢٥٣٣).

(٢) رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٥٣٤).

(٤) رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٥) رواه مسلم (٢٥٣٦)..

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» (١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة كتاب حاطب مع الظعينة –وفيه– فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله فدعني فلأضرب عنقه، فقال «أليس من أهل بدر» فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة»، أو «فقد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: الله ورسوله أعلم (٣).

– وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر: بضعة عشر وثلاثمائة، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن (٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٤٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٣) رواه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٤) رواه البخاري (٣٩٥٧).

- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[الفتح:١]، قال الحديبية، قال أصحابه هنيئا مريئا فما لنا. فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الفتح: ٥]، وكل هذا في (الصحيح) [(١)].

وروى الترمذي عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» : وقال الترمذي «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» [(٢)].

وهنا أراد المؤلف رحمه الله تعالى من هذا الأمر الذي ذكره أراد أن يرد على كثير من أهل البدع يرد على الرافضة الذين يفرطون في حب آل البيت حتى رفعوهم فوق منزلتهم بل يدعونهم من دون الله ويعبدونهم وبالمقابل يكفرون بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ويحكمون عليهم بالردة[(٣)]، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث متفق عليه.

وهم خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن الرافضة عندهم غلو وحبهم وغلوهم في آل البيت جعلهم يقعون في الشرك والكفر فيعتقدون أن عليا يعلم الغيب وأنه يفعل ما يفعله رب العالمين.

فيشركون بالله تعالى وهكذا التبرأ من بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم فإن هذا من عقيدة الرافضة ومن دينهم، ولهذا يقولون(لا ولاء إلا ببراء)، يعني لاتكون وليا مسلما إلا إذا تبرأت

---

(١) رواه البخاري (٤١٧٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٦/ ٤٦٤)، وصححه الألباني في ((صحيح الترمذي)).

(٣) انظر شرح ابن أبي العز (٧٢٧ـ٧٣٥)، وشرح البراك (٣٥٩)، والرياض الندية (١٦٨)، وانظر الصارم المسلول (٣/ ١٠٩٢).

من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ومعاوية وسائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فلم يبق معهم إلا العدد اليسير من آل البيت ومن كان كسلمان الفارسي ونحوه وإلا فإن الصحابة كلهم يرون أنهم إرتدوا بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذا الموضع أيضا رد على النواصب وهم الذين نصبوا العداء لآل بيت النبوة من بني أمية ومن كان على شاكلتهم فإن هذه بدعة النصب بدعة ولكن الرافضة يقولون بأن كل من لم يكن شيعي فهو ناصبي، فأهل السنة عند الرافضة يعدونهم نواصب مع أن أهل السنة يقولون النصب بدعة، ومع ذلك يتهم أهل السنة بأنهم نواصب فيستحلون دمائهم وينتهكون أعراضهم ويكفرونهم فعندهم الناصبي بمعنى السني كافر نجس يقتل ولا كرامة.

بل بعضهم يرى أن البهيمة أفضل من السني كما فعل ابن يقطين وكان وزيرا في زمن بعض خلفاء بني العباس فتولى أمر السجن فكان فيه خمس مائة مسجون وكلهم من أهل السنة في قضايا وأمور دنيوية فاحتال عليهم وهدم عليهم السجن وقتلهم أجمعين خمس مائة مسجون ثم ذهب يسأل بعض مراجعهم الرافضة بعض أئمتهم فقال له ذلك الإمام زعم قال له لوكنت أتيتني قبل أن تقتلهم يعني لكان الأمر أهون لكن مادام أنك فعلت ثم سألت فأرى أنك تكفر عن كل ناصبي تيس والتيس خير.

هكذا يرون فلهذا كانت هذه الفقرة رد عليهم ورد على الرافضة والنواصب ورد على الخوارج أيضا فإن الخوارج يكفرون عليا ومعاوية وكل من دخل في ذلك الخلاف الذي حصل بين علي ومعاوية فإن الخوارج يرونه كافرا والله تعالى يقول: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وكما جاء عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه أنكر الخوض في تلك المسائل التي لم يدركها بسيفه فكيف يخوض فيها بلسانه وهذا هو الواجب وكما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في أواخر الواسطية أنهم مجتهدون فمنهم المصيب وله أجران ومنهم من له أجر

واحد ولهم من الحسنات السابقه والتوبة الصادقة والأعمال الصالحة ما يكفر ما حصل في تلك الفتن والخلافات.

وإنما الواجب على المؤمن بعد ذلك أن يترحم عليهم ويذكرهم بالإحسان كما ذكر الطحاوي هنا والذي يسيء إليهم فهو صاحب شر وبدعة وقد يكون صاحب كفر فمن يبغض الصحابة يجب أن يبغض وأن ينفر عنه ويحذر منه ويبتعد عنه لأنه لايبغضهم صاحب عقيدة سليمة ولادين صحيح سواء أبغضهم جميعا أو بعضهم أو أفرادهم فهذا صاحب ضلالة.

وقوله: «وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ»: ذكر ابن ابي العز رحمه الله تعالى أن هذا يشكل على ما تقدم من عقيدة الطحاوي في باب الإيمان قال فإن قوله دين وإيمان وإحسان فقال الإيمان عمل القلب وليس هو التصديق قال ففيه أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ففيه رد على الطحاوي في تعريفه الإيمان في مامضى بأنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان فحسب وأخرج الأعمال عن مسمى الإيمان.

وأما هذه العبارة ففيها إشارة إلى أنه الأعمال من مسمى الإيمان إلا أنه قال ابن ابي العز أن تكون هذه التسمية هنا عبارة عن تسمية مجازية وهذا الذي عليه الطحاوي أنه لا يرى أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان فهو على طريقة أبي حنيفة رحمه الله تعالى وأبو حنيفة كما تعلمون من مرجئة الفقهاء.[١]

قوله: «وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ»: ونعم إذا كان يبغض الصحابة كلهم فهذا يدل على أنه يبغض الشريعة والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلهذا قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

(١) شرح ابن أبي العز (٧٣٤ ـ ٧٥٠).

تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

كفرهم الله تعالى وعد فعلهم تكذيب لله ولرسوله وآياته مع أنه سبوا بعض القراء إذا من أبغض الصحابة وطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم كفر بالله تعالى وهذا إذا كان على سبيل الجملة وخصوصا إذا كان يبغضهم لدينهم وصلاحهم وما عندهم من الخير وما بذلوه من نصرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا الذي أجمع عليه أهل العلم كما ذكر ذلك شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول.

هذه المسألة التي هي مسألة الصحابة يذكرها أهل العلم مع أنها ليست من باب التوحيد لكن يذكرونها في العقائد لكثرة المخالفين فيها ولأن أهل البدع خالفوا المنهج السليم من رافضة وخوارج ونواصب وهكذا بعض الأفراد ربما بعض أفراد الأمة يطعنون في بعض الصحابة كما حصل لأبي رية أنه يطعن في أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهكذا طه حسين طعن في أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا ربما بعض الفلاسفة أو بعض أهل علم الكلام يطعنون في بعض الصحابة كما طعن بعضهم في أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو عمر سليمان الأشقر وغيرهم فلهذا يذكر أهل العلم هذه المسألة في كتب العقيدة لأن الله تعالى أمر بمحبتهم وإجلالهم وإقتفاء آثارهم والإستفاده من علمهم والسير على سيرهم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١٥].

ويقول تعالى في شأن الكافرين: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى ونحن نقول عن السلف لو كان خيرا لسبقونا إليه أي ما هو من المخالفات والبدع فإن السبيل سبيلهم والطريق طريقهم ولهذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

وأهل العلم يذكرون هذا غالبا في أواخر كتب العقائد كما هو صنيع الطحاوي هنا وهكذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الواسطية، وهكذا ابن قدامة في اللمعة والصابوني في عقيدته يذكرون هذه المسائل في أواخر كتب العقائد.

الخلافة

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ

الشرح

وفي بعض النسخ(الأئمة المهتدون)، وهذه المسألة مسألة الخلافة قد أجمع أهل العلم على هذا الترتيب حتى أن شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى يقول (ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله)[(١)].

فالذي يخالف في هذا الترتيب أو يطعن في خلافة أحد منهم هذا يعتبر من الضلال المنحرفين وقد وقع في هذا الرافضة الذين لا يؤمنون بخلافة هؤلاء بل يدعون أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الوصي وأن الخلافة اغتصبت منه وهذا قول باطل[(٢)].

وأما خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أجمعت الأمة على ذلك، وهل كانت خلافته بنص من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا، اختلف أهل العلم في ذلك ولأهل السنة في ذلك قولان:

---

(١) مجموع الفتاوى (٣،١٥٣).

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٢٧٧).

القول الأول :أنها كانت بنص جلي واضح من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا قول جماعة من أهل الحديث.

القول الثاني: أنها كانت بنص خفي وإشارة وهذا جاء عن الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث وخالفت المعتزلة والأشاعرة وقالوا خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما هي باختيار الناس[(١)].

وهذا القول ليس بصحيح والصحيح أن خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت بنص ولكن لم يكن نص جلي وإنما نص خفي وإلا لما حصل الخلاف لو كان نصا واضحا جليا لما حصل الخلاف واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وقال الأنصار منا أمير ومنكم أمير إلا لأن النصوص لم تكن جلية واضحة ولكن فيها إشارات ومن تلك النصوص ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه: ((ادعي لي أبا بكر، وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[(٢)]. متفق عليه.

وهذا من النصوص التي فيها إشارة إلى خلافته.

ومنها أيضا ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((أتت امرأة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك –كأنها تقول الموت– قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لم تجديني فأتي أبا بكر"[(٣)].

(١) شرح ابن أبي العز (٧٣٦).

(٢) البخاري (٥٦٦٦)، ومسلم (٢٣٨٧).

(٣) البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

اشتمل هذا الحديث على إشارة واضحة في أن الذي يخلفه على الأمة هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث أن مواعيد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه نص على استخلاف علي والعباس. اهـ فتح الباري[١].

ومنها أيضا ما جاء عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((مرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاشتد مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢] متفق عليه

وفي رواية أخرى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: ((إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في مرضه: مروا أبا بكر يصلي بالناس قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مه إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا"[٣] متفق عليه

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣١).

(٢) البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠).

(٣) البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨).

وروى البخاري من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر)) [١].

وفي مسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ((أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضاحكا قال: فبهتنا ونحن في الصلاة من الفرح بخروج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرخى الستر قال: فتوفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يومه ذلك)) [٢].

وروى البخاري بإسناده إلى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((لم يخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما نظرنا منظرا كان أعجب إلينا من وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين وضح لنا فأومأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات)) [٣].

---

(١) البخاري (٣٦٥٤)، مسلم (٢٣٨٢).

(٢) رواه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

(٣) البخاري (٦٨١).

وهذا إشارة قوية على أنه هو الذي يستحق الإمامة بعده في الصلاة بالناس وهي الإمامة الصغرى وهو أيضا يستحق الإمامة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولما جاءت هذه النصوص اتفق الصحابة بعد ذلك وأجمعوا على أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الخليفة وفضائله أكثر من أن تحصر وهي معلومة لديكم.

وأما عمر بن الخطاب فإنما كانت خلافته بتفويض من أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوض إليه الأمر وأجمعت الأمة على ذلك لفضل عمر وأنه يستحق ذلك.

لما جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرها عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه كان يقول: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»[(١)]. قال ابن وهب: تفسير محدّثون: ملهمون

و قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((إيها يا ابن الخطاب: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك))[(٢)] وقال أيضا: ((إن الشيطان ليفرق منك يا عمر))[(٣)]

وقال: ((إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس فروا من عمر))[(٤)].

ومما جاء أيضا عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشخشة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٩) عن أبي هريرة، وفي مسلم (٢٣٩٨)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٣). من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه الترمذي (٣٦٩٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٣) (٢٣٠٣٩)، من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه الترمذي (٣٦٩١)، والنسائي (٥/ ٣٠٩). من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

بلال، ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار؟)) [(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((بينا نحن عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبرا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟)) [(٢)].

وعن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((بينا أنا نائم إذ رأيت قدحا أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم)) [(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك. وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين)) [(٤)].

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: ((استأذن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٩)، وروى مسلم شطره الأول (٢٤٥٧)..

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥)..

(٣) رواه البخاري (٧٠٠٦)، ومسلم (٢٣٩١)..

(٤) رواه البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠)..

الحجاب، فأذن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله عليه وسلم، فدخل عمر ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله. فقال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك)) [(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر)) [(٢)].

وأدلة كثيرة جدا تدل على فضل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولهذا أجمع الصحابة على تقديمه واختاره أبو بكر الصديق وهذه إحدى الطرق لاختيار الخليفة:

١ ـ منها أن يأتي في النص أنه الخليفة وهذا في أبي بكر الصديق .

٢ـ ومنها أن يختار الخليفة الأول من يكون مكانه وهذا كما حصل من أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عمر.

٣ـ ومن تلك الطرق: أن يوكل الخليفة الأمر إلى جماعة من أهل الحل والعقد والشورى فيتراجعون في ما بينهم فيختارون الخليفة.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦)..

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٩ م).

٤ـ ومن تلك الطرق أيضا أن يأخذ الخلافة بالقوة فإذا استتب له الأمر وجبت له الطاعة مادام من أهل الإسلام.

٥ـ ومنها : أن تجمع الأمة على الخليفة كما هو حال الناس في خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: وهذا لاختيار الشورى الذين وضعهم عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يتشاوروا في اختيار الخليفة وكان آخر الأمر أن اختاروا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن الأدلة على فضيلته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما جاء عن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ». رواه مسلم (١)

وعن سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ عَائِشَةَ ، وَعُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما، حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ، لَابِسٌ مِرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ: «اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ» فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله مَالِي لَمْ أَرَكَ

(١) مسلم (٢٤٠١).

فَزِعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، كَمَا فَزِعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ، إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ» رواه مسلم[(١)]

وجاء أيضا عن ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» . فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ ».[(٢)] رواه البخاري

وجاء في (الصحيح) عن عُرْوَةُ، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ - قَالَ مَعْمَرٌ أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ - فَانْصَرَفْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: " إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا

(١) مسلم (٢٤٠٢).

(٢) البخاري (٣٦٩٨).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ للهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: لا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ، كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَايَعْتُهُ، فَوَاللهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ "(١).

وفي (المسند) و (السنن) عَنْ عَمْرِو بْنِ جَاوَانَ، قَالَ: قَالَ الْأَحْنَفُ: انْطَلَقْنَا حُجَّاجًا فَمَرَرْنَا بِالْمَدِينَةِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي مَنْزِلِنَا إِذْ جَاءَنَا آتٍ فَقَالَ النَّاسُ: مِنْ فَزَعٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَصَاحِبِي، فَإِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى نَفَرٍ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَتَخَلَّلْتُهُمْ حَتَّى قُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ جَاءَ عُثْمَانُ يَمْشِي فَقَالَ: أَهَاهُنَا عَلِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَهَاهُنَا الزُّبَيْرُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَهَاهُنَا طَلْحَةُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَهَاهُنَا سَعْدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَبْتَاعُ مِرْبَدَ بَنِي فُلَانٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ» فَابْتَعْتُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُهُ، فَقَالَ: «اجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا وَأَجْرُهُ لَكَ» ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومَةَ؟» فَابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُهَا - يَعْنِي بِئْرَ رُومَةَ - فَقَالَ: «اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ» ؟

---

(١) البخاري (٣٦٩٦).

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ يَوْمَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ، فَقَالَ: «مَنْ يُجَهِّزْ هَؤُلاءِ غَفَرَ اللهُ لَهُ» فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى مَا يَفْقِدُونَ خِطَامًا وَلا عِقَالًا، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثُمَّ انْصَرَفَ (١).

وروى أحمد والترمذي والنسائي عن ثمامة بن حزن القشيري قال: ((شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه اطلاعة، فقال: ادعوا لي صاحبيكم اللذين ألباكم علي، فدعيا له، فقال: أنشدكما الله، تعلمان أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال: من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون كالمسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين. ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها. ثم قال: هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم)) (٢). وقال الترمذي حسن.

وله عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((جاء عثمان إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فقال عبد الرحمن:

---

(١) رواه النسائي (٦/ ٤٦)، وأحمد (١/ ٧٠) (٥١١). إسناده صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن النسائي))..

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠٣)، والنسائي (٦/ ٢٣٥)، وأحمد (١/ ٧٤) (٥٥٥). وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقلبها في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم – مرتين–)) حسنه الترمذي [(١)].

وروى الإمام أحمد وأصحاب (السنن) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في قصة توعدهم إياه بالقتل، قال: ((ولم يقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسا بغير نفس. فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنيت بدلا بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفسا. فبم يقتلونني)) [(٢)].

وروى الإمام أحمد وغيره عن النعمان بن بشير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ((أرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأينا إقبال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمة أن ضرب على منكبه وقال: يا عثمان، إن الله تعالى عسى أن يلبسك قميصا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني – ثلاثا–)) [(٣)].

(١) رواه الترمذي (٣٧٠١)، والحاكم (٣/ ١١٠). وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي))..

(٢) رواه أبو داود (٤٥٠٢)، والنسائي (٧/ ٩١)، وأحمد (١/ ٦١) (٤٣٧). وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١/ ٢٣١): إسناده صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٨٦) (٢٤٦١٠). والحديث رواه الترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٢). وصححه الألباني في ((صحيح الجامع الصغير)) (٧٩٤٧). وقال الوادعي في ((الصحيح المسند)) (١٦٤٧): صحيح على شرط مسلم..

وروى أحمد والترمذي وقال: حسن غريب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتنة فقال: يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما فنظرنا فإذا هو عثمان بن عفان)) [١].

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا أو قال اختلافا وفتنة - فقال قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك)) [٢].

وله عن مرة البهزي قال: ((بينما نحن مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريق من طرق المدينة قال: كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر قالوا: نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال: عليكم هذا وأصحابه، أو اتبعوا هذا وأصحابه قال: فأسرعت حتى عييت، فأدركت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا، فإذا هو عثمان بن عفان، فقال هذا وأصحابه يذكره)) [٣].

وروى الترمذي في (جامعه) عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لولا حديث سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تكلمت ((وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٠٨) ، وأحمد (٢/ ١١٥) (٥٩٥٣)، وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (٨/ ١٧١): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): حسن الإسناد..

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٤٤) (٨٥٢٢)، والحاكم (٤/ ٤٨٠). وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١٦/ ٢٢٤): إسناده صحيح، وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٣١٨٨): رجاله ثقات رجال الصحيح؛ غير أبي حبيبة[التابعي] فهو ثقة إن شاء الله تعالى.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٥) (٢٠٣٨٨). وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٧/ ٣١٥): إسناده جيد.

على الهدى فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم)) ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح [(١)]...

وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ((ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتنة فقربها وعظمها، قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق. قال فانطلقت مسرعا –أو محضرا– وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا)) [(٢)].

وروى أبو داود الطيالسي بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة يبايع الناس، قال: فهجمنا على عثمان بن عفان معتجرا يبايع الناس)) [(٣)].

---

(١) (٤/ـ) رواه الترمذي (٣٧٠٤)، والحاكم (٢/ ١٠٩)، وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح..

(٢) رواه ابن ماجه (١١١)، وأحمد (٤/ ٢٤٢) (١٨١٤٣). وقال الشافعي في ((حلية الأولياء)) (٩/ ١١٤): ما صح في الفتنة حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام إلا حديث عثمان بن عفان أنه مر بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((هذا يومئذ على الحق)). وقال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (١/ ١٨): هذا إسناد منقطع؛ قال أبو حاتم محمد بن سيرين لم يسمع من كعب بن عجرة، ورجال الإسناد ثقات. وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): صحيح..

(٣) رواه الطيالسي (١/ ١٧٦)، والحاكم (٣/ ١٠٥). وقال ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٤/ ٤٤٥): فيه سعيد الجريري مستقيم الحديث وحديثه حجة من سمع منه قبل الاختلاط. قال البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٨/ ٢): رواه أبوداود الطيالسي بسند صحيح. وقال الذهبي في ((ميزان الاعتدال)) (٢/ ١٢٧): فيه سعيد بن إياس تغير قليلا، وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٣١١٨): صحيح الإسناد.

وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ختن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنتيه وبشره بالجنة أنفق أموالا طائلة في حفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تستحي منه الملائكة كما تقدم معنا.

قال الطحاوي :«ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: لما حصلت الفتنة وقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بايع الناس علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستتب الأمر له وأجمع الناس عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأحاديث فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثر في العدد من فضائل سائر الثلاثة الخلفاء ولكن هذا لايدل على أنه أفضلهم فضائل علي الأحاديث عددها أكثر من أحاديث فضل أبي بكر و عمر وعثمان إنما قال أهل العلم الناس احتاجوا إلى نشر فضائله وتعدادها وذكرها لما حصل من الخلاف فيه ولأنه تأخر زمانه فاحتاج الناس إلى ذكر كل ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ففي (الصحيحين) عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» [(١)] .

وجاء في رواية مصعب بن سعد عن أبيه ((أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى تبوك واستخلف عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي)) [(٢)] .

هذا الاستثناء يزيل الإشكال من الرواية الأولى ويخصص عموم المنزلة بخصوص الأخوة والاستخلاف في أهله فقط لا في النبوة كمشاركة هارون لموسى فيها إذ يقول الله

---

(١) البخاري (٤٤١٦)، مسلم (٢٤٠٤).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٤) .

تعالى لموسى اشدد به أزري وأشركه في أمري [طه:٣١ - ٣٢] ، وقال لهما: فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين [الشعراء:١٦].

وفي (الصحيحين) في تفسير قول الله تعالى: هذان خصمان اختصموا في ربهم [الحج:١٩] عن قيس بن عدي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنه كان يقسم فيها أن هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه، برزوا في يوم بدر [(١)].

وفيهما عنه عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: هذان خصمان اختصموا في ربهم [الحج:١٩] قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة [(٢)].

وفيهما عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: ((لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتى به فبصق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى

---

(١) رواه البخاري (٤٧٤٣)، ومسلم (٣٠٣٣)..

(٢) رواه البخاري (٣٩٦٥)..

الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم)) (١).

وعن سلمة بن الأكوع نحوه مختصرا، ونحوه عند مسلم أيضا. وفيهما عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: ((أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليا عند المنبر. قال: ماذا يقول له؟ قال: يقول أبو تراب؟ فضحك وقال: والله ما سماه إلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلا وقلت: يا أبا العباس كيف؟ قال: دخل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد فخرج فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين)) (٢).

وفي رواية مسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا فأبى سهل فقال له أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي به. فقال له أخبرنا عن قصته أسمى أبا تراب فذكره (٣).

وفي (صحيح البخاري) عن سعيد بن عبيدة قال جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله وقال لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله وقال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي صَلَّى

---

(١) رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) رواه البخاري (٣٧٠٣).

(٣) رواه مسلم (٢٤٠٩).

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك. انطلق وأجهد على جهدك [١].

وفيهما عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبي، فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم، فقال: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما؟ تكبران أربعا وثلاثين وتسبحان ثلاثا وثلاثين وتحمدان ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم)) [٢].

وفي (البخاري) عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي. فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكذب [٣].

وفي (الصحيحين) من طرق عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار)) [٤].

وفي (صحيح مسلم) عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنْ أَسُبَّهُ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٤).

(٢) رواه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) رواه البخاري (٣٧٠٧).

(٤) رواه البخاري (١٠٦)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا» فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»[(١)].

وفي (صحيح مسلم) عن زر قال: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق))[(٢)].

وهذا كما سمعت هذا هو ترتيبهم ولم يخالف إلا الرافضة ومن سار على طريقهم وإلا فقد أجمعت الأمة على هذا الترتيب في الخلافة ومن خالف في ذلك فقد وقع في البدعة والإحداث[(٣)].

قال الطحاوي: «وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ»: كما جاء في حديث الْعِرْبَاضِ بْنَ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٤).

(٢) رواه مسلم (٧٨).

(٣) انظر شرح ابن أبي العز (٧٥٥).

وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه إلا أنهما لم يذكرا الصلاة والحديث في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لشيخنا الوادعي رحمه الله تعالى(١).

وهناك فرق بين ترتيب الصحابة والخلفاء في الخلافة وبين ترتيبهم في الفضل فهذه مسألة وهذه مسألة أخرى فأما من قدم في الخلافة أو خالف هذا الترتيب فهو ضال عن المنهج الحق مبتدع وأما ترتيبهم في الفضل فقد حصل خلاف في بعض الأزمان المتقدمة من بعض فقهاء الكوفة كالثوري وأبي حنيفة وجماعة منهم فبعضهم قدم علي بن أبي طالب على عثمان وبعضهم ذكر عثمان ثم توقف وبعضهم توقف في مسألة علي وعثمان.

لكنه استقر أمر أهل السنة والجماعة وأجمعوا على أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقدم على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى قال أيوب بن أبي تميمة السختياني وهكذا جاء عن الدارقطني أنه قال من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. لأنهم أجمعوا على ذلك واتفقوا على ذلك فالذي يخالفهم في ذلك كالذي يحتقر أقوالهم وما اختاروه واتفقوا عليه فهذا الخلاف الذي كان موجودا انقرض وجاء عن بعضهم أنه تراجع عن هذا القول عن بعض أهل الكوفة.

ولكن كما سمعت الخلافة مسألتها شيء ومسألة تقديم علي على عثمان مسألة أخرى أما من قدمه في الخلافة على عثمان فإنه يعتبر ضالا مضلا كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى فهو أضل من حمار أهله(٢).

---

(١) أبو داود (٤٦٠٧)، الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٩٢١).

(٢) انظر الواسطية لشيخ الإسلام (٢٧٨ ـ ٢٧٩) مع شرح الهراس.

والحقيقة أن هذا الفعل منهم يعتبر طعن في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي هو من أشجع الصحابة كيف يرضى أن تؤخذ منه الخلافة لماذا بايع أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولماذا بايع عمر وعثمان إذا كان هو المستحق لماذا ما قاتلهم ولماذا ما طالب بالخلافة فهذا فيه طعن في علي واتهامه بالجبن والضعف وأنه تنازل عن حقه وحاشاه فإنه بايع الصحابة بل نقل عنه كما في الحديث أنه يرى أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان قال له محمد ابنه ثم انت يا أبتي قال ما أنا إلا رجل من المسلمين.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

الشرح

وقد جاء حديثهم عن سعيد بن زيد عند الترمذي وغيره وهو في الجامع صحيح القدر لشيخنا رحمه الله تعالى وهكذا صححه الألباني رحمه الله تعالى وجاء عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن جماعة من الحفاظ يعدونه وهما ويقولون الصواب أنه عن سعيد بن زيد[١]

وهؤلاء العشرة هم مجموعون في قول الشاعر:

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... في جنة الخلد نصا زادهم شرفا

هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسعدان والخلفاء

(سعيد) هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، ابن عم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، (وسعد) هو ابن أبي وقاص، (وابن عوف) هو عبد الرحمن، (وطلحة) هو ابن عبيد الله، (وعامر فهر) هو أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي، (والزبير) هو ابن العوام.

(١) انظر الطحاوية مع الحاشية (٧٥٩).

وليس هذا محصور في هؤلاء العشرة وإنما هؤلاء اشتهر تبشيرهم بالجنة وجمعوا في حديث واحد وإلا كما سمعتم في ما مضى في خطب الجمعة[١]، أن هناك صحابة آخرون قد بشرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة وهم أكثر من عشرة بل أكثر من عشرين الذين بشرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال والنساء بالجنة.

فمن بشره عليه الصلاة والسلام وخصه وسماه فإننا نبشره ونؤمن بذلك ونصرح بذلك وأما من لم يأت دليل بأنه من أهل الجنة فيدخل في العموم أن الصحابة كلهم من أهل الجنة وأن المؤمنين مآلهم إلى الجنة وأما التنصيص فإنه لابد من دليل صحيح صريح.

---

(١) لنا خطب في المبشرين بالجنة، وهي قيد الكتابة.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ

الشرح

هذه الفقرة فيها الثناء على آل بيت النبوة فعند الثناء على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ربما يتبادر إلى أذهان بعض الناس كما يوعز ذلك الرافضة إليهم أن أهل السنة والجماعة لا يحبون آل البيت وهذا باطل فإنهم دائما إذا ذكروا الخلفاء أو العشرة أو الصحابة يذكرون آل بيت النبوة فإن محبتهم من ديننا بل كما جاء عن شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى أنه قال:

ومودة القربى بها أتوسل

فإنهم يحبون لإيمانهم وصلاحهم ولما لهم من القرابة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الإمام الحسن بن علي البربهاري (ت ٣٢٩ هـ)، في "شرح السنة":

«واعرف لبني هاشم فضلهم، لقرابتهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعرف فضل قريش والعرب، وجميع الأفخاذ، فاعرف قدرهم وحقوقهم في الإسلام، ومولى القوم منهم، وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام، واعرف فضل الأنصار ووصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، وآل الرسول فلا تنساهم، واعرف فضلهم وكراماتهم»[(١)]..

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠ هـ)، قال في "كتاب الشريعة":

(واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بنو هاشم: علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما

---

(١) ((شرح السنة)) (ص: ٩٦ - ٩٧).

وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم: هؤلاء أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واجب على المسلمين محبتهم، وإكرامهم، واحتمالهم، وحسن مداراتهم، والصبر عليهم، والدعاء لهم) [١].

وقال الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني (ت ٣٨٧ هـ)، في (النونية) [٢]:

واحفظ لأهل البيت واجب حقهم ... واعرف عليا أيما عرفان
لا تنتقصه ولا تزد في قدره ... فعليه تصلى النار طائفتان
إحداهما لا ترتضيه خليفة ... وتنصه الأخرى إلها ثاني

وقال الموفق ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠ هـ)، قال في (لمعة الاعتقاد):

«ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهات المؤمنين المطهرات المبرءات من كل سوء، أفضلهم خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه، زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فهو كافر بالله العظيم» [٣].

وقال الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، قال في (التفسير):

(ولا ننكر الوصاية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم؛ فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا، ولا سيما إذا

---

(١) ((الشريعة)) (٥/ ٢٢٧٦)، .

(٢) ((نونية القحطاني)) (صـ: ٢٤).

(٣) ((لمعة الاعتقاد)) (صـ: ١٧٨).

كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل ذريته رضي الله عنهم أجمعين)[(١)].

قال الطحاوي : «وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ»: لأنه على الصحيح أن أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخلن في آل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآل الرجل من آل بيته أزواجه من آله، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، وهذه الآية جاءت في أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٤]، فأزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آل بيته، وذريته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزهون من الرجس والفحش.

وقول الطحاوي : «فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ»: أي من كان هذا حاله فقد برئ من النفاق وتستفيد من هذا أن الرافضة دينهم مبني على النفاق والزندقة فهم الذين يطعنون في أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاسيما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فبين المؤلف هنا أن فعلهم هذا نفاق.

فالذي لا يبرئ ولا يثني على أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آل بيته فإن هذا هو المنافق وهذا هو حال الرافضة الذين يطعنون في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي برأها الله تعالى بآيات في كتابه الكريم وقولهم كفر لأنه رد لكلام الله سبحانه وتعالى وقد أجمع أهل العلم على ذلك كما في الصارم المسلول على شاتم الرسول ذكر شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى إجماع أهل العلم على أن من طعن في عائشة مما برأها الله منه فإنه كافر بالإجماع وهذا هو حال الرافضة ويكفي الرافضة في تكفيرهم هذه المسألة، فكيف وقد جمعوا إلى ذلك عددا كبيرا من المسائل الكفرية.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٩٩).

فتتعجب ممن ينسب إلى العلم أو السنة ثم يقول الرافضة ليسوا بكفار أو يقول هم ينقسمون إلى قسمين قسم علماء وقسم عوام علمائهم كفار وعوامهم ليسوا بكفار، قال الشيخ الفوزان حفظه الله ورعاه وهل الناس يقولون اليهود علمائهم كفار وعوامهم مسلمون[١].

(١) في مادة صوتية منشورة.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ - لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ

الشرح

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَة الحشرِ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الْحَشْر: ٨-١٠].

جاء عن علي بن الحسين رحمه الله أنّ رجلا كان يسبّ الصحابة من الشيعة، فقال له: أنت من المهاجرين الذين قال الله فيهم وذكر الآية؟. قال لا. قال: فهل أنت من الأنصار الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾؟. قال: لا. قال: وأنا أشهد أنك لست من ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ»(١).

فالسلف الصالح والقرون الثلاثة المفضلة يذكرون بالخير والجميل، فهم خير القرون كما قال النبي عليه السلام: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». متفق عليه عن ابن مسعود وعمران بن حصين، وجاء بنحوه في مسلم عن عائشة وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

و هكذا جاء في رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كنت مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فيه "، فقرن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم هو خير قرون بني آدم على الإطلاق، فهؤلاء يذكرون بالجميل ويحذا حذوهم، ويقتفى آثارهم، ويستفاد من علومهم،.

قال الأوزاعي رحمه الله كما في "شرف أصحاب الحديث": «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ. وَإِيَّاكَ وَرَأْيَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ بِالْقَوْلِ. فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ».

وهكذا أيضا يقول الله عزّ وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١٥].

الذي يشاقق الرسول، ويخالف منهج السلف يخشى عليه من العقوبة العاجلة والآجلة، ولهذا كان كلام أهل العلم على أنّ من طعن في أهل الأثر ومن طعن في هؤلاء السلف فهي دليل على ضلاله وانحرافه.

يقول أبو حاتم: علامة أهل الهوى الوقيعة في أهل الأثر .

---

(١) مسلم (٣٠٢٢).

و أهل الأثر أصلهم هم السلف الصالح، القرون الثلاثة المفضلة، الصحابة والتابعون ومن بعدهم، وهذا هو الواجب على المسلم تعظيم أولئك التعظيم الشرعي، احترامهم، وتقديرهم، لما قاموا به وبذلوه وقدموه لنصرة الدين والإسلام.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مسلم عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة بدر، وهو يدعو الله عزّ وجل رفع يديه حتى سقط رداؤه وهو يقول: « اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ »[(١)].

إذا هلك الصحابة، و مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قتل في تلك الغزوة من سيعبد الله، ومن سيبلغ دين الله، لهذا كان يقول: « اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ ».

فعن طريقهم وصل إلينا الدين صافيا نقيا، واضحا جليا، فلهم حق علينا أن نذكرهم بالجميل، وأن نترضى عليهم، ونترحم عليهم، ونستفيد من علومهم، وأن لا نخالف طريقتهم، فإنّ مخالفة طريقتهم ضلال انحراف، كما قال عمر بن عبد العزيز لما ناظر ذلك المبتدع : فإن قلت إنّ هذا لم يفعلوه فما خالف هديهم إلا من ابتعد عن طريقتهم، أو كما قال رحمه الله تعالى.

و ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم.

---

(١) مسلم (١٧٦٣).

كرامات الأولياء

قال الطحاوي رحمه الله :

وَلَا نُفضِّلُ أَحدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أفضل من جميع الأولياء، وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثقات من رواياتهم

الشرح

والمراد بالأولياء هنا من غير الأنبياء، الأولياء من غير الأنبياء، أما إذا كان المراد بهم الأولياء من الأنبياء، فالأنبياء يتفاضلون، والرسل يتفاضلون، فمنهم فاضل وأفضل، أولي العزم من الرسل هم أفضل الرسل، وأفضل الرسل هو محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولكنه أراد لا نفضل أحد من الأولياء أي من غير الأنبياء.

والمراد بالولاية : المراد بها القربة والمحبة، وسمي الأولياء أولياء الله عزّ وجل، لأن الله عزّ وجل يحبهم، ولقربهم منه سبحانه وتعالى، وقد بين الله عزّ وجل أن الولي هو من كان مؤمناً تقيا، قال الله سبحانه : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

هؤلاء هم الأولياء ولهذا فقد قسّم أهل العلم الأولياء إلى مقتصدين، و مسابقين، ومقربين، وأصحاب اليمين، كل هؤلاء من الأولياء، وكل ما ازداد إيمان العبد عظمت ولايته وقربه من الله، ولهذا قال الله عزّ وجل: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والناس في باب الولاية و في باب البغض على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أولياء الله الخلّص ، من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء وصالح المؤمنين، فهؤلاء الذين ولايتهم ولاية مطلقة، وقد بلغوا الدرجات العلى لمحبة الله عزّ وجل، وفي توليه والعمل بشرعه والانقياد لأوامره سبحانه وتعالى.

القسم الثاني :فهم أعداء الله عزّو جل وهم الذين وقعوا في العداوة الخالصة، كالمشركين وسائر الكافرين والمنافقين النفاق الاعتقادي.

القسم الثالث : أصحاب المعاصي من يكون فيهم ولاية من وجه، ويكون لهم بغض من وجه، وعداوة من وجه، وهم المؤمنون الذين وقعوا في المعاصي والمخالفات، فبقدر طاعتهم واستقامتهم تكون لهم الولاية، وبقدر معاصيهم وذنوبهم يكون لهم العقوبة بحسبهم ، قال الله عزّ وجل: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

ومعناه: أن صاحب الشرك، وأن صاحب البدعة وصاحب المعصية، قد يُترك ويوكل إلى نفسه، وربما يعاقبه الله سبحانه وتعالى.

وقد أراد المؤلف رحمه الله كما ذكر أبن أبي العزّ أراد من هذه الفقرة الرد على الاتحادية، الذين يقولون بأن الله عزّ وجل متحد في الخلق، وهكذا جهلة المتصوفة، وهكذا أيضاً غلاة الرافضة، ما ذكر هذا ابن أبي العزّ، لكن هذا ردٌ عليهم ، وهم الذين يقولون ربما أن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء، ويقولون بأن الأولياء أرفع مكانة من الأنبياء ، ولهذا تجد الصوفية يقولون : هذا الكون يتحكم فيه الأولياء الاقطاب والأوتاد، حتى قال بعضهم :

مقَام النُّبُوَّة فِي برزخ ... فويق الرَّسُول وَدون الْوَلِيّ

فيرون أن الولي هو أرفع عندهم، كما أن هذا هو حال الرافضة حتى قال الخميني لا رحمه الله :في كتابه الحكومة الإسلامية، قال إن لأئمتنا وعلمائنا منزلة لا يبلغها نبي مرسل ولا ملك

مقرب، وقال إن لهم نصوص تضاهي القرآن أو هي أعظم من القرآن، مع أن هؤلاء أبعد الناس عن الولاية ولكنهم يدعون ذلك و إلا فهم أبعد الناس عن الولاية.

فإن الله عزّ وجل بيّن صفات الأولياء، الإيمان والتقوى، قال الله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فهذا رد عليهم، وهل يستفيد هؤلاء الأولياء مما يكرمهم الله عزّ وجل به من الكرامة إلا بسبب إيمانهم بالرسل ، وبسبب إيمانهم بالأنبياء، وبسبب اتباعهم لشرع الله سبحانه وتعالى، وإلا لما حصلت لهم تلك الولاية، فإنهم إن خرجوا عن شريعة الأنبياء وعن شريعة الرسل كفروا بالله عزّ وجل وصاروا زنادقة، ولا يقبل منهم صرف ولا عدل، وإنما نالوا الولاية باتباع الأنبياء والرسل، فكيف يكونون أعلى منهم(١).

ثم قال رحمه الله: «وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثقات من رواياتهم»: كرامات الأنبياء ثابتة في الكتاب والسنّة، وإجماع الأمة، وقد اختلف الناس في كرامات الأولياء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول :فإنهم أنكروا كرامات الأولياء، وبعضهم أنكر حتى معجزات الأنبياء، وهؤلاء هم الفلاسفة والجهمية والمعتزلة وبعض الأشاعرة، ونقل شيخ الإسلام رحمه الله هذا عن ابن حزم كما في مجموع الفتاوى، وهذا قول باطل إنكار كرامات الأولياء مطلقاً قول باطل .

القول الثاني: وهو قول كثير من الأشاعرة والصوفية ومن إليهم، الذين بالغوا في إثبات كرامات الأولياء فاختلقوا أشياء ما أنزل الله بها من سلطان وبالغوا في ذلك ، وقد رد عليهم أهل العلم حتى قال الشافعي : قال سمع بعض الأقوال أن لا تقبل من شخص تظهر عنده كرامات ولو رأيته يسير على الماء حتى تنظر أين هو من الكتاب والسنّة ، فقال الشافعي لا بل

---

(١) انظر شرح ابن أبي العز (٧٦٦)، وشرح ابن مانع (١٧٢) ضمن الرياض الندية، وشرح الفوزان (٢٣٤ ـ ٢٣٥) ، وشرح الألباني (١٧٤)، ضمن الرياض الندية.

حتى لو طار في الهواء، حتى لو طار في الهواء لا يقبل منه حتى ينظر أين هو من الكتاب والسنّة.

والقول الثالث :هو قول أهل السنّة والجماعة والسلف الصالح، أن كرامات الأولياء ثابتة بالقرآن والسنّة وإجماع أهل العلم وآثار السلف، ولكنها لا يثبت منها إلا ما صح دون مبالغة ولا إفراط ولا تفريط(١).

أيضاً من الذين بالغوا في كرامات الأولياء كثير من الإخوان المفلسين، فإنهم يبالغون في كرامات الأولياء وربما يختلقونها اختلاقا كما كان شيخنا رحمه الله يذكر عنهم في جهاد أفغانستان أنهم ربما يختلقون كرامات الأولياء وليست كرامات في ذلك الجهاد إنما من أجل يشجعوا أتباعهم وأصحابهم، قال كان الأفغان ربما يمرون على القتيل فيصبون عليه المسك، فيأتي هؤلاء فيقولون هذا طلع منه رائحة المسك، وينشرون ذلك ويكتبون وقد كتبوا كتباً في ذلك كثيرٌ منها مختلق.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن كرامات الأولياء هي أمر خارق للعادة، فإن صدرت من نبي أو رسول فهي معجزة، وإن صدرت من مؤمن صالح فهي كرامة، وإن صدرت من الأنبياء والرسل يقال لها معجزة، وإن صدرت من غيرهم يقال لها كرامة.

ثم أيضاً ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كما في "مجموع الفتاوى" في كتابه "النبوات": أن كرامات الأولياء تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: ما كان من باب العلوم و المكاشفات، وهو أن الله عزّ وجل يكشف لبعض الناس أمورا لا يطلع عليها غيرهم، كرامة من الله عزّ وجل وقد يكون ذلك في يقظتهم وقد يكون ذلك في منامهم، ومن ذلك قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين قال يا سارية الجبل، فإنه أرسل

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣/ ٩٠)، والنبوات (٥) و (٤٠٥)، وشرح الهراس للواسطية (٢٨) ، وشرح الفوزان (٢٣٦)، والرياض الندية (١٧٦ ـ ١٧٧).

جيشا وأمر عليهم سارية إلى بلاد أذربيجان أو نحو تلك البلدان، وكان هذا الرجل أو هذا الأمير قد قاتل قتالاً شديداً، فقتل من أصحابه كثير وبينما هم في المعركة قد أوشك أن يعجز في تلك المعركة وإذا به يسمع صوتاً يقال له : يا سارية الجبل، أي : احتموا بالجبل فسمع الصوت فانطلق بالجيش إلى هذا الجبل فاحتمى بالجبل فنصرهم الله، هذا الصوت كان من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبينما هو يخطب يوماً في المدينة في خلافته فشعر الناس وهو يخطب يوم الجمعة وإذا به يقول يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فتعجب الناس ماذا يريد عمر من قوله يا سارية الجبل، وهذا شيء جعله الله عزّ وجل على لسان عمر، فلما جاء سارية بعد انتهاء تلك المعركة وأخبر الناس بما حصل وأنه سمع صوتاً كصوت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول يا سارية الجبل، فأخذ بتلك المشورة فنصرهم الله، هذا النوع يسمى باب العلوم و المكاشفات.

النوع الثاني : باب القدرة والتأثيرات وهو أنه يجعل للعبد شيئاً من القدرة والتأثير ما لا يجعل لغيره من الناس، ومثال ذلك ما حصل لمريم عليها السلام حين قال الله عزّ وجل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[مريم: ٢٥].

لو جاء عشرة من الرجال الأقوياء وأرادوا أن يهزوا نخلة ضخمة من جذعها ما استطاعوا أن يهزوها، ولكن هذا من كرامات الأولياء، جعلت تهز النخلة فتساقطت الرطب.

و هكذا ما حصل لأصحاب الكهف من بقائهم في ذلك المكان، تلك الفترة الطويلة، وهم نائمون، وأيضا من أنواع الكرامات قالوا ما يسمى بالحفظ، هو أنّ الله عزّ وجل يحفظ بعض عباده حفظا خاصا كما حصل لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال عليه الصلاة والسلام: « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرَقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ ».[1] ،الناس يؤذيهم الشيطان أما عمر فمن كرامات الله له أنّ الشيطان يفر منه، هذه من كرامات الله عزّ وجل، وهي من أنواع الحفظ.

---

(١) أحمد (٢٢٩٨٩).

أيضا النوع الثالث مما ذكر شيخ الإسلام قال الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له، هذه من كرامات الأولياء، وعلى ذلك ما سمعت أدلة كثيرة في كتاب والسنة، وقد الفت كتب في ذلك، إلا أنّ بعضهم ألف كتبا فجمع فيها الغثّ والسمين والكذب والدجل والاختلاق، كما حصل للنبهاني اللبناني الصوفي الذي ألف كرامات الأولياء.[١]

وقد ألف بعض أهل العلم كرامات الأولياء كاللالكائي، رحمه الله له كتاب في كرامات الأولياء، فهي ثابتة كما سمعت لكن بما صحّ، ولهذا فقد أحسن الطحاوي حين قال: «وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثقات من رواياتهم».

وقد شاهد كثير من الناس، شاهدنا وشاهد غيرنا بعض الكرامات التي حصلت للمجاهدين في سبيل الله عزّوجل في قتال الرافضة في كثير من الجبهات، كرامات كثيرة لو قيدت وسجلت لجاءت في مؤلف، سواء كان في حرب دماج وحصاره الأول والثاني، أو حرب كتاف، أو حرب عدن أو غيرها من الجبهات، حصل فيها كثير من هذه الكرامات الواضحة التي رآها الناس بأعينهم، وهذا يدل على أنّ كرامات الأولياء لا زالت موجودة إلى قيام الساعة في أهل الصلاح والخير.

من الكتب التي ذكر فيها كرامات الأولياء، كتاب : "طبقات الأولياء" للشعراني، وهذا الكتاب فيه من الأباطيل ما الله به عليم، وفيه من الاختلاق الكذب، فلا يعتمد عليه[٢]

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٤ـ٣١٨)، التنبيهات السنية (٣١٠، ٣١١)، شرح الهراس للواسطية (٢٨٦).

(٢) انظر حاشية الألباني (١٧٦ـ١٧٧)، ضمن الرياض الندية.

أشراط الساعة

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الشرح

وأشراط الساعة أي علاماتها التي تدل على قرب وقوعها، كما قال الله عزّوجل: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.

فأشراطها علاماتها التي تدل على قرب وقوع الساعة، وقد قسم أهل العلم علامات الساعة إلى قسمين: علامات صغرى وعلامات كبرى، وبعضهم يقسمها بتقسيم آخر: إلى علامات صغرى، وعلامات وسطى وعلامات كبرى.

فأما العلامات الصغرى: فهي التي مضت وانقضت.

وأما الوسطى: فهي التي مازالت جارية، وحادثة ومستمرة.

و أما الكبرى: فهي التي لم تأت بعد(١).

و المؤلف رحمه الله تعالى ذكر أشراط الساعة في هذا الموضع لأنّ كثيرا منها هي أمور الغيب التي ما قد رآها لناس، فيجب الإيمان بها كما جاء كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وسَلَّمَ، وهذا من الموضع التي لم يذكرها شيخ الإسلام رحمه الله في الواسطية، فالواسطية أخصر من الطحاوية، ترك مواضيع من مسائل العقيدة لم يذكرها، ومنها أشراط الساعة.

---

(١) انظر التذكرة (٣/ ٢٣٥) ط: دار ابن كثير، فتح الباري (١٣/ ٨٣) ، والإشاعة للبرزنجي (٢٥) ط: دار المنهاج، وأشراط الساعة للوابل (٧٧ ـ ٧٨).

والطحاوي رحمه الله هنا لم يتوسع في أشراط الساعة، وإنما ذكر بعض الأمثلة على أشراط الساعة الكبرى فقط، ليبين أنه يجب الإيمان بهذه الأشراط وبحصولها كما جاء مفصلا في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلى آله وسَلَّمَ، ليس بصدد تعدادها وذكرها بكاملها، وإلا فقد ألفت الكتب الخاصة في هذا الشأن، ككتاب "الفتن والملاحم" للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى، وهكذا ما كتب كثير من المعاصرين، ومنهم التويجري رحمه الله، كتب ثلاث مجلدات في الفتن والملاحم وأشراط الساعة.[١]

(١) وكذا كتاب الإشاعة في أشراط الساعة لمحمد البرزنجي الحسيني.

خروج الدجال

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصلاةُ والسَّلَامُ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا

الشرح

وأحاديث خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام احاديث متواترة كما ذكر ذلك العلامة الألباني رحمه الله، وقد الف في ذلك رسالة سماها: قصة المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وقتله إياه"، وهي رسالة مطبوعة للألباني رحمه الله تعالى.

والدجال هو كما ذكر أهل العلم رجل مموه يخرج في آخر الزمان، يدعي الربوبية، ويلزم من ذلك أنه يدعي الألوهية، وأيضا جاء في أوصافه أنه أعور العين اليمنى، وعينه اليسرى فيها عيب و عور، فكلا عينيه معيبتان، وأنّ معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، ومعه جبال الخبز، وأنهار الماء، وأنه يقول للخربة أن تتبعه فتتبعه كيعاسيب النحل، ويقول للسماء أن تمطر فَتُمْطِرُ، وللأرضَ أن تنبت فَتُنْبِتُ، يتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، وأكثر أتباعه النساء والأعراب واليهود، كما جاء ذلك في الأحاديث في البخاري ومسلم عن جماعة من الصحابة، ومنهم النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى.

وقد ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ من أسباب الحفظ من الدجال قراءة العشر الأوائل من سورة الكهف كما في صحيح الإمام مسلم، وأنه يمكث في الأرض فلا يبقى مكان إلا وصل إليه إلا مكة والمدينة، ما من أرض إلا و يطؤها الدجال إلا مكة والمدينة تحرسها الملائكة، فلا

يستطيع الوصول عليها، ولهذا سمي المسيح، لأنه يمسح الأرض وينتقل من مكان إلى مكان، وقيل في ذلك لأن عينه ممسوحة فقيل له المسيح، وذكروا أكثر من عشرين قولا في سبب تسميته.

ومكان خروج الدجال في طريق بين الشام والعراق، كما جاء في الصحيح، وهو موجود الآن، نؤمن أنه موجود الآن لحديث تميم الداري أنه محبوس في تلك الجزيرة التي رآه فيها تميم الداري رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وأيضا مما يذكر فيه أنه يقتله عيسى بن مريم عليه السلام، جاء ذكره في سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة، وأجمع أهل العلم على ذلك، ولم يخالف إلا بعض الخوارج والمعتزلة من المتقدمين، وخالف بعض الضلال المنحرفين من المعاصرين كمحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، هؤلاء أنكروا وجود الدجال.[١]

و قد اختلف أهل العلم هل الدجال مذكور في القرآن أم لا، فقال بعضهم مذكور في القرآن، لحديث هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم مرفوعا: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»[٢] ، ذكرها عند قول الله عزّوجل في سورة غافر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[غافر:]،قالوا المراد بها الدجال، قال به بعض المفسرين، كما ذكر ذلك البغوي في تفسيره، وقال بعضهم ليس هذا المراد فليس مذكور في القرآن.

أما الحديث المتقدم فهو في صحيح مسلم، وأظن وهم فيه الإمام النووي في رياض الصالحين فقال عن عمران بن حصين، والصواب أنه عن هشام بن عامر رضي الله تعالى عنه.

---

(١) انظر فتح الباري (١٣/ ١٠٥) وتفسير المنار (٣/ ٣١٧).

(٢) مسلم (٢٩٤٦).

وأما نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء فهذا مما ثبت في القرآن والسنّة وإجماع أهل العلم، قال الله عزّ وجل :﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، فسّر هذه الآية أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجماعة من السلف، أن المراد أنهم يؤمنون به قبل موته بعد نزوله، فهذا يدل على نزوله في آخر الزمان، وأنه ينزل عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ كما في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن غيره من الصحابة، وأنه ينزل وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، وأنه لاَ يَجِدُ نَفَسِهِ أحد من الكفار إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ» عليه الصلاة والسلام.

وأنه أيضاً مما يفعله أنه يكسر الصليب، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وقد أشكل هذا على بعض الناس مع أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء فكيف يأتي بعده عيسى عليه السلام، فالجواب عن هذا من وجهين:

أما الوجه الأول: فإنه يأتي بشريعة الإسلام، فلا يأتي بشريعة أخرى وإنما يحكم بشريعة الإسلام.

والوجه الثاني : أن عيسى عليه السلام، قد نبئ قبل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فليس هو بعده، قد نبئ قبله وإنما ينزل في آخر الزمان من السماء عليه الصلاة والسلام،.

ذكر الحافظ بن حجر في فتح الباري: أن من الحكم في إنزال عيسى في آخر الزمان و الرد على اليهود الذين يدعون أنهم قتلوا عيسى، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧].

فهو يخرج في آخر الزمان، ويصنع كما سمعت ويقتل المسيح الدجال ويدركه عند باب لُدٍ فيطعنه بحربته فيقتله و يقتل المسيح الدجال، وعيسى ابن مريم قيل له المسيح عيسى، والدجال قيل له المسيح الدجال كما تقدم قيل لعيسى ابن مريم المسيح لأنه كان لا يمسح ذا

عاهة أو برص إلا شفاه الله عزّ وجل، كما ذكر ذلك الله في كتابه الكريم، فقيل له المسيح، وذكروا أقولا أخرى، تجدها في كتاب "التذكرة" للإمام القرطبي رحمه الله تعالى.(١)

ثمّ قال رحمه الله: «وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»:

وهذا ثابت في كتاب الله عزّ وجل في سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما قال الله عزّ وجل: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾[الأنعام: ١٥٨].

وقد جاء في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه، أنّ ذلك عند طلوع الشمس من مغربها، وهكذا حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين، قال عليه الصلاة والسلام: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ".(٢)

وهكذا في صحيح الإمام مسلم عن عوف بن مالك الذي فيه عشر آيات قبل قيامة الساعة، ما جاءت واحدة إلا والتي بعدها على أثرها، وطلوع الشمس من مغربها من آخر العلامات، ولهذا جاء في سنن الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»(٣).

ثمّ قال: «وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا»: ودابة الارض أيضا مذكورة في كتاب الله عزوجل وفي سنة رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أما القرآن فقول الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ

---

(١) التذكرة (٣/ ٣١٤ ـ ٣١٩)، وانظر فتح الباري (٦/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

(٢) البخاري (٤٨٠٢)، مسلم (١٥٩).

(٣) برقم (٣٥٣٧).

عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النَّمل: ٨٢]، قال بعض المفسرين: هذا قول الدابة ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، وقال بعضهم هذا ليس من كلامها، لكن هذا من تمام كلام الله عزّ وجل.

وهذه الدابة جاء في الأحاديث أنّها تعلم أهل الإيمان من أهل الكفر والنفاق، وهذا قبل قيام الساعة، تنذر بوقوع الهلاك، وتنذر بوقوع الدمار والعذاب، وقد جاءت آثار كثيرة في نوع هذه الدابة وصفتها وفي موضع خروجها ولا يثبت من ذلك شيء، قال بعضهم تخرج من الصفا، وقال بعضهم من جبل أجياد، وقال بعضهم من تهامة، وكل ذلك لا دليل عليه، قال بعضهم هي الجساسة، قال بعضهم في فصيل ناقة صالح، وقال بعضهم هي ثعبان، وكل ذلك لا دليل عليه، المهم أنّها دابة من دواب الأرض جعلها الله من علامات قيام الساعة، تنذر الناس كما أخبر الله في هذه الآية، وموضعها يعلمه الله سبحانه وتعالى، وقد جاء هكذا في الحديث: «وخروج دابة الأرض من موضعها».

فهذه علامات لقرب قيام الساعة، وهي من العلامات الكبرى، وبقي غيرها، وإنما هذه إشارة من المؤلف رحمه الله، يبين فيها أنه يجب الإيمان بما كان من الأدلة في الأمور الغيبية، سواء كان من أمور الآخرة، أو كان من علامات الساعة الكبرى أو الصغرى.

الكهنة والعرافين

قال الطحاوي رحمه الله:

وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا،
وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ

الشرح

والكاهن هو الذي يدعي معرفة ما يقع في المستقبل، و العراف: هو الذي يزعم أنه يعلم المغيبات بمقدمات وأسباب يستدل بها، وقال بعضهم كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله بأنّ العراف ربما يشمل الكاهن والمنجم والرمال، وكل من يدعي من علوم الغيب، قد يقال له عراف.[(١)]

قد ذكر بعض أهل العلم أنّ الكهانة على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يكون هذا الكاهن له ولي من الجن يخبره بما يسترق من السمع من السماء، وهذا كان قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم مُنِع أولئك المسترقون في زمنه ثم اختلف العلماء هل استمروا على ذلك المنع أم أنهم يسترقون بعد ذلك؟.

أما النوع الثاني: فهو الذي يكون له أولياء من الجن يخبرونه بما في أقطار الأرض من الأمور التي لا يعلمها الناس، سواء كانت بعيدة أو قريبة، مما يخفى على الناس.

---

(١) انظر معجم التعريفات للعثيمين (٣٠٨، ٣١٠)، التعريفات العقدية لسعد بن محمد آل عبد اللطيف (٢٣٢).

قالوا: والقسم الثالث: هو ما كان من باب التخمين والحزر والحدس، وهذا قد يجعل الله عزّ وجل في بعض الناس قوة أو شيء من القوة على ذلك، وغالب ذلك يكون من باب الكذب والدجل، ولا يعتمد على هذا الحزر والتخمين. (١)

وقوله : « وَ لَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا » لأن من صدق الكهنة والعرافين فإنه قد كفر برب العالمين، لأنّ هذا تكذيب لما بينه الله عزّ وجل: أنه لا يعلم الغيب إلا هو، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل:٦٥]، فهؤلاء يدعون علم الغيب وهذا كفر، فمن صدقهم فقد ردّ الأدلة.

و لهذا جاء عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في "صحيح مسلم"، عن بعض أزواجه أنه قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

و في رواية: «فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ».عندأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

والحديث حديث حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في صحيح مسلم، وجاء عن ابن مسعود وابن عباس ، وعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ولهذا قال أهل العلم: إتيان الكهان والعرافين على ثلاث أقسام:

القسم الأول: أن يأتيهم ليستفيد منهم، ويصدقهم ويؤمن بما عندهم، وهذا هو الكافر، المذكور في الحديث، « فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»، لأنّ فعله هذا يتضمن رد الأدلة، والكفر بالله عزّوجل.

وأما القسم الثاني: فهو الذي يأتيهم ولا يصدقهم، ولكن لمجرد أن يسالهم ، فهذا لا تقبل له صلاة أربعين يوما.

---

(١)انظر رسالة التعريفات العقدية لسعد بن محمد آل عبد اللطيف (٢٨٣ ـ ٢٨٤).

والقسم الثالث: هو الذي يأتي الكهان ليمتحنهم أو يختبرهم، أو يناضرهم، وهذا عند الحاجة مشروع، والأولى للإنسان ان يبتعد، إلا إذا غلب على ظنه، أن يحصل في ذلك مصلحة من إظهار الحق، وإهانة ذلك الساحر، ودليل ذلك فعل النبي صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم، حيث ذهب إلى ابن صياد الدجال وقال له: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»(١).الحديث في الصحيحين.

فذهب إليه ليفضحه أمام الناس، ولكن ما كل من أراد أن يذهب إلى السحرة لهذا جاز له ذلك، فإنه قد يذهب ويلبس عليه، وربما يغلبه أمام الناس، ولكن إن غلب على ظنه أنّ ذلك الساحر يفضح، فيمتحنه أو يناظره فيفضحه، فهذا لا يدخل في أحاديث النهي.(٢)

قال رحمه الله: «وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا»: ولا منجما أيضا لا يصدق، فإنّ المنجم أيضا ممن يدعي علم الغيب، والمنجم هو الذي يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، يستدل بالأحوال الفلكية من تحرك الكواكب والنجوم وغيرها على الأحوال الأرضية، وهو ادعاء للغيب، وقد جاء من حديث ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من اقتبَسَ علْماً مِنَ النُّجُومِ اقْتبَسَ شُعبَة مِن السِّحرِ، زادَ ما زادَ»(٣).

وقد تقدم لنا في درس ماض في غير هذا الكتاب أنّ الذين يكتبون (أبا جاد)، الذين يقال لهم المنجمون يكتبون أبا جاد ، أنه إن كان فيه ادعاء لعلم الغيب وربط ذلك بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، من حياة و موت وسعادة وشقاء وفرح و مرض وصحة

---

(١) متفق عليه، البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٢٤).

(٢) انظر القول المفيد للعثيمين (١/ ٥٣٢).

(٣) أبو داود: (٣٩٠٥).

فهذا هو التنجيم الذي هو كفر، وهو من السحر، وإن كان مجرد تسيير للأرقام وتعيين لنتائجها، ثمّ يكذب على الناس بذلك فهذا يقال له دجال، مشعوذ، ولا يصل إلى حد الكفر.

قال: «وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ»: ونَعَمْ، أنّ من جاء بما يخالف الكتاب والسنة لا يؤمن بما جاء به، ولا يصدق و لا يُقبل منه ولا يُؤخذ عنه، ولا أيضا بمن جاء بما خالف إجماع الأمة، لأنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ».

و من خالف ما في الكتاب والسنة وإجماع الأمة فمعناه أنه شذّ عن الصراط المستقيم، شذّ عن الحق، شذّ عن الصواب، فلا يقبل قوله، ولا يصدق ولا يؤمن به.

لزوم الجماعة

قال الطحاوي رحمه الله:

وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا

الشرح

وهذا مصداقه في كتاب الله عزّ وجل:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣]، الجماعة هو ما وافق الحق، الجماعة الكتاب والسنة، والجماعة ما كان عليه سلف الأمة، فمن خالف ذلك أو حاد عنه فقد خالف الجماعة، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الجماعة، وأرشد للتمسك بطريق أهلها، كما في حديث عوف بن مالك وأبي هريرة عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم - وآخرين، «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فرقة، كلها في النار»، فسئل عنها فقال: الجماعة. و في رواية: قال: قال: «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فطريقة الصحابة وطريقة السلف هي الحق والصواب، وهي الجماعة، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجماعة ما وافق الحق و إن كنت وحدك.

وأيضا يقول المؤلف: « وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا » ونعم، ليس اعتمادا على حديث: «الجماعة رحمة، والفرق عذاب» فهو ضعيف، و لكن الأدلة الكثيرة التي تحرم التفرق والتمزق وتأمر بجمع الكلمة، والاتحاد على الكتاب والسنة،﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الْأَنْعَامِ: ١٥٩]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا

تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ـ ٣٢].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُم ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا»(١).

فأمر الله عزّ وجل بالاعتصام، ونهى عن الفرقة، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الْأَنْعَامِ: ١٥٣]، ومع ذلك فكلٌ يدعي أنه يدعو إلى الجماعة، وأنه لا يدعو إلى الفرقة، والحد الفاصل هو الأدلة من الكتاب والسنة، فمن دعا إلى كتاب الله عزّ وجل، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهو الذي يدعو إلى الجماعة، وهو الذي يحذر من الفرقة.

وأما أن يدعي ادعاءً أنه لا يدعو إلى الفرقة، وهو يفعل ما يؤدي إلى الفرقة، ويعتقد ما يؤدي إلى الفرقة، ويقول ما يوصل إلى الفرقة، فهذا لا يُقبل قوله، وإنما ينظر إلى قوله وفعله، فالذي يدعو إلى التحزب يدعو إلى الفرقة، والذي يدعو إلى العصبية يدعو إلى الفرقة، والذي يدعو إلى العنصرية يدعو إلى الفرقة، والذي يدعو إلى عادات الجاهلية يدعو إلى الفرقة، والذي يدعو إلى المعاصي يدعو إلى الفرقة، وكل من دعا إلى معصية الله او مخالفة شرعه فهذا دعوته توصل إلى الفرقة، لأنّ البدع والمعاصي والمخالفات هي التي تفرق الناس.

و أما السنّة فهي تجمع، السنّة تكون سبب لجمع القلوب، واتحاد الصفوف وترابطها، كما قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الْحُجُرَاتِ: ١٠]، وليس هناك قاسم مشترك بين المسلمين يجتمعون عليه، إلا الآية والحديث، هو الذي لا يمكن أن يتعداه المؤمن إذا أراد

---

(١) مسلم: (١٧١٥).

التّحاكُم إلى الكتاب والسنّة، وأما الآراء فهي كثيرة و مختلفة، والعقول كذلك، فعلى أي رأي نجتمع؟، وعلى أي عقل نتفق؟، أما الكتاب و السنة فهو النجاة و المخرج.

والفرقة زيغ وعذاب لأنها تؤدي إلى البعد عن الحق، وتؤدي أيضا إلى التناحر، وإلى ضعف القوة، وإلى انهيار المسلمين، فهي زيغ وعذاب، ولهذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصا على إبعاد أسباب الفرقة من أول أمرها، كما في حديث: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» «أَ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ»[(١)].

إبطال للفرقة من أول أمرها، وجب على المسلمين أن يبتعدوا عن كل قول وفعل يؤدي إلى الفرقة، ولو كان يسيرا في نظرهم، وأهل السنّة أحرى الناس بذلك، وأولى الناس بذلك، أنّ من كان سببا لتفرقهم وجب عليهم أن يتركوه، ولو كان في نظر أحدهم أنه مصلحة، إذا كان سيؤدي إلى التفرق، والتمزق وضيق الصدور، وهكذا العداوة، فوجب الترك والابتعاد.

(١) في البخاري عن أنس، و مسلم عن جابر .

قال الطحاوي رحمه الله:

وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

الشرح

دين الله عزّ وجل هو توحيده سبحانه وتعالى، وتوحيد عزّ وجل تدين به ملائكته في السماء، وتقوم به الإنس والجن في الأرض، إذن فدين الله في السماء والأرض واحد، وهو دين جميع الأنبياء، بالمعنى العام، الإسلام بالمعنى العام هو دين الأنبياء جميعا، الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص والبراءة من الشرك، والبدع من أهلها بحسبه، هذا الإسلام العام يدعو إليه جميع الأنبياء، ولهذا قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(١).

فهم يدعون جميعا إلى التوحيد، وإلى الإسلام بالمعنى العام وهو الاستسلام لله، والانقياد له.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص فهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الكتاب والسنة، و هو الدين الذي ارتضاه الله عزّ وجل، وهو الدين الذي لا يقبل إلا هو، :﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩]، وهكذا قال : وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المَائِدَة: ٣]، وهو الذي تقدمت بعض مسائله المهمة، وبعض أصوله العظيمة في هذه العقيدة، هذا هو الإسلام الذي هو دين الله في الأرض وفي السماء.

---

(١) متفق عليه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر شرح الفوزان (٢٤٨).

وهذا أيضا فيه التحذير من البدع والمحدثات، وأنّ ما أحدث من غير دليل فليس من دين الله، ما أحدث بغير برهان فليس من دين الله، فإنّ دين الله عز وجل هو الإسلام، الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨٥].

وبعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام لا يقبل من أحد على وجه الأرض دين سواه، فإنّه من لم يؤمن به كان كافرا بالله تبارك وتعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

وأما ما ذكر عن الأنبياء الماضين كما تقدم، في الإسلام المراد به الإسلام العام، وغلا فإنّ الله عزّوجل قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[الْمَائِدَةِ: ٤٨]، فكل جاء بشريعة وأما التوحيد فهو واحد، بل كل الأنبياء والرسل دعوا إلى أراكان الإسلام الخمسة في الجملة بالإجماع، وحصل بعض الخلاف في بعض التفاصيل، في بعض الأركان، أما في الجملة فهم قد دعوا إليها جميعا عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) مسلم (١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الطحاوي رحمه الله:

وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَ التَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ

الشرح

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣]، فأهل الحق وسط بين فرق الضلال والباطل، ففي باب الغلو والتقصير وسط، يأخذون بالأدلة من الكتاب والسنة، لا إفراط ولا تفريط، فالغلو مذموم منهي عنه،:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المَائِدَة: ٧٧] .

وقال عليه الصلاة و السلام: «وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ »[١]

فالغلو منهي عنه، والتقصير ممنوع، أيضا التفريط في أوامر الشرع، وفيما جاء به الله سبحانه وتعالى، ولكن كما قال الله عزّوجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود: ١١٢]، فالاستقامة هي المطلوبة.

قال رحمه الله: « وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ »: شرح: فالتشبيه مذموم هكذا التمثيل، وبالمقابل التعطيل، فالذين عطلوا الله من صفاته ومن كماله المقدس، كان حجتهم أنهم لو أثبتوا شيئا لوقعوا في التشبيه، وقولهم مردود، لأنّ الله يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، فنثبت ما أثبت الله لنفسه، وما أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، و لا تكييف، ولا تمثيل، فنسلم من التعطيل، ونسلم من التشبيه، وهذا مذهب أهل السنّة.

(١) أحمد: (١٨٥١)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رحمه الله: « وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ»: الجبرية هم الذين يقولون العبد ليس له إرادة ، وأنه مجبور، إما على الطاعة وإما على المعصية والكفر، وأهل القدر هم الذين يقولون لا دخل لله عزّ وجل في أفعال العباد، فهم الذين يفعلون و يخلقون أفعالهم، وهم الذين يفعلون الأشياء، و الله لا يعلم إلا بعد حدوثها، وقولهم باطل، ومذهب أهل السنّة وسط، يقولون للعبد مشيئة وإرادة، ولكنها خاضعة لمشيئة الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩].

و هناك أفعال العبد فيها مخير، وهناك أفعال فيها العبد مسير، فمثلا طوله وقصره، ومرضه وصحته، وحياته وموته، هذه الأمور ليس له فيها اختيار، وأما اختيار طريق الخير والشر فإنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ١٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

ثمّ قال رحمه الله: « وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ »: أي أنه لابدّ من الجمع بين الخوف الرجاء، فالأمن من مكر الله عزّ وجل كبير، واليأس من رحمة الله أيضا كبيرة : ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]، وهكذا: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر: ٥٦]، فالأمن من مكر الله لا يجوز، واليأس من رحمة الله ومن روح الله لا يجوز، ولكن لابد من الجمع بين الخوف والرجاء، فيخاف المؤمن من ذنوبه، ومن عذاب ربه، ومع ذلك يرجو رحمة الله سبحانه وتعالى، وهذا هو المذهب الحق، وقد تقدم الحديث عن هذا، وإنما هذا إجمال بعد التفصيل، واختصار لما تقدم.

خاتمة

قال الطحاوي رحمه الله:

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَباطِنًا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلِ الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا الْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ. وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

الشرح

قال رحمه الله: «فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا»: ونعم، فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا أي ما تقدم في هذه العقيدة، مما لم ينتقد على المؤلف، وأما الموضع التي انتقد عليه فإنها لا تصلح أن تكون دينا واعتقادا، مثل مسائل الإيمان والإرجاء كما تقدم، وفي بعض المسائل كتسلسل الحوادث ونحوها، وإنما ما تقدم في الجملة هو اعتقاد المسلم الذي يجب عليه أن يسير عليه، وهذا فيه الصدع بالحق، وإشهار العقيدة وإظهارها، وأنّ الإنسان لا يتخفى بل يظهر ما يعتقده أنه دين واضح جلي، وصراط مستقيم.

قال رحمه الله: « وَنَحْنُ بَرَاءٌ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ»: البراءة تكون بحسبها، فكل من خالف يتبرأ منه بحسبه، فالبراءة من الكافرين ليست كالبراءة من أهل البدع، والبراءة من أهل البدع ليست كالبراءة من أصحاب المعاصي، فكل يتبرأ منه ومن باطله بحسبه، والولاء والبراء أصل عظيم من أصول أهل الإسلام، :﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وهكذا بين الله عزّ وجل أنه لا بدّ من التبرؤ من أهل الباطل في الدنيا قبل الآخرة،

قال رحمه الله: «وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ»: وهذا فيه فائدة وهي أنّ من عرف العقيدة الصحيحة فإنه يجب عليه أن يلتجئ إلى ربه سبحانه وتعالى أن يثبته على ذلك، فإنّ الثبات والتوفيق من الله، مهما تعلمت ومهما عرفت، ومهما تبصرت، فإنه إن لم يحالفك التوفيق من الله سبحانه وتعالى ربما تضل عن هذه العقيدة، فمع المعرفة ومع التبصر يلجأ المؤمن إلى ربه سبحانه وتعالى.

وها هو إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء، ومع ذلك يقول ربه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فمن تمسك بالحق فهذه نعمة، ولكن يجب عليه أن يرتبط بربه سبحانه، خوفا ورجاء و تضرعا وتذللا، ودعاء بالثبات والسلامة والنجاة من المخالفات الشرعية[(١)].

قال رحمه الله تعالى :« وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ»: وكل هذا: الأهواء و الآراء والمذاهب يحصل لها الاختلاف والتفرق والردى لأنها ليست من الهدى، ليست من دين الله، ليست من كتاب الله، ولا من سنّة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد حذر اهل الإيمان من اتباع الرأي، وموافقة الهوى، وإنما سبيل المؤمن الانقياد والاستسلام والإذعان والإيمان، وأما إتباع الهوى والرأي فإنه مزلة الأقدام، ومضلة الأفهام، وطريق إلى البعد عن دين رب العالمين سبحانه.

قال رحمه الله تعالى: « مِثْلِ الْمُشَبِّهَةِ »: وهم الذي شبهوا الله بخلقه، فأثبتوا لله أسماء وصفات لكن شابهوه بالمخلوقات.

---

(١) انظر شرح الفوزان (٢٦٣).

و « وَالْمُعْتَزِلَةِ »: وهم الذين جمعوا عقائد كثيرة وفاسدة، وأولهم واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد الذين اعتزلوا حلقة الحسن البصري ثمّ قعدوا وأصلوا أصولا مخالفة لدين الإسلام، فجعلوا قواعد يسيرون عليها، وهي ما يسمى بالأصول الخمسة: العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنزلة بين المنزلتين، هذه أصول المعتزلة الخمسة، وكلها باطلة.

معنى عندهم: منزلة بين المنزلتين: أنّ مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه الخروج على الحكام، وإنفاذ الوعيد معناه وجوب تخليد صاحب الكبيرة في النار، والتوحيد معناه نفي الصفات، والعدل معناه نفي القدر، وهذا كله باطل.

ثمّ إنّ المعتزلة لهم آراء كثيرة في باب الإيمان وفي باب أحكام وأسماء الدين، وفي مسائل كثيرة مرت معنا.

قال رحمه الله تعالى: « وَالْجَهْمِيَّةِ»: وهم أتباع جهم بن صفوان، الذي استفاد من شيخه الجعد بن درهم، وهم من أول من جحد الصفات وأولها وعطلها.

قال: « وَالْجَبْرِيَّةِ »: والجبرية أقسام، أشدهم الجهمية، فإنهم نفوا عن العبد الإرادة، وقالوا هو مجبور، ومنهم الأشاعرة الذين يقولون له إرادة في الظاهر وليس له إرادة في الباطن.

قال رحمه الله: «وَالْقَدَرِيَّةِ»: والمراد بهم هنا الذين يقولون بأنّ الله يخلق الخير، و العبد يخلق الشر، أو أنّ المراد بهم الذين ينكرون علم الله، فكلهم قدرية.

قال رحمه الله تعالى: «وَغَيْرِهِم»: قال الشيخ الألباني رحمه الله: كالمقلدة.[(١)]

فإنهم من أصحاب الأقوال الردية، والمذاهب المخالفة، المقلدة الذين يجعلون التقليد دينا يعبدون الله عزّ وجل به، ويقدمونه على شرع الله، وعلى كتاب الله وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكل هؤلاء يجب الحذر منهم، والبعد عن مذاهبهم، والابتعاد عن آرائهم، لأنّها تصادم شرع الله جملة وتفصيلا.

قال رحمه الله تعالى: «مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ»: وهذا يدل على أنّ المؤمن لا يجوز له أن يداهن في دينه، وأن يجامل في عقيدته، بل يصدع بالحق، ويتبرأ من أهل الباطل جملة وتفصيلا، هذا الذي عليه معتقد السلف، وهذا يقرر به الإمام الطحاوي عقيدة السلف أنه لابدّ من التبرؤ من أهل الباطل، وأنه لا يجوز المجاملة.[(٢)]

قال رحمه الله: «وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ، والله الموفق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين»:

وهذا الموضع ينتقد عليه كما مرّ معنا في دروس ماضية أنّ لفظ السيادة، ليس واردا في باب الصلاة، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا كيف نصلي عليه، فلم يقل: وسيدنا، وإنما قال: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، وفي بعض الألفاظ: «في العالمين إنك حميد مجيد»، وفي بعضها أيضا الصلاة على أزواجه وذرياته،

---

(١) قال في تعليقه على الطحاوية: كالمقدلة الذين جعلوا التقليد دينا واجبا على كل من جاء بعد القرن الرابع الهجري وأعرضوا بسبب ذلك عن الاهتداء بنور الكتاب والسنة واتهموا كل من حاول الخلاص من الجمود المذهبي إلى التمسك بهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما شاءت لهم أهواؤهم.

(٢) انظر شرح ابن مانع ١٨٣ ـ ١٨٤) ضمن الرياض الندية .

وأما على سيدنا فهذه من المحدثات، كما نبه على ذلك أهل العلم، ومنهم العلامة الألباني رحمه الله في أواخر كتابه: "صفة صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

مع أنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو سيدنا، فهو القائل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، ولكن الصلاة عليه عبادة، والعبادة توقيفية، فلا نأتي بكيفية لم يأت بها عليه الصلاة والسلام، ومنها هذا الذي سمعت، وهذا يكثر في كتب بعض أهل العلم، ولكنه منتقد.

ونكون بهذا قد انتهينا من هذه العقيدة الطيبة.

انتهينا من العقيدة الطحاوية في هذا اليوم
الذي هو: ١٧ من شهر شعبان ١٤٣٨ هـ.
سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

المحتويات

نبذة عن المؤلف ٥
توحيد الله ١٣
الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ٥٨
القرآن كلام الله ٧٠
رؤية الله ٧٩
الإسراء و المعراج ١٠٤
الحوض ١١٠
.... ١١٠
الشفاعة ١٢١
الميثاق ١٢٩
علم الله بمن يدخل الجنة ومن يدخل النار ١٣١
القدر ١٣٦
الإيمان باللوح ١٤٠
العرش والكرسي ١٤٩
الخلة والتكليم ١٥٧
الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب ١٦٢
أهل القبلة ١٦٥
الجدال في القرآن ١٧٠
أهل القبلة ١٧٧
تعريف الإيمان ١٩٦

الخروج على الأئمة ٢٢٧
المسح على الخفين ٢٣٩
عذاب القبر ٢٥٠
البعث والنشور ٢٦٤
الجنة والنار مخلوقتان ٢٧٤
الاستطاعة ٢٨٦
أفعال العباد ٢٩٤
الصدقة و الدعاء للأموات ٣٠٣
صفة الغضب ٣٠٩
محبة الصحابة ٣١٣
الخلافة ٣٢٣
كرامات الأولياء ٣٥٣
أشراط الساعة ٣٥٩
خرورج الدجال ٣٦١
الكهنة والعرافين ٣٦٦
لزوم الجماعة ٣٧٠
خاتمة ٣٧٧